أفكار خاطئة عن الإسلام

دكتور
نصر رشوان

أفكار خاطئة

عن

الإسلام

دكتور / نصر رشوان

المؤلف

دكتور/ نصر الدين رشوان حسن

- التخرج من كلية الآداب جامعة القاهرة
- دراسة اللغويات في قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب جامعة القاهرة.
- دراسة اللغويات بجامعة أورهوس Arhus بالدانمرك
- الحصول علي الماجستير بتقدير ممتاز والدكتوراه بمرتبة الشرف الأولي من جامعة القاهرة.
- تدريس الترجمة (لغة إنجليزية) بكلية الإعلام جامعة القاهرة.
- الإشراف علي وضع وتدريس برامج اللغات الأجنبية مع التركيز علي اللغة الإنجليزية.
- وضع وتصحيح امتحانات الترجمة من اللغة الإنجليزية وإليها، حتي المستويات العليا من الترجمة.
- وضع بحوث محكَّمة باللغتين الإنجليزية والفرنسية.
- الوكيل السابق للهيئة العامة للإستعلامات للبحوث والمعلومات.
- المستشار السابق، بدرجة مالية سفير، بالقنصلية المصرية العامة بجدة.

المحتويات

مقدمة

حفزني إلى وضع هذا الكتاب ما لمسته من سوء فهم لمبادئ الإسلام وتعاليمه، عن غير قصد حيناً، وعن قصد أحياناً أخرى.

إننا تتابع في كتابات المستشرقين ترصُّدا ملحاً لمحاولة اكتشاف خطأ هنا أو هناك- من وجهة نظرهم - مع التعامي عن الأدلة الواضحة على صدق هذا الدين وآياته المعجزة التي تتكشف بأدلة صحيحة، كثير منها مما توصل إليه الغربيون أنفسهم من فتوحات في المجالات العلمية التي خدمت الإسلام، وكان أولى بهم أن يسخروها لعقيدتهم.

إنهم في كل يوم يسخرون من ثوابت الإسلام التي عجزوا عن إثبات مجافاتها للعلم أو المنطق، ولا نقول، أن الله يسخر الجهال ليخزي بهم الحكماء.

لقد أفادوا الاسلام من حيث قصدوا ضُرّه، فبعد حملات السخرية بأساليبها المتنوعة والمبتكرة من رسوم مسيئة إلى قنوات تليفزيونية وأفلام تخصصت في السباب والشتائم، اتجه كثيرون إلى محاولة التعرف على الاسلام والقراءة عن تعاليمه مما جعل الكثيرين منهم يدخلون في الإسلام، «وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم».

لقد التزمت أقصى درجات الموضوعية وضبط النفس من خلال:

* عدم التعرض لمفاهيم ومبادئ الديانات الأخرى.
* التزام الحجة والبينة، فما لم يثبت بدليل قاطع، لا مكان له في هذا الكتاب إلا أن يكون إشارة عارضة من قبيل الاحاطة بالموضوع من جوانبه المختلفة.
* البعد عن الخلافات المذهبية، فنحن في حاجة إلى التقريب لا التفريق.
* توضيح المفاهيم الثابتة والمستقرة في الاسلام دون عنت، ولا إكراه لأحد في دينه أو مذهبه.
* الرد على شبهات الغرب حول الميراث والشهادة وأن المرأة خلقت من ضلع أعوج وناقصة عقل ودين والتعدد والحجاب ودورها في الحياة العامة وقوامة الرجل والموسيقى والغناء.
* المزايا التي تتمتع بها المرأة المسلمة واحتفاظها بشخصيتها وذمتها المالية المستقلة.

* الالتزام بوسطية الإسلام والابتعاد عن التحزب لفكر أو رأى دون دليل.

* تأكيد ما استقر عليه المسلمون من مبادئ مستقاة من الكتاب أو السنة أو اجتهاد العلماء الثقاة وأهل الرأى المجددين والمجيدين في غير اسفاف أو خروج.

* عدم التعرض للتفاصيل في توضيح مبادئ الاسلام ومفاهيمه فهذه وموضعها كتب الفقه وآراء أهل الاختصاص.

الهدف الأساسي من الكتاب تبيان ما أغلق على أفهام البعض، فمن شاء أخذ بها بينت ومن شاء أعرض، ولكل وجهه هو موليها، ولا نملك إلا أن نقول، «ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا".

يقع هذا الكتاب في سبعة فصول، هى:

الفصل الأول: تسامح الاسلام ورفقه.

الفصل الثاني: حرية الفكر والعقيدة.

الفصل الثالث: الدعوة إلى الاسلام.

الفصل الرابع: الرق وتجارة الرقيق.

الفصل الخامس: الجهاد.

الفصل السادس: نظام الحكم في الاسلام.

الفصل السابع: المرأة في الاسلام.

الفصـــــل الأول/تسامح الإسلام ورفقه

* ذكر بعض الأيات التي تؤكد حرية الفكر والاعتقاد وأن مشيئة الله قضت بالتنوع وأنه لا مجال لإكراه أحد على ترك دينه.

* الاسلام سباق إلى إقرار حقوق الانسان وسبق دعوة روسو الفيلسوف السياسي الفرنسي باثنى عشر قرنا، وسبق دعوة الأمم المتحدة بأربعة عشر قرنا.

* زيارة البابا يوحنا الثاني لمصر والحفاوة التي قوبل بها من الجميع، مسئولين وعلماء مسلمين.

* التعليق على الدعوة إلى وضع كتب تعليمية مشتركة في مجال التربية الدينية والتساؤل عن كيفية تحقيق ذلك بينما لم تتخلص المذاهب المسيحية من خلافاتها وبالمثل فإن الجهود لتحقيق التقارب بين مفاهيم السنة والشيعة لم تحقق نجاحاً كبيراً.

* امتداح موقف البابا شنودة ممن توجهوا للحج في القدس بالمخالفة لتعليماته.

* الحوار الإسلامي المسيحي وموقف الأزهر.

* تسامح صلاح الدين مع الصليبيين بعد انتصاره عليهم رغم قتلهم أكثر من سبعين ألف مسلم.

* كلمة أنان سكرتير عام الأمم المتحدة أمام مركز الدراسات الاسلامية في اكسفورد والتي رحب فها بمساهمات الحضارة الاسلامية وتسامحها.

* كلمة هين وزير الدولة البريطاني للشئون الخارجية في ولتون بارك والتي رحب فيها بالمفاهيم الاسلامية في الترابط الأسري والاهتمام بالعلم ودعوته للتعايش السلمي.

* الرد على بعض المفاهيم الخاطئة مثل انتشار الاسلام بالسيف وغيرها.

* جعل السابع من يناير من كل عام عيداً قومياً لمشاركة المسيحيين الاحتفال بعيدهم.

الفصـــل الثاني/حرية الفكر والعقيدة

* الاسلام يتطلب الايمان بالكتب السماوية السابقة.

* المساواة بين المسلمين وغيرهم ومجالاتها.

* رد الشيخ المراغي على اتهامات برنارد شو ضد الاسلام.

* التسامح مع المدرس الذي أمر تلاميذه في الجامعة الأمريكية بدراسة كتاب يسيء إلى الرسول.

* الحريات التي أتاحها الاسلام.

* شرح الموقف بالنسبة للقضايا التي يثيرها الغربيون مثل الردة، مقارنة بموقف اليهودية والمسيحية منها.

* الاتهامات الخاصة بالولاية على غير المسلمين والرد عليها.

* التعامل مع أهل الكتاب.

* عرض مقارنة بين الحضارة الغربية والحضارة الاسلامية في مجال حقوق الانسان.

* تجديد الفكر الاسلامي ومفاهيمه.

الفصل الثالث/الدعوة إلى الاسلام

* وسائل الانتشار السلمي للإسلام (القدوة - التجار - هجرات القبائل العربية - الطرق الصوفية - تفوق الثقافة الاسلامية - التسامح).

* أمثلة لبعض حالات الاعتناق الطوعي للاسلام.

* مواصفات الداعية.

* مثال تطبيقي في الدعوة للإسلام في جمهورية أفريقيا الوسطى.

* تفنيد لبعض المطاعن ضد الاسلام.

* مشروعات صليبية للهجوم على الاسلام.

* مخططات صهيونية للقضاء على الاسلام والمسيحية معا.

* هجوم المعلق الصهيوني بات روبنسون من احدى المحطات الاذاعية التبشيرية.

* فضل الحضارة الاسلامية على الحضارة الغربية.

* محاكم التفتيش الاسبانية الكاثوليكية ومعاداتها للبروتستنتية.

* أهوال التعذيب التي قامت بها محاكم التفتيش ضد المسلمين واليهود.

* استمرار تأثير الحضارة العربية حتى بعد سقوط الأندلس، وذلك في مجالات العلوم النظرية والتطبيقية والآداب.

* لجوء اليهود إلى الولايات الإسلامية في الدولة العثمانية وحسن معاملتهم بعد المعاملات المهينة التي كانوا يلاقونها في أوروبا - ثم جحود اليهود لفضل المسلمين وعدوانهم الوحشي على الشعب الفلسطيني.

الفصـــــل الرابع/الرق وتجارة الرقيق

* تعريف الرق وتطوره على مدى العصور وممارسته لدى الشعوب القديمة.

* اليهودية والمسيحية وممارسة الرق.

* الاسلام والرق وتجفيف منابعه والتوسع في مصارف التخلص من الرق.

* الاسلام والمعاملة الانسانية للرقيق وإدماجهم في المجتمعات الاسلامية.

الفصل الخـــامس/الجـــهـــاد

* تعريفه ومعناه الحقيقي.

* أخلاقيات القتال: وصايا الرسول والخلفاء في إحسان معاملة الأعداء.

* شهادة توماس أرنولد للاسلام والمسلمين عن النبل في معاملة شعوب البلاد المفتوحة.

* الجهاد في اليهودية والمسيحية مع الاستشهاد بآيات من العهد القديم والعهد الجديد.

* تشويه مفهوم الجهاد، بينما لا يزالون يروجون للمفهوم الغربي عن الحرب المقدسة (غزو العراق وأفغانستان).

* دعوة الاسلام إلى السلام كلما أمكن ذلك.

* تولية النصارى وزراء في بلاط الخلافة واحترام ديانتهم.

* أمراء وكرادلة يعتنقون الإسلام، اليونانيون يسيئون معاملة الجنود الصليبيين المهزومين،

والمسلمون يرسلون لهم العلاج والمواد التموينية وذلك خلال الحملات الصليبية المتعاقبة على فلسطين.

* القواعد التي يجب مراعاتها في القتال.

* الوفاء بالعهود حتى مع الأعداء.

* أسرى الحرب، معاملتهم والاحسان إليهم وتزويجهم وفداؤهم من بيت مال المسلمين.

* حسن معاملة أهل الكتاب.

* الجزية في مقابل الاعفاء من القتال الذي يتحمله المسلمون فضلا عن الزكاة وهى أضعاف قيمة الجزية - الاعفاء من الجزية والتوسع في ذلك - إسقاطها بعد اشتراك من كانوا يدفعونها، في القتال، وهو المتبع حاليا في جيوش الدول الاسلامية.

* كاتب غربي (Dr. Stope) يرد على اتهام الغرب للمسلمين ويقول أن المسيحية هى التي انتشرت بحد السيف، وأثر ذلك على سرعة الانتشار السلمي للاسلام

الفصل السادس/ نظام الحكم في الاسلام

* المواصفات المطلوبة فيمن يتولى الخلافة أو الامارة أو الولاية.

* طبيعة نظام الخلافة وأنها أقرب ما تكون إلى النظام الديمقراطي.

* أسس الحكم في الاسلام (الشورى - العدالة).

* وظائف الدولة (العدل - القيام بواجب الجهاد - التعليم والتثقيف - تنمية موارد الدولة- الضمان الاجتماعي).

* الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* الاسلام والديمقراطية والمبادئ الأخلاقية التي تحميها.

* الامارة وشروط توليها.

* حقوق الملكية - الميراث - الربا - الزكاة ومصارفها.

* الشئون القضائية (حديث الدكتور إدوارد غالي الذهبي عن عدالة القضاء في الاسلام)

الفصل السابع/المرأة في الاسلام

* الزواج والحث عليه ومزاياه للفرد والمجتمع، التحديات التي تواجه الزواج وتأجير الارحام، وزواج المتعة.

* الزواج والطلاق، التفلت من الزواج في المجتمعات الغربية، تزايد حالات الطلاق، وانتشار ظاهرة الأبناء غير الشرعيين وتكاليفها العالية في المجتمعات الغربية.

* الزواج بين المسلمين وغير المسلمين (تحريم الزواج من الكفار - تحليل الزواج من الكتابيات وتحريم العكس وأسبابه - بقاء الزوجة التي أسلمت مع زوجها غير المسلم.).

* حقوق الزوجين كل منهما على الآخر، وحقوق الأطفال والرضاع.

* التعدد (تعدد الزوجات وليس الأزواج وأسبابه).

* الطلاق (حالاته وتقييده - حقوق المطلقة)، الخلع والموقف بالنسبة للمسيحيات.

* الطلاق لدى الديانات والمذاهب الأخرى.

* الميراث (المرأة ترث أكثر من الرجل في كثير من الحالات وأقل منه في حالات قليلة).

* تنظيم النسل، والعزل كأحد وسائله.

* تعليم المرأة وتفوقها في كثير من العلوم الشرعية والبحتة والتطبيقية.

* اليهودية والمرأة واعتبارها ميراث الأسرة.

الفصل الأول

تسامح الإسلام ورفقه

مقدمة

يختلف البشر في الكثير من الأمور، كما تختلف ألوانهم ولغاتهم، وعقائدهم. هذا الاختلاف لا يجب بحال أن يساء استخدامه أو أن يتخذ ذريعة للتمايز والاستعلاء من جنس على غيره من الأجناس. هذه النظريات القائمة على الاستعلاء عفا عليها الزمن، ولنا عبرة في النظام العنصري في جنوب أفريقيا، كما أنه سيكون مآل أى نظام عنصري آخر كإسرائيل، فقد تولت الأغلبية الإفريقية أمورها في جنوب أفريقيا وانتهت العنصرية كأساس للحكم.

أعتقد أن الاختلاف المنطقي في الأمور الفكرية يعود إلى الاختلاف في طرائق التفكير، كما قال الفيلسوف الفرنسي الكبير رينيه ديكارت **René Descartes** في كتابه، مقال في المنهج: **Discours de La Méthode**

«إن تتنوع أرائنا لا يرجع إلى أن بعضنا أكثر فطنة من غيره، بل يرجع إلى أننا نعبر عن أرائنا بطرائق مختلفة". (١)

وفيما يتعلق بالأديان، فهي ليست محصلة الفكر، بل هي مستلهمة من الله عز وجلّ.

وسواء كان الاختلاف أو التنوع راجعاً إلى الاختلاف في طرائق التفكير أو اختلاف الديانات، فما علينا إلا أن نحترم هذا الاختلاف إلى درجة أن نكون مستعدين للدفاع عن حرية الآخرين في الاعتقاد أو الفكر. فما كان أيسر أن يجعلنا الله على دين واحد وأن نتحدث لغة واحدة، وأن ننتمي إلى عنصر واحد ولون واحد:

«وَلَو شَاءَ الله لجعلهُمْ أُمَّةً وَاحِدَة» (سورة الشورى، آية ٨)

وحتى لو كان البشر من جنس واحد، فاحتمال الاختلاف قائم. » ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين». (سورة هود، آية ١١٨)

فالله الذي خلقنا لم يحملنا على الإيمان به، بل أعطانا حرية الإيمان به أو غير ذلك: «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» (سورة الكهف، آية ٢٩)

---

(1) Descartes, René: Discours de la méthode, Paris 1637.

«لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ» (سورة البقرة، آية ٢٥٦)

«ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين»

(سورة يونس، آية ٩٩)

«لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً» (سورة المائدة، أية ٤٨)

«وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه» (سورة المائدة، آية ٤٧)

«فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ» (سورة الشورى، آية ٤٨)

«لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين» (سورة الممتحنة، آية ٨)

«إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون» (سورة الممتحنة، آية ٩)

إن الإسلام لم يقصر فضله على التسامح **Tolerance** بل شمل هذا الفضل التحمل **Toleration**، وهو إذ يفعل ذلك يضع بعض الضوابط التي يجب مراعاتها:

الصبر على الأذى، لقد بدا هذا واضحاً قبل الإذن بالهجرة، أُمر المسلمون بتحمل الأذى والتعذيب من عبدة الأوثان في مكة. مع ذلك فعندما انتصر المسلمون فإنهم لم ينتقموا لأنفسهم، لقد أعطاهم الرسول صلى الله عليه وسلم الأمان والحرية، وخصّ عدوه اللدود أبا سفيان بمكرمة إعطاء الأمان واعتبر داره ملاذاً آمناً لكل من احتمى به.

الرفق بمن جنحوا إلى السلم:

«قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله“ (سورة آل عمران، آية ٦٤)

«ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم“. (سورة الأنعام، آية ١٠٨)

عدم المجادلة إلا بالحسنى، لا مراوغة ولا بذاءة في الحديث خاصة مع أهل الكتاب ولا إثارة للخصوم.

لا عدوان، الذي يرجع في الحقيقة إلى قلة الدراية بالدين. فقد أُثر عن الإمام الشافعي قوله: ما جادلت أحداً لأغلبه، بل تمنيت دائماً أن يغلبني.

الإحجام عن عقاب حتى الذين يؤذون المسلمين في عقيدتهم. وكمثال، تحملنا إساءة مدرس أمريكي صهيوني بالجامعة الأمريكية بالقاهرة أساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

تحمل الرسول أذى جاره اليهودي الذي تعود على وضع النجاسة أمام بابه وعندما افتقدها في أحد الأيام، سأله في أدب «لقد افتقدنا الأمانة التي عودتنا على رؤيتها".. فياله من موقف عظيم. لقد كان مما اعتاد عليه الرسول الكريم أن يرسل إلى جيرانه اليهود أفضل الأجزاء من ذبيحته.

إنهم في الغرب يفاخرون بأن فكرة حقوق الإنسان يعود فضلها إليهم إشارة إلى قول الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو **Rousseau** «لقد ولد الناس أحراراً ولكنهم في كل مكان قيد الأغلال". [٢]

أما من قال: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»، فقد تجاهلوا قوله عن عمد. وهذا القول في الحقيقة للخليفة الراشد عمر بن الخطاب الذي استدعى إلى المدينة عمرو بن العاص، والي مصر، بناء على شكوى من قبطي اعتدى ابن عمرو على إبنه، وذلك قبل اثنى عشر قرناً من مجيءروسو. إن الغرب يفخر بأن «إعلان حقوق الإنسان **Declaration of Human Rights**" بمعرفة الأمم المتحدة مبنى على أفكار فلاسفتهم وهذا بعيد تماماً عن الصواب.

وفضلاً عن سبق الإسلام إلى حقوق الإنسان كما حددها الإسلام وطبقها المسلمون بإخلاص وأمانة، يقول الدكتور م. الحسيني المصيلحي أستاذ القانون الدولي إن مفهوم حقوق الإنسان في الإسلام له الخاصيات التالية:

* الموازنة بين مصالح الفرد والمجتمع.

* الحفاظ على كرامة الإنسان.

---

(2) Chambers Biographical Dictionary, vol. 1, item Rousseau «Jean Jacques, Contrat Social 1762, Edinburgh, 1975.

* المساواة وعدم التفرقة على أساس من اللون أو الجنس أو اللغة أو العقيدة.

* وحدة البشر باعتبارهم عائلة واحدة.

* الدعوة إلى التعاون بين الجميع.

* حرية العقيدة دون إكراه.

* الحق في الحياة في أمان من اعتداء الغير أو الاعتداء على النفس (الانتحار).

* الأمان من الفقر.

* الضمان الاجتماعي. (٣)

قبل قدوم العرب كان الرومان يضطهدون الأقباط، وكانت معاناتهم فوق الاحتمال حتى أنهم هربوا إلى الجبال والكهوف حتى يتمكنوا من العبادة والخلوة التي تطورت إلى أديرة انتشرت فيما بعد في أنحاء العالم المسيحي. (٤)

حرر عمرو بن العاص الكنائس من الرومان، وأعيد بطريرك الأقباط بنيامين **Benjamin** إلى كنيسته في مهابة بعد أن ظل هارباً في الجبال ثلاثة عشر سنة.

حلت الشريعة الإسلامية محل القانون الروماني كما حلت الدولة الإسلامية محل الدولة (الإمبراطورية) الرومانية، إذ أن الأقباط لم تكن لهم دولة لأن كل شئ كان في أيدي الرومان (٥). من ثم فليس لمتقوِّل أن يقول أن الإسلام كان ديانة أجنبية، فلو طبقنا هذه القاعدةنفسها لقلنا أن المسيحية التي بشر بها سيدنا عيسى عليه السلام، في فلسطين قادمة من خارج مصر ومن خارج روما (مهد الكاثوليكية) وبالتالي فهي ديانة وافدة أى أجنبية؟

(٣) مصيلحي، محمد الحسيني : الإسلام وحقوق الانسان (الأهرام، ١٠/ ١٢/ ١٩٩٩)، ص ١٠.

(٤) أسعد، جمال : خصوصية الأقباط المصريين في الإسلام (الأسبوع، ٢٥/ ١/ ١٩٩٩)، ص ١٨.

(٥) عمارة،محمد : اللواء الإسلامى، ٩/ ٣/ ٢٠٠٣ ص٣

زيارة البابا يوحنا الثاني لمصر

استقبل الرئيس مبارك وشيخ الأزهر، البابا يوحنا الثاني لدى زيارته لمصر في الثاني من مارس عام ٢٠٠٠م، كما كان في استقباله رؤساء الكنائس الكاثوليكية في مصر ولبنان والعراق وفلسطين. [٦]

كان هذا في الحقيقة بادرة تسامح من مصر الدولة التي تدين غالبيتها العظمى بالإسلام. لم يكن البابا شنودة الثالث رئيس الكنيسة الأرثوذكسية في مصر متواجداً في استقبال البابا يوحنا الثاني، على عكس ما أعلن من قبل. أوضح الدكتور نبيل لوقا بباوي أستاذ القانون الجنائي، أن عدم حضوره راجع إلى بروتوكول متفق عليه منذ مئات السنين، يقضي بأن يستقبل رئيس أى طائفة مسيحية مُضيفة رئيس الطائفة المَضيفة داخل مقر الطائفة المُضيفة، وهو ما حدث عندما استقبل البابا شنودة رئيس الطائفة الأرثوذكسية البابا يوحنا رئيس الطائفة الكاثوليكية وذلك داخل البطريركية الأرثوذكسية في العباسية. [٧] كما أن البابا شنودة صرح فيها بعد (يناير ٢٠٠٨) لاحدى القنوات التليفزيونية أن عدم حضوره كان راجعاً إلى أنها كانت زيارة دولة (**State visit**).

ومن الجدير بالذكر أن رموز الديانة الإسلامية في مصر رحبوا بالبابا الكاثوليكي ليس في المطار فقط بل في مقر كل منهم. لقد عامل المسئولون المصريون البابا يوحنا لا كرئيس دولة فقط، بل كضيف مميز جداً.

وعلى المستوى الشعبي، قدمت له مظاهر الاحترام. وفي حدود علمي فإن الخطباء المسلمين رحبوا في خطب الجمعة بالزيارة، وجاء هذا الترحيب حتى ممن عرفوا بهجومهم اللاذع على الحكومة في بعض الأحيان.

أعدت الحكومة المصرية ساحة واسعة ليقيم فيها البابا صلواته وذلك في استاد القاهرة الرياضي في وسط المدينة، حيث حضرها أكثر من عشرين ألفا من المصلين الكاثوليك. أدى البابا الصلوات وكان الجميع ينصتون إليه وكان منهم مسلمون حضروا بحكم وظائفهم الرسمية، كنوع من الحفاوة والاحترام رغم اختلاف العقيدة.

تأتي أهمية ا لزيارة من كونها أول زيارة لمصر من قبل بابا كاثوليكي بناء على دعوة من «رئيس

(٦) سلماوي، محمد: البابا والبابا (الأهرام، ٦/ ٣/ ٢٠٠٠(ص ٣٥).

(٧) بباوى، نبيل لوقا: البابا شنودة والبابا يوحنا واستقبال المطار (الأهرام، ٩/ ٣/ ٢٠٠٠) ص ١٠.

الدولة» المصرية. وكانت مصر أول دولة في المنطقة تقيم علاقات دبلوماسية مع دولة الفاتيكان في سنة ١٩٢٠، وقد سبق للرئيس مبارك أن قام بأربع زيارات رسمية للفاتيكان لمقابلة البابا يوحنا الثاني. [٨]

ويعود السبب في التقبل الواسع والاستقبال الحار إلى الموقف العادل للفاتيكان - في عهد البابا يوحنا الثاني - إزاء مشكلات الشرق الأوسط وضرورة تحقيق السلام في المنطقة. (كان الفاتيكان قد وقع اتفاقاً مع السلطة الفلسطينية يدعو إلى حل متوازن لقضية القدس، مبني على القرارات الدولية وأكد على الوضعية الخاصة للمدينة وقدسيتها).

كانت السلطات الكاثوليكية حريصة على تأكيد الطبيعة الدينية للزيارة، فقد أكد الأسقف يوحنا قلته «أن البابا لن يعقد أى مؤتمر صحفي خلال زيارته»[٩]

وفي الاجتماع في الكاتدرائية الكاثوليكية الجديدة في مدينة نصر، جدد البابا يوحنا نداءه الذي أطلقه لأول مرة في عام ١٩٨٧م بأنه سيرحب بإجراء تعديلات في موضوع «سيادة البابوية Supremacy of the Papacy إذا كان ذلك يخدم الوحدة المسيحية. لكن البابا شنودة الثالث تفادي أن يذكر شيئاً عن الخلافات العقدية بين الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية بقوله" إننا نحب بلدنا ونحبك"، فرد عليه البابا يوحنا بقوله: «إنني أجيب بالقول أننا نحبك كذلك».

في هذه المناسبة أعيد إلى الأذهان الاقتراح الذي عرض على الرئيس الراحل السادات بوضع كتاب مشترك عن التعليم الديني للطلاب المسلمين والمسيحيين، فطلب الرئيس السادات في ذلك الاجتماع من الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر في ذلك الوقت أن يعلق على الاقتراح ذاكراً أنه شخصياً يؤيده، فرد الشيخ عبد الحليم محمود بإيجاز قائلاً: سوف ندرس هذا الأمر فيما بعد.

ليس من السهل تحقيق وحدة الفكر بين المسيحية والإسلام، إذ أن ذلك لم يتحقق بين المذهبين الأرثوذكسي والكاثوليكي وهما ينتميان لعقيدة واحدة - ولعلنا نجد الإجابة في قول الأسقف دميانوس Damianos كبير أساقفة سانت كاترين الذي قال أنه ظل أربعين عاماً يتطلع إلى انعقاد «قمة مقدسة Holy Summit، وقال للصحفيين في المطار: «يجب أن يكون واضحاً تماماً

(٨) سلامة، ألبرت: الفاتيكان والعلاقات التاريخية والمعاصرة (الأهرام، ٢٥/ ٢/ ٢٠٠٠)، ص ١٠.

(٩) حلوي، سعيد: قداس البابا في المطار (الأهرام، ١٢/ ٢/ ٢٠٠٠) ص ١٣.

للجميع أن البابا ليس زعيما للمسيحيين غير الكاثوليك".

أكد الأب جستين Justin الخلافات بين الكنيستين فقال أن رئيس الكنيسة الكاثوليكية حضر إلى هذا المكان موئل الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية. إن الكنيستين على خلاف في مسألتى عصمة البابا وسيادته Papal infallibility and supremacy، ويرى بعض المراقبين أن هذا يفسر الاستقبال الفاتر من جانب الرهبان الأرثوذكس اليونانيين للبابا.

لم يكن البابا شنودة الثالث أقل حماساً من بابا الفاتيكان للقضية الفلسطينية، يتضح هذا من موقفه الحازم من بعض المسيحيين الذين ذهبوا إلى القدس للحج لدرجة أنه أصدر ضدهم قرارات بالشلح Excommunication من الكنيسة الأرثوذكسية مؤكداً «إننا سنذهب إلى القدس مع إخواننا المسلمين وليس قبل ذلك".

الحوار الإسلامي – المسيحي

تبني الغرب، في سعيه لتوثيق المعرفة، فكرة الحوار بين الحضارات بما في ذلك الأديان. [١٠] بديلاً عن صدام الحضارات Clash of civilisations الذي دعا إليه صمويل هنتجتون Samuel Huntingtonالذي أثار الكراهية لدى الحضارات الأخرى التي دمغت دعوته بالعنصرية والكراهية، فما أن تنفس العالم الصعداء بانتهاء الحرب الباردة، فإنه يخشى عواقب هذه الدعوات التي تنم عن ضيق في الأفق والتي ليس لها من مردود سوى إثارة النزاعات.

على العكس، جاءت دعوة متعقلة للتفاهم بين الديانات التوحيدية في عام ١٩٧٥م وهى الحوار بين العقائد Inter- faith dialogue .

الحوار بين الأزهر والفاتيكان

في عام ١٩٩٨م أنشئت لجنة مشتركة لهذا الغرض، ومن المهم أن نتذاكر بعض مظاهر النزاعات الدينية. فعندما توج بابا روما، شارلمان عام ٨٠٠م. فإن هذا الإمبراطور لم يتحمل وجود من لا يعتنق الكاثوليكية وقتل آلافا من الساكسون.

(١٠) الفيومي، محمد إبراهيم: حوار الأديان في مفترق الطرق (الأهرام، ١٤/ ١/ ٢٠٠٠)، ص١٠.

وعندما قسمت الإمبراطورية المقدسة إلى امبراطورية غربية وأخرى شرقية فإن الإمبراطورية الغربية رفضت أن تتعلم من الميراث اليوناني والروماني في الشرق. وفيما بعد تنصلت الإمبراطورية الشرقية من هذا الميراث الثقافي واعتبرته ميراثاً إلحادياً.

وعلى عكس ذلك، فإن المسلمين في عهد الخلافات المتتالية درسوا ثقافات اليونانيين والرومان وغيرهم، واستوعبوا هذه الثقافات ثم قدموها إلى الإنسانية جمعاء. [(١١)]

ورغم الموقف الغربي المعادي للثقافة الإسلامية في أسبانيا، فإن الكثيرين منهم لم يستطيعوا إخفاء إعجابهم». أعجبوا بصفة خاصة بسماحة الإسلام الذي اعتبر التنوع بين البشر في أديانهم وألوانهم ولغاتهم إرادة إلهية **Divine Will**.

ظل الأوروبيون لقرون، بل منهم من لا يزال حتى الآن يلتزمون الصمت إزاء الأساس العربي لثقافتهم. وظل بعض الفلاسفة على عدائهم غير الموضوعي تجاه الإسلام، والذي ظهر في كتابات بعض اللاهوتيين والمستشرقين. ولكن هذا ليس قاعدة عامة، إذ كان قليلون منهم غاية في الموضوعية، مثال ذلك الشاعر الألماني الكبير جوته **Goete** الذي لم يخف إعجابه بالإسلام، وكان من الشجاعة بحيث قال، «لو كان هذا هو الإسلام فإنني سوف أحيا وأموت مؤمناً بمبادئه"[(١٢)]

وللأسف فإن كراهية الإسلام ومبادئه عميقة الجذور، وكبداية نذكر المناهج التعليمية، خاصة مناهج التاريخ فهي مليئة بروايات غير معقولة عن الإسلام ونبيه وكل علومه، وهنا البداية الحقيقية للمشكلة.

ولو أخذنا التاريخ كمثال فإننا نجد أن كتابا للتاريخ بحجم ٣٠٠ صفحة، لا يتحدث عن الإسلام إلا في ٣٪ منه، وفي أغلب الأحيان يكون الجزء الخاص بالإسلام والمسلمين ضمن فصل عن العالم الثالث سواء من الناحية الجغرافية أو التاريخية.

مثل هذه الدراسات تجعل من أوروبا قلب العالم، ولا يذكر الشرق الأوسط إلا قليلاً وكذلك آسيا وأفريقيا. لقد أهملوا عن عمد الأحداث الهامة في تاريخ الإسلام أو أنهم يذكرونها أحياناً في سياق الكتابات التي تظهر سيادة الغرب الأوروبي وانتصاره على المسلمين.

---

(١١) ماهر، مصطفى: الغرب والإسلام والبحث عن الحقيقة(الأهرام، ١٤/ ١/ ٢٠٠٠، ص ١٠.

(١٢) ماهر، مصطفى: المصدر نفسه، (الأهرام، ١٤/ ١/ ٢٠٠٠، ص ١٠.

كانت الدكتورة فوزية العشماوي من جامعة جنيف قد أعدت دراسة عن «المسلم» في كتب التاريخ في فرنسا وأسبانيا واليونان، وذلك تحت إشراف هيئة اليونسكو. أظهرت هذه الدراسة أن المادة التي تقدم للتلاميذ حتى نهاية المرحلة الابتدائية مختلفة تماماً عن المادة التي تقدم للتلاميذ العرب والمسلمين في دول جنوب البحر المتوسط. وهى تعمد إلى زرع الشك في عقول التلاميذ الصغار في أى شئ يمت للإسلام. إنهم يحاولون أن يبينوا لهم أن الانتشار الواسع للإسلام في أوروبا تم بحد السيف **At Sword's Point** وقهر شعوبها ونهب ممتلكاتها.

يأتي هذا في الوقت الذي يصورون فيه الحروب الصليبية بصورة جميلة وأنها كانت تستهدف تحرير بيت المقدس من المسلمين الكفار" **Infidel**" الذين أساءوا معاملة السكان والحجاج المسيحيين. تجاهلوا تماما ما ارتكبوه من فظائع ضد المسلمين في بيت المقدس بعد «تحريرها «من المسلمين. قتلوا أكثر من سبعين ألف مسلم دون تمييز، وكان معظمهم من النساء والأطفال والعجائز.

في نفس الوقت التزموا الصمت إزاء التسامح الذي أبداه نحوهم القائد المسلم العظيم صلاح الدين الأيوبي بعد تحرير بيت المقدس منهم عام ١١٨٧ حيث أصدر عفواً عاماً عن كل الصليبيين.

ونذكر - كدليل واضح على تضليل التلاميذ الصغار - تجاهلهم لتأثير الفلاسفة والعلماء المسلمين على النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر.

يجب على المسلمين أن يبذلوا الجهد لإظهار الصورة الحقيقية للإسلام وأن يقنعوا السلطات التعليمية في الغرب بأن ينتهوا عن هذه الممارسات التي تستهدف زرع الكراهية للمسلمين في قلوب الصغار. إن موقفهم هذا لن يكون في صالحهم (الغربيين) على المدى الطويل على الأقل. وهذا واجب أخلاقي عليهم على أى حال.

والمسلمون من جهة أخرى مسئولون بصورة ما عن الأفكار الخاطئة عن الإسلام وعن سوء سلوك بعض الشباب المسلم في الغرب وفي الدول الإسلامية نفسها. يجب أن يكون هناك تقبل عادل لحقهم في حرية التعبير وممارسة واجباتهم الدينية. [١٣]

ولحسن الحظ فإن الصورة في مجملها ليست كلها سيئة. فهناك بعض الشخصيات المستنيرة في الغرب، حتى بين رجال الدين، وكمثال، فإن الكاردينال بول بوبر **Paul Pauber**، أحد

(١٣) العشماوي، فوزية: صورة الاسلام في المناهج التعليمية في الغرب، الأهرام ١٤/ ١/ ٢٠٠٠ ص ١٠.

مساعدي البابا قال" إن الوجود المتزايد للمسلمين في أوروبا أصبح حقيقة ويجب أن نكون مستعدين لذلك وأن نتعامل معه دون استفزاز على أساس أن الجميع «أبناء إبراهيم **Sons of Abraham**".

وفي مقابلة مع صحيفة الفيجارو **Le Figaro** الفرنسية، دعا الكاردينال بوبر إلى ضرورة التفرقة بين الإسلام كدين وبين التطرف، ومع ذلك فإن الإسلام يشكل تهديداً لأوروبا والغرب ككل. وعندما سئل عما يقصده بقوله «التحدي الإسلامي" **Challenge of Islam**»، أجاب «إنه دين وثقافة ومجتمع ومنهاج حياة، في حين أن المسيحيين في أوروبا يتجهون إلى إقصاء الكنيسة وفصلها عن المجتمع. إنهم يهملون الصيام في الوقت الذي يبدون فيه إعجابهم بالتزام المسلمين بصيام رمضان".

في الحقيقة يجب علينا أن نستقبل هذه البادرات بما تستحقه من ترحيب، خاصة عندما تأتي من أشخاص مهمين مثل هذا الكاردينال الموقرّ. [١٤]

إن الحوار يجب ألا يخيفنا خاصة وأنه لا يعني أن أى طرف سوف يتنازل عن دينه أو أنه سيفرض دينه على غيره.

يبدي بعض المراقين تحفظهم إزاء الحوار خشية أن يكون ذلك معناه محاولة التوفيق بين الأديان أو توحيدها. لكن الحقيقة هى أن الحوار يعني الحوار بين اتباع الديانات لا الديانات نفسها حيث أن هذا مستحيل تماماً. وكمثال فإن الاختلافات بين المذهبين الأرثوذكسي والبروتستنتي لم يحدث أن تجاوزها أحد، فما بالك بالخلافات الواسعة بين الإسلام والمسيحية.

إذن لماذا تبذل الجهود من أجل التقارب؟ إنها تهدف في واقع الأمر إلى إيجاد أرضية مشتركة من التفاهم والتعايش السلمي. فالدين لن يكون واحداً إلاّ إذا تمكن أحد الأديان من أن يكون مهيمناً على الأديان الأخرى، وحيث أن كل طرف يؤمن بصدقية ديانته فإن أحداً منها لن يسلم للآخر.

ومطلوب منا أن نعتقد بإخلاص بضرورة الحوار بأحسن الطرق وأنبلها. من الواجب علينا أن نتعاون مع العقائد الأخرى لمواجهة موجات الإلحاد والمادية والفساد الخلقي الذي يهدد كل المؤمنين. لقد أحسنت الأمم المتحدة صنعاً بموافقتها على الدعوة لإعلان عام ٢٠٠٠م عام الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات.

---

(١٤) طاش، عبد القادر: صفحة جديدة للحوار (الأهرام، ١٤/ ١/ ٢٠٠٠) ص ١٠.

وتمشياً مع الدعوة للحوار، ألقى أنان **Annan** السكرتير العام (السابق) للأمم المتحدة محاضرة في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية **Oxford Center for Islamic Studies**، قوبلت بالترحاب في الأوساط الإسلامية ورابطة العالم الإسلامي والإيسيسكو.

كان أنان قد وصف الإسلام بأنه ليس فقطأحد الديانات العظمى في العالم بل أنه صنع حضارة عظيمة فوق العادة.

في العصور الوسطى تعلم المسيحيون من المسلمين في العلوم المختلفة، فأعمال الفلاسفة اليونانيين العظام التي اختفت في عصور الظلام في أوروبا، حرص العلماء المسلمون على صيانتها بترجمتها إلى العربية.

إن القوة التدميرية للأسلحة الحديثة جعلت من غير الممكن للحضارات المتنافسة اللجوء إلى الصراع المسلح كما كان عليه في الماضي، أما اليوم فلابد أن يكون الحوار سلميا.

وهذا الحوار يجب أن يكون مبنياً على مجموعة من القيم المشتركة والاحترام المتبادل وأن يستهدف إلغاء التمايز بين البشر مع الإبقاء عليها كمصادر للإقناع والقوة.

إن الإنسانية في حاجة إلى نظام أخلاقي، وإلى إطار من القيم والإحساس بوحدة البشر يسمح للتقاليد المختلفة بالتعايش. ويجب تمكين الناس من المحافظة على تقاليدهم دون اللجوء إلى الحرب فيما بينهم، يجب أن تكون لديهم الحرية الكافية لتبادل الأفكار وأن يتعلم كل منهم من الآخر. لقد أشار أنان إلى آية في القرآن هى الأية الثالثة عشر من سورة الحجرات: «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا".

وهذا يعني - كما قال - أنه يتوجب على كل أمة ليس فقط مجرد احترام كل منها لثقافة وتقاليد الآخرين بل أن تسمح لشعبها، رجالاً ونساء، بالاستقلالية في التفكير.

هذه الدعوات إلى الحوار المثمر بين الديانات المختلفة والثقافات المختلفة جديرة بالاهتمام الجاد والتفكير الايجابي. علينا أن نستثمر هذا الجو الجدي في أن نبين لبقية العالم الطبيعة الحقة لحضارتنا وثقافتنا بمبادئها النبيلة، يتوجب علينا أن نعمل بدأب لتحقيق مثلنا العليا.

إن المسئولين في بعض الدول الغربية يشاركوننا الاهتمام نفسه في دفع هذا الحوار إلى الأمام. ويعترفون بأن القضايا الرئيسية ذات الاهتمام الإنساني، توحدنا بصرف النظر عن اختلاف الديانات،

والثقافات والقوميات. لقد صرح المستر بيتر هين **Peter Haine** وزير الدولة ا لبريطاني للشئون الخارجية في إجتماع في ولتون يارك **Wilton Park** عن قيم الإسلام والغرب ومصالحهما المشتركة **Islam and the West، Values and Common Interests** بأن عدداً من الناس في الغرب يحملون أفكاراً خاطئة عن الإسلام في الوقت الذي يحمل فيه آخرون في العالم الإسلامي أفكاراً مشابهة عن الغرب.

عبر الوزير البريطاني عن أمله في أن تسود القيم الاسلامية كالعلاقات الأسرية والأهمية الكبرى التي يوليها الإسلام للعلم والتعليم. وفي نفس الوقت أعذر الدول المُضيفة في الغرب التي تخشى خطر الثقافات الأخرى على ثقافتها.

اعترف المستر هين بأن العلاقات بين المسلمين والغرب لم تكن هينة أو لينة. إن المظالم ترجع إلى عصور الحروب الصليبية والاستعمار، بل أن العلاقات الحالية بين أوروبا والعالم العربي أكثر حساسية. وذكر أن المسلمين يشكلون جزءاً حيوياً من المجتمع البريطاني، حيث يتواجد أكثر من مليون ونصف المليون مسلم في بريطانيا وحوالي عشرة ملايين مسلم في بقية أوروبا (وفقا لتقديره).

أما عن الأرهاب فإن ارتكابه باسم أية ديانة سواء كانت المسيحية أو اليهودية أو الاسلام هو مخالفة لمفاهيم تلك الديانات. دعا إلى رفض صدام الحضارات «**The Clash of Civilisations**»، وقال، إننا جميعاً نتوق إلى السلام لأنفسنا ولأبنائنا وذيوع التسامح والعدالة. (١٥)

وفي الحوار مع الديانات الأخرى سيتعين علينا أن نتعامل مع الآخرين بقلوب مفتوحة وأن نبذل جهودنا لنبذ سوء الفهم وأن نصحح أفكارنا الخاطئة وفهمنا الملتبس عن الإسلام. (١٦)

(١٥) أبو دومة، سيد: الدعوة إلى حوار حضاري بين الإسلام والغرب (الأهرام، ١٣/ ١٢/ ١٩٩٩)، ص ٢.

(١٦) عمارة، محمد: بين التسامح الإسلامي والتعصب الغربي (صوت الأزهر، ١١/ ٢/ ٢٠٠٥)، ص ٨.

القول بأن الإسلام إنتشر بحد السيف At Sword›s Point

ذكر المفكر الاسلامي الدكتور محمد عمارة أنه في دراسة له عن الخسائر البشرية في المعارك الشهيرة التي خاضها المسلمون، بلغت في مجملها ٣٨٦ فردا، بينما نقل عن وزير خارجية الولايات المتحدة الأسبق هنري كيسنجر Henery Kissinger أن موجات الحروب الدينية بين البروتستانت والكاثوليك في أوروبا حصدت أرواح ٤٠٪ أربعين في المائة من شعوب وسط أوروبا خلال النزاع بين المذهبين المسيحيين والذي استمر أربعين عاماً. وعلى العكس من ذلك فعندما انتصر الإسلام أقام دولة ولكنه لم يفرض ديانته. بهذه الروح، فتح المسلمون في ثمانين عاماً، مناطق أكثر اتساعاً مما استولى عليه الرومان في ثمانية قرون.

- الأصولية Radicalism:

يحلو لبعض الكتاب في الغرب أن يعتبروا الأصولية والارهاب شيئاً واحداً وهذا خطأ كبير. فالأصولية تعني الرجوع إلى المصادر الرئيسية. أعتقد أنه في كل دين توجد مصادر للإلهام واستخلاص الأحكام في مسائل العبادة والسلوك الأخلاقي والأمور المتعلقة بمناحي الحياة المختلفة. وهذا واضح في حالة الإسلام الذي يمتلك مجموعة من القواعد لكل شئ ولكافة مناحي الحياة اليومية. إن الذين يرتكبون الجرائم باسم الدين هم في الحقيقة ثوار من أجل أهداف سياسية. وفي الوقت نفسه من الظلم أن نعتبر الذين يحاربون من أجل قضاياهم الوطنية إرهابيين. لماذا لم يفعل الغرب ذلك بالنسبة لحركات المقاومة الوطنية ضد الاحتلال النازي لأوروبا، أو في حالة المحاربين من أجل الحرية **Freedom Fighters** في أفريقيا ضد الحكم الاستعماري؟ فهل هذا ازدواجية في المعايير، أم ماذا؟!

- تصريحات بابا الفاتيكان الجديد:

للأسف، تناقلت وسائل الإعلام المختلفة تصريحات استفزازية للبابابنديكت الرابع، حيث صرح بأن من المهام الرئيسية للفاتيكان تنصير المسلمين في أنحاء العالم، وهذا ينسف كل الجهود التي بذلت للحوار ويبرر الرد عليه بالمثل وفي ظل هذه الروح العدائية سيكون من الصعب العودة إلى استئناف الحوار مع الكنيسة الكاثوليكية بالذات - لعدم جدواه.

لقد كان من الأولى للبابا بنديكت أن يوجه جهوده للمحافظة على الكاثوليكية لا تنصير المسلمين، فالإسلام دين جاذب يكسب في كل يوم أرضاً جديدة من أهل العلم والفكر، ولا يخرج منه إلا جاهل بتعاليمه أو محتاج أو واقع تحت ضغط الإغراءات، وما أكثرها!.

الفصل الثاني

حرية الفكر والاعتقاد

إن القرآن الكريم يعترف بوضوح باستقلالية الرأى للجميع، أما الطاعة المطلقة فهي لله عز وجل ولرسوله، كما نص القرآن على طاعة أولى الأمر مع طاعة الرسول، وفي حالة الخلاف فيجب أن يُرد إلى الله ورسوله، أى القرآن والسنة. بالتالي فإن صحابة رسول الله والأئمة الأربعة الذين يشملهم مصطلح «أولو الأمر» تجب طاعتهم. الاختلاف مع أى منهم أو معهم جميعاً جائز بشرط توافر الدليل من القرآن والحديث. وحيث أن صحة الحديث مناطها القرآن نفسه، فهذا يعني أن الإسلام يجيز استقلالية الرأى بشرط واحد هو أن المبادئ الواردة في القرآن الكريم لا تخالف(١٧).

الإسلام يتطلب الإيمان لا بالقرآن وحده بل بكل الكتب التي أنزلها الله عز وجل حيث أن كل نبي جاء ومعه كتاب. هناك كتابانٍ فقط ورد ذكرهما تحديداً، هما التوراة (كتاب موسى) والانجيل (كتاب عيسي). وقد ورد أن داود أُعطى (الزبور)، كما أن (صحف إبراهيم وموسى) ورد ذكرهما سوياً.

ويتوجب على المسلم أن يؤمن لا بالكتب التي ورد ذكرها بل بكتب الأنبياء جميعاً. فالوحي ليس عاماً **Univesal** فقط بل متواتر **Progressive**، وتمت الرسالة على يد خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. (١٨)

من ثم فإن الاسلام جاء بالمساواة بين المسلمين ومن كانوا من أهل الذمة (انتهى هذا التعبير بقيام الدولة المدنية في القرن التاسع عشر الميلادي) فلهم الحقوق نفسها وعليهم الواجبات نفسها، وحريتهم الدينية مكفولة، يتضح هذا الأمر - بالإضافة إلى أمور أخرى - في التالي:

* لا إكراه لأحد على ترك دينه واعتناق دين معين.

* «لا إكراه في الدين» البقرة: آية ٢٥٦»

* لهم الحق في أداء شعائرهم: فالكنيسة لا تمس، ولا يكسر لهم صليب.

* المرأة اليهودية أو النصرانية لها حق الذهاب إلى معبدها أو كنيستها، وليس من حق الزوج المسلم أن يمنعها من ذلك، بل وعليه أيضا القيام بتوصيلها إلى أماكن عبادتها وانتظارها خارجها، ثم العودة سوياً إلى دارهما.

---

(17) Ali, Maulana M.: The Religion of Islam, PP. 114-115.
(18) Ibid, PP. 208-209.

* السماح لليهود والنصاري بأن يأكلوا من أى طعام أحل لهم في دينهم، ولا يسمح بقتل خنازيرهم أو سكب خمورهم.

* في حالات الزواج والطلاق والإنفاق لهم مطلق الحرية في أن يتصرفوا كما يحلو لهم دون أية قيود أو محظورات.

* كرامتهم وحقوقهم مصونة، فلهم أن يتباحثوا وأن يختلفوا مع غيرهم في هدوء وبمنطقية:

* «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون" سورة العنكبوت: آية ٤٦.

* في العقوبات والميراث فهم متساوون مع المسلمين.

* أجاز الإسلام للمسلمين أن يأكلوا من طعامهم وأن يتزوجوا منهم.

* (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب). سورة المائدة : آية ٥

* وأحل كذلك زيارتهم وعيادة مرضاهم وتقديم الهدايا وغير ذلك من المعاملات، ويُؤثر أنه عندما كان صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ينحرون ذبائح، كانوا يقدمون أفضل أجزائها إلى جيرانهم اليهود. [١٩]

* عندما أجرت مجلة المصور المصرية حديثاً مع المرحوم الشيخ مصطفى المراغي شيخ الأزهر الأسبق، وطلبت منه أن يعلق على اتهام برنارد شو بأن الأزهر يقف ضد حرية الفكر، رد عليه بقوله: «فليعلم (شو) أن الإيمان لا يتأتى بالإكراه. فقد ورد في القرآن في الأية ٢٥٦من سورة البقرة: «لا إكراه في الدين". وفي الأية ٩٩ من سورة يونس:

* : ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين «. وفي الأية ١١١ من سورة البقرة: «وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين". [٢٠]

(١٩) سابق، السيد: فقه السنة، مجلد ٢، ص ص ٦٠٤-٦٠٥.
(٢٠) المراغي، الشيخ مصطفى : حرية الفكر في الإسلام (ملحق مجلة الأزهر الشهرية، أبريل ٢٠٠١) ص ٥٧.

* إن رسالة سيدنا محمد العالمية، الغت - باعتبارها الرسالة الخالدة - كل صور التمييز وشددت على أخوة الإنسان لأخيه الإنسان. «من اليوم لا تمييز على أساس الأمة أو الجنس، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى". فالحرية والديمقراطية والمساواة الكاملة وغير ذلك من المثل العليا أوردها الرسول الكريم وحققها في واقع الحياة. (٢١)

* دعا الإسلام إلى وحدة العبادة، فقد جاء في الأية ٦٤ من سورة آل عمران: «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله".

وفيما يتعلق بموقف الاسلام من الديانات السابقة فإنه يقر لمعتنقي هذه الديانات بحرية الاعتقاد فيها ويعترف بنبوة **Prophethood** هذه الديانات، «والذي أوحينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقاً لما بين يديه" سورة فاطر : آية ٣١ .وللناس أن يختاروا فما على الرسول إلا البلاغ.(٢٢)

قارن بين موقف الاسلام وموقف بعض «الدول الكبرى» التي تعتبر نفسها مسئولة عن حقوق الانسان بينما تمارس أبشع أنواع القهر ضد الأقليات المسلمة في بلادها ولا يعيرون أدنى اهتمام بالمذابح في فلسطين وغيرها.

ولسوء الحظ، فإن البعض من أهل الكتاب يتصورون أن إهانة سيدنا محمد ورسالته هي خدمة لدينهم. أحد هؤلاء- يدعي ماكسيم روبنسون **Maxim Robinson**، مدرس بالجامعة الأمريكية بالقاهرة وهو صهيوني فرنسي قرر لتلاميذه كتابا بعنوان «محمد **Mohammad**» مليء بالاتهامات الباطلة والحقد على الإسلام. وبمقتضى إعمال روح التسامح في الإسلام أُكتفي بمنع المدرس من تدريس هذا الكتاب، وطلبت الجامعة الأمريكية العفو عنه. وعليه فلم يلحق بهذا المدرس أى أذى وظل في عمله بالجامعة.(٢٣)

أعتقد أنه لا توجد أمة يمكنها أن تتسامح في توجيه إهانات إلى عقيدتها، أو أن تقبل أن يظل مثل هذا المدرس على أرضها.

يتجلى الحقد على الاسلام ونبيه الكريم في الرسوم الكاريكاتيرية التي تسخر من الاسلام ونبيه

---

(21) Shudeinde, Y. P.o.: Mankind needs muhamed, the Guardian (Nigeria) 14/9/1984,P. 11..

(٢٢) بنت الشاطئ: حرية العقدية، الأهرام ٢٢/ ١/ ١٩٩٧، ص ١٩.

(٢٣) مرجان، محمد مجدي: حرية العقيدة وسماحة الإسلام (الأهرام، ١٥/ ٧/ ١٩٩٨)، ص ١٠.

الكريم والتي بدأتها صحيفة دنمركية وتلتها صحف أوروبية تنشرها بين الحين والحين.

إذا انتقلنا إلى بيان الحريات التي كفلها الاسلام، سنجد مايلي:

* الحق في الحياة ولا عدوان على الأنفس.
* الحق في الحرية، إذ أن الناس جميعاً ولدوا أحراراً.
* الحق في المساواة دون تمييز بسبب العقيدة أو اللون أو الديانة.
* الحق في الحصول على العدالة ولا تظالم.
* الحق في إجراء محاكمات عادلة.
* الحق في الحماية من التعذيب.
* الحق في صون خصوصية الفرد وسمعته.
* الحق في اللجوء (Asylum)
* كفالة حقوق الأقليات في ظل القاعدة الإسلامية «لا إكراه في الدين".
* الحق في المشاركة في مختلف مناحي الحياة.
* الحق في حرية الفكر والتعبير.
* احترام آراء المعارضين.
* كفالة حرية الأديان.
* الحق في أن ينشر المرء أفكاره ويدعو لها.
* الحق في المشاركة في النشاط الاقتصادي.
* كفالة حقوق العمال.
* الحق في توفير ضروريات الحياة.
* الحق في إعالة أسرته. (٢٤)

(٢٤) بدوي، عبد الرحمن: حقوق الانسان في الاسلام (الأهرام، ٢٩/ ١/ ١٩٩٨م). ص ٢٢

في الوقت الذي كانت تهدم فيه المساجد والكنائس في الكثير من أنحاء العالم، دعا الرئيس السادات قبل وفاته إلى إقامة مجمع للمؤمنين باليهودية والمسيحية والاسلام، في سيناء، أكثر من ذلك فقد كان ينتوي وضع كتاب عام في التربية القومية Civics للطلاب مبني على مبادئ المسيحية والاسلام. [٢٥]

الرِدّة

الردة Apostacy ومعناها التحول عن الاسلام إلى دين آخر بالأقوال أو الأفعال. المرتد يفقد حقوقه المادية وممتلكاته الشخصية مع ابطال زواجه. ومن المتفق عليه ضرورة إنهاء حياته، ويخلد في النار في الآخرة. [٢٦]

وفي الأديان الأخرى، تتبع قواعد مماثلة:

ففي اليهودية:

نص العهد القديم The Old Testament على أن من يعتنق اليهودية ثم ينكر شيئا من قواعدها تنتهي حياته، والشئ نفسه لمن ينكر الديانة كلها بطبيعة الحال.

سفر التثنية: تث ٨-١٣	Deuteronomy: ٨-١٣
سفر التثنية : تث ٢-٧	Deuteronomy ١٧ : ٢٠٧
سفر التثنية : تث ٣-١١	Deuteronomy: ٣-١١

وفي المسيحية:

نص العهد الجديد The New Testament على أنه إذا كانت هناك أية قاعدة أو حكم في العهد القديم فلا ينبغي البحث عنها في العهد الجديد. ومن ثم فإن القاعدة بالنسبة للمرتد في المسيحية هى نفس القاعدة في اليهودية، «لأن المسيح نفسه لم يلغ العهد القديم»:

(٢٥) على، سعيد إسماعيل: التسامح في مقررات المواطنة (صوت الأزهر، ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠)ص ١٢.

(٢٦) تقرير عن الحالة الدينية في مصر، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية (الأهرام، ١٩٩٥).

لاتظنوا أني جئت لأنقض الناموس: مت ٥-١٧ **Mathews ٥-١٧**

وقال :" على كرسي موسي جلس الكتبة والفريسيون، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه".
Mathews ٢٣: ٢-٣

من المقرر أن مخالفة ناموس موسى **The law of Moses** يستحق عقوبة الموت حتى لو كان الشخص المدان يؤمن بالله واليوم الآخر.

مرقص ٣: ١-٦ **Mark ٣: ١-٦**

أنه من الجدير بالذكر أنه وفقا لأيات العهد القديم والعهد الجديد، فإن المسيحيين - في نظر اليهود - يعتبرون مرتدين عن دين موسى، لهذا السبب فإن الأحبار اليهود طاردوا المسيحيين في كل مكان لتنفيذ القتل باعتبارهم مرتدين عن قانون موسى ودينه **Law and Religion of Moses** .

ورداً على ذلك يقول المسيحيون أنهم ليسوا مرتدين لأن العهد القديم نفسه قال انه سيأتي من بعد موسى نبي يلغي قانونه. وقد جاء هذا النبي بالفعل ألا وهو يسوع المسيح **Jesus Christ**، وتطبيقا لتعاليم العهد القديم بالايمان به (المسيح)، وهو مالم يفعله اليهود، فإن اليهود في الواقع هم الكفار. ويرد اليهود بدورهم بأن النبي الموعود لم يأت بعد، إذ أن وصفه كما جاء في العهد القديم لا ينطبق على يسوع المسيح. (٢٧)

وفي الاسلام:

من أُكره على إعلان كفره بينما يكن الإيمان في قلبه ليس مرتداً. والكافر، في حال التحول إلى أى دين بخلاف الإسلام لا يعد مرتداً. وينطبق الشئ نفسه على من يتحول من الكفر إلى اليهودية أو المسيحية، لأنه تحول إلى دين أعلى والشئ نفسه ينطبق على حالة التحول إلى دين مساو، كالتحول من اليهودية إلى المسيحية أو العكس، حيث أن كليهما ديانة سماوية. وإذا تحول اليهودي أو المسيحي إلى المجوسية فإن تحوله لا يقبل لأنه يعني التحول من دين أعلى إلى دين أدنى.

ارتكاب المعاصي ليس سبباً في اعتبار المسلم مرتداً، حتى لو حمل بعض أقواله أو أفعاله على الشرك طالما أنه لم يقصد الشرك. ووفقاً للحديث، فإنه إذا رمى أحدٌ أحداً بالشرك فقد باء به أحدهما.

---

(٢٧) السقا، أحمد حجازي، حكم المرتدين عند المسلمين وأهل الكتاب، الجزء الأول، ص ٣٥.

ولكن، هناك أفعال أو أقوال أو إشارات تشي بدخول شخص في الشرك، مثل:

* إنكار معلوم من الدين بالضرورة.

* استحلال المقطوع بتحريمه، كالخمر والزنا والربا وأكل لحم الخنزير.

* تحريم المقطوع بحله.

* السخرية من النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو أى من الأنبياء.

* السخرية من الدين، والاستهزاء بالقرآن والسنة والدعوة إلى التخلي عنهما، وتفضيل الحكم بالقوانين الوضعية.

* إلقاء القرآن أو كتب الحديث في النجاسة من باب عدم التوقير.

* عدم احترام أسماء الله الحسنى وأوامره ونواهيه، إلا أن يكون حديث عهد بالاسلام، عندما قال أو فعل شيئا من هذا بسبب عدم درايته. وحديث الانسان لنفسه بالشرك، دون أن يتبع ذلك بالقول او الفعل، لا يعد شركاً حيث أن هذا من عمل الشيطان.

الردة تحبط فضائل الأعمال وتوجب العذاب الأليم في الآخرة والخلود في النار. الرجال والنساء متساوون في العقوبة على إتيان الإثم نفسه.

في حالات كثيرة قد تعزي الردة إلى الشك، لهذا أمر الإسلام بالمهلة، لإعطاء الفرصة لإعادة التفكر والتدبر، وبعدها تناقش شكوكه: فإذا أصر على موقفه، تطبق العقوبة، وهى الحكم بالقتل. المهلة المسموح بها فيها خلاف، يقول البعض بأنها ثلاثة أيام، ويقول آخرون بأنها إلى الأبد بينما يرى معظم الفقهاء أن المهلة تنتهي عند التيقن من أنه لا جدوى من استمرارها.

* (فيما يتعلق بما يترتب على الردة:)فصم عرى الزوجية.

* لا يرث أحداً من أقاربه، أما ممتلكاته هو فإنها تذهب إلى ورثته.

* فقد أهلية عقد زواج أبنائه وبناته. [٢٨]

إن قوانين الردة في مصر تهدف إلى حماية المجتمع من أولئك الذين يرغبون في التحول من دين إلى

(٢٨) سابق، السيد: مصدر سابق، مجلد ٢، ص ص ٤٥٠-٤٦٠.

دين آخر كحل لمشاكلهم الشخصية.

في الواقع فإن قضايا الردة نادرة جداً وهى حيل قانونية أكثر من كونها راجعة إلى أسباب دينية.[٢٩]

فيما يلي بعض حالات متعلقة بالردة والفتوى الخاصة بكل منها:

* ذكر بعض الشباب المسلم في اليونان أنهم كانوا مضطرين للارتداد إلى المسيحية لتسهيل الزواج من مسيحيات للحصول على تصاريح إقامة وعمل. طلبوا من القنصلية المصرية في أثينا أن توثق زواجهم كمسلمين باعتبار أنهم حافظوا على الإسلام في قلوبهم، وأن تصدر القنصلية جوازات سفر لأبنائهم كمسلمين.

الإجابة: هؤلاء الشباب توجهوا إلى الكنيسة برغبتهم لاعلان اعتناقهم المسيحية.وعليه فإنهم مرتدون. ولكن حيث أنهم أبدو رغبتهم في العودة للاسلام، فإن توبتهم تقبل وعليهم أن يعلنوا ذلك صراحة. ويمكن إعادة توثيق زواجهم طبقا لأحكام الديانة الإسلامية، المعروف أنه من المسموح به الزواج بمسيحيات أو يهوديات. أما بالنسبة لأبنائهم فيجب تسجيلهم كمسلمين ولهم بالتالي كافة حقوق المسلمين.[٣٠]

* زوجة مسلمة متزوجة من شخص كان مسيحياً واعتنق الاسلام قبل الزواج. طلب من صديق له أن يجدد له جواز سفره، قام هذا الصديق بما طلب منه وأعاد له جواز سفره متضمنا نفس البيانات الخاصة به عندما كان مسيحياً، بزعم أن إثبات ديانته الجديدة (الإسلام) في جواز سفره لن يكلفه وقتاً أو اجراءات طويلة. وعندما اكتشفت الزوجة ذلك بمحض الصدفة، تشككت في حقيقة ديانته، والزوج لم يأت بأقوال أو أفعال مجافية للإسلام.

الإجابة: حيث أن الزوج لم يعلن ارتداده عن الإسلام بأفعال أو أقوال فإنه لا يزال مسلماً ومن الضروري أن تعود زوجته إليه.[٣١]

* مسلمة ارتدت عن الاسلام لتتزوج بمسيحي.

(٢٩) الفتاوي الإسلامية، الجزء العاشر، ص ص ٣٦٨٨ - ٣٦٨٩ (المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، ١٩٨٣.

(٣٠) الفتاوي: المصدر نفسه مجلد ٩ ص ص ٣٢٣٨ - ٣٢٤١ (١٩٨٣).

(٣١) الفتاوي: المصدر نفسه، مجلد ٩، ٣٢٤٢ - ٣٢٤٤.

الاجابة: رغم أن الاسلام أمر بالمساواة في المعاملة بين الرجل والمرأة، فإنه رغم النص على أن المرتد يجب قتله، فإن الحكم بالنسبة للمرأة هو أن تحبس وتؤمر بالتوبة، حتى لو بقيت على هذا الحال إلى الأبد. (٣٢)

* أثير سؤال في المملكة العربية السعودية : الذين يقولوَن أنه في حالة عدم تطبيق الحاكم المسلم للعقوبة المفروضة على المرتد، يكلف بعض المسلمين بتطبيقها.

الاجابة: تطبيق العقوبة من اختصاص الحاكم تماماً، وليس متروكاً للأفراد، وذلك تفادياً لقيام الفوضى جراء تطبيقها. وفي حالة عدم وجود حاكم مسلم، «يكتفي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر». (٣٣)

من الجدير بالذكر أنه في كل القوانين الوضعية فإن عقوبة الخيانة العظمى هى الإعدام. ومن المسلم به أن أمن أى نظام للحكم من الأمور المقدسة. وأى محاولة ضد نظام الحكم يعاقب عليها بشدة. ولكن عندما يأمر الله عز وجل بأن يطبق نفس الحكم على خيانة الدين، يقول كثير من الناس أن هذا مجاف لحرية الفكر. وهذا أمر عجيب. (٣٤)

وفي حين أن الإسلام يضمن حرية الفكر ويحميها فعلينا أن نعلم أن حرية الفكر ليست نقيض الإيمان. فالحرية في الإسلام يجب أن تكون مقيدة بضوابط هى في حقيقتها لمصلحة المؤمن لسبب بسيط هو أن الله عز وجل لا تنفعه هذه القيود ولا تضره.

صرح المفكر الاسلامي الدكتور محمد سليم العوا في حديث له نشرته صحيفة اللواء الإسلامي في عددها رقم ١٣٥٩ الصادر في ٧/ ٢/ ٢٠٠٨م.في الصفحة الثالثة، بما يلي: (الردة لاعلاقة لها بحرية الاعتقاد أصلا، فإذا رأى أحد أن لديه مشكلة مع العقيدة الإسلامية واختار أن يرتد عنها فلا شأنه لنا به، وإنما شأننا مع المرتد المحارب فهناك نوعان من الأحكام في شأن الردة، أحدها مدني يتعلق بالحياة المدنية، والآخر يتعلق بالتنظيم الجنائي، فالأحكام المدنية تطبق فور الردة فينفسخ الزواج والعقود. أما الجانب الجنائي فلإبن تيمية شرح فيه لم يسبقه إليه أحد حيث قال، أن الأحاديث

(٣٢) الفتاوي: المصدر نفسه، مجلد ٦ ص ص ٢١٢٥ – ٢١٢٧.

(٣٣) مراجعات في فقه الواقع السياسي: الرياض، العربية السعودية، ١٩٩٤ص ٨٧.

(٣٤) بنت الشاطئ : حرية العقيدة (الأهرام ٥/ ١/ ٢٠٠٠ ص ١٨.

المجملة كحديث «من بدل دينه فاقتلوه» بينتها أحاديث أخرى كحديث «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بثلاث، الثيب الزاني ورجل قتل نفسا فإنه يقتل بها ورجل فارق الجماعة وخرج محاربا لله ورسوله وقال. إن المحارب لله ورسوله هو من بدل دينه فاقتلوه أى أن القتل للمحاربة - هناك قاعدة تقول أن القتل ليس لازماً للمرتد، وإنما هو عقوبة جوازية وتعزيزية، توقع إذا وجد موجبها وموجبها هو محاربة الدولة أو الأمة الاسلامية، وهذه المحاربة قد تكون بالسلاح أو باللسان، كأن يتطاول المرتد على القرآن أو الرسول أو أن يشيع بين ا لناس الكفر، فهذا من يجوز لنا أن نقتله تعزيراً».

الزندقة

الشخص الذي يظهر الاسلام ويخفي الإلحاد يعتبر زنديقاً. والشخص الذي يؤمن بالاسلام ظاهراً وباطناً ولكنه يفسر الحقائق المستقرة على نقيض تفسيرات صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين وما استقر عليه الفقهاء، هو زنديق. وكمثال على ذلك، الشخص الذي يعتبر أن القرآن حق وأن ما جاء به عن الجحيم حق، ولكنه يفسر الجنة بأنها تعني التمتع وأن الجحيم عكس ذلك ولكن دون وجود حقيقي لأى منهما.

بالنسبة للتأويل، هناك نوعان من التأويل:

* تأويل لا يتناقض مع أى من الثوابت كما جاء في القرآن والسنة وإجماع الفقهاء.

* تأويل يناقض الثوابت، وهذا زندقة.

والشخص الذي ينكر الشفاعة ومشاهدة الله عز وجل في الآخرة وعذاب القبر (الحياة البرزخية) أو الحساب، من المتفق عليه بين الفقهاء أن مثل هذا الزنديق يقتل. (٣٥)

الساحر:

هناك اتفاق بين علماء المسلمين بأن السحر له تأثيره، وأن من يؤمن باستحلاله كافر، ولكن هناك خلاف حول طبيعة السحر عما إذا كان حقيقة أم وهما.

الخلاف قائم بالنسبة للساحر نفسه: قال أبو حنيفة ومالك وأحمد أنه يجب إعدامه بسبب تعلمه السحر وممارسته.

(٣٥) سابق: مصدر سابق، الجزء الثاني ص ص ٤٦١-٤٦٢.

وقال الشافعي وفقهاء الظاهرية، إنه إذا كانت كلماته وأفعاله تعد من الشرك، فإنه يعد مرتداً ويجب أن تطبق عليه أحكام الردة، مالم يتب. ولكن إذا كانت أقواله وأفعاله لاتعد من أعمال الردة، فلا يقتل ولكن يعد عاصيا.

من الواضح إذن أن السحر معصية وذنب عظيم، ولكن إعدام الساحر ليس بسبب السحر، وإنما لأنه أحل حراماً.

وقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الكبائر السبع ومنها السحر. استشهد ابن حزم بالحديث" لا يقتل المسلم، إلا للردة، والزنا، والنفس بالنفس". وحيث أن الساحر ليس من بينهم، فلا يجب قتله.

وعلى النقيض من ذلك فإن الشيعة يعتبرونه مرتداً وتطبق عليه أحكام الردة. (٣٦)

العراف والكاهن:

يرى أبو حنيفة أنهما يستحقان القتل. لكنه في قول له حكم بالعفو عنهما إذا تابا. (٣٧)

ويرى المتقدمون من أتباع أبي حنيفة أنهما إذا كانا يعتقدان أن الجن يمكنه أن يصنع لهما ما يريدانه، فإنهما يعدان كافرين، أما إذا كانا يعتقدان أن الأمر كله محض خيال فإنهما لا يعدان كافرين(٣٨)

التكفير

تقر عقيدة الإسلام أن الانسان ليس مبرَّءاً من الذنوب، ولذلك فإنه يحث على الاستغفار، والذين يرتكبون الخطايا ولا يستغفرون يواجهون تهمة الكفر وغير ذلك من إتهامات بالإلحاد والشرك.

يؤمن الإسلام بعصمة الأنبياء والانجيل نفسه يتضمن أدلة واضحة عن عصمة الأنبياء، وهذا ما ورد في الأيات:

---

(٣٦) سابق: المصدر نفسه، الجزء الثاني ص ٤٦٢.

(٣٧) سابق:: المصدر نفسه، الجزء الثاني ص ص ٤٦٢-٤٦٣.

(٣٨) سابق: المصدر نفسه، الجزء الثاني، ص ٤٦٣.

(١:١٥.LK) ,(٣٧:٣١.Ps) ,(١,٣ :Ps,١١٩) ,(١٨:١٣ .Deut),(٦:٣٩ :.Qen)
.(٧,١٨):MK١٠)

وعليه فإن مبدأ عصمة الأنبياء متفق عليه في كل من القرآن والانجيل، بينما يؤمن الكاثوليك يعصمه البابا وهو ما ينكره الأرثوذكس كما جاء في الحديث عن زيارة البابا لمصر.

مع ذلك فإن المسيحيين الذين يكتبون عن الاسلام أجهدوا أنفسهم في إثبات أن مبدأ عصمة الأنبياء مخالف للقرآن، وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة، فالاسلام لم يكتف بذكر الأنبياء بأعلى درجات التكريم بل أنه نص صراحة، على أن الأنبياء لم يتجاوزوا في أقوالهم أو أفعالهم أوامر الله:

«وما أرسنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون.» (الأنبياء: آية ٢٥).

وبالنسبة للأفراد فقد أصبح التكفير تهمة سهلة في حق من يختلفون معهم في الرأى. هذه التهمة مرفوضة تماماً. من الجائز أن يكون بعض الناس غير ملتزم بتعاليم الاسلام كأن يتكاسل عن أداء الصلاة أو عدم صيام رمضان، مثل هذا الشخصي الذي لا يلتزم تكاسلاً ليس كافراً، وفي هذه الحالة ليس لأحد أن يتهمه بالكفر، أما إذا كان الشخص غير ملتزم، تحقيرا للإسلام فإنه كافر(٣٩).

حرّم الله عز وجل الزنا وشرب الخمر ونص على العقوبة في كل حالة، وهذا يعني أنه قد علم في الأزل أن هذه الخطايا سترتكب، ولكن هذا لايعني أن مرتكبها لم يعد مسلماً، بل يجب نصحه للإقلاع عن هذه الخطايا. (٤٠)

وفي هذا الصدد، سئل الشيخ الدكتور الفوازن، عضو اللجنة الدائمة للبحث العلمي والافتاء في السعودية عما يلي:

* بعض الناس يرمون مجتمعاتهم» بالجاهلية» وهذا قرين الكفر، فهل هذا صحيح؟

الاجابة: بمجئ الرسولصلى الله عليه وسلم، فإن الجاهلية بمعناها العام انتهت، ولكن قد تبقى في البعض، آثار الجاهلية.

---

(39) Ali, Maulana M. :op.cit., PP. 233-234.

(٤٠) شعراوي، محمد متولي: أنت تسأل والإسلام يجيب ص ص ٨١/ ٨٢.

* بعض الذين يتهمون بعض المجتمعات الاسلامية بالجاهلية يسعون إلى اتهامهما بالكفر، فما رأيكم؟

الاجابة : ليس لأحد أن يحكم على شخص أو مجتمع هكذا، فحالات الكفر محددة تماماً، وهى من اختصاص الحاكم المسلم وليس من اختصاص آحاد الناس، كما أنها من اختصاص علماء المسلمين الذين يبحثون في كل حالة بإمعان ويعرضون قرارهم على الحاكم. في كل الأحوال فهي ليست من اختصاص عوام المسلمين.

* بعض الناس يبررون الثورة على حكوماتهم دون أسباب شرعية، ماهو الطريق الصحيح الذي يجب اتباعه إزاء الحاكم المسلم وغير المسلم؟

الاجابة: بالنسبة للحاكم المسلم، نحن مأمورون بالسمع والطاعة له، ولكن :" فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر" (سورة النساء: آية ٥٩)

ولسنا مأمورين بطاعة الحاكم في معصية الله.وبالنسبة للحاكم غير المسلم، فعلينا أن نتجنبه حتى لا نعطيه الفرصة لتدميرنا. لقد مكث الرسول في مكة ثلاثة عشر عاماً، ولم يسمح للمسلمين بمحاربة الكفار طوال هذه المدة، إلى أن جاء الأمر بالهجرة. [٤١]

الولاية

يثور من حين لآخر جدل حول وضع غير المسلمين في الدول المسلمة بشأن توليتهم المناصب العالية أو الولاية.

لقد سمح المسلمون منذ قرون عديدة بالحوار مع غير المسلمين، وجاء الأمر الإلهي: (وجادلهم بالتي هى أحسن) سورة النحل: آية ١٢٥).

في الواقع شمل هذا الحوار كل شئ وأى شئ حتى الأمور المتعلقة بالعقيدة الإسلامية. يرجع بعض هذه الحوارات إلى زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأجرى الحوار يوحنا النيافي John the Niafy الذي عبر عن تحفظه بل ونقده للإسلام، وأجرى متي بن يونس حواراً مع فقيه شافعي في أوائل القرن الثاني للهجرة، كما أجرى يوحنا الدمشقي حواراً مع علماء مسلمين في

(٤١) الفوزان، صالح: مراجعات في الفقه السياسي والفكري (الرياض، ١٩٩٤).

قصر أحد الأمراء الأمويين. فليس هناك اعتراض على مثل هذه الحوارات طالما التزمت بالموضوعية ولم تهدف إلى اثارة الفتنة أو التحريض.

هناك سوء فهم واسع حول بعض آيات القرآن الكريم، منها:

١. «لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين (إلا أن تتقوا منهم تقاة) سورة آل عمران: آية ٢٨.

٢. «يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر" سورة آل عمران: آية ١١٨"

٣. يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم"- سورة المائدة آية ٥١".

إن القراءة بتدبر للأيات السابقة واللاحقة للأيات المذكورة أعلاه تظهر أنه لا علاقة بينها وبين التعامل العادي مع غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، فهي تخص فقط أولئك الذين يقترفون العدوان على الإسلام ومن يحاربون المسلمين - إنه من المنطقي أن تجنيب الأمة، أية أمة، عدوان أعدائها هو الواجب المستمر لحكامها.

* في الأية (بند١) فإن المؤمنين مأمورون بألا يتخذوا غير المؤمنين (ليس من بينهم أهل الكتاب) أصدقاء ويعينوهم ضد المسلمين ويرشدوهم إلى مواضع ضعف القوات الاسلامية.

* وفي الأية (بند٢) صدر الأمر للمؤمنين بعدم موالاة من عرف عنهم خداع المسلمين والتآمر ضدهم. أما غيرهم غير المتورطين في أنشطة معادية، فيمكن أن يكونوا أصدقاء رغم عدم انتمائهم للإسلام.

* وفي الأية (بند٣) أُمر المؤمنون بأن يطهروا مجتمعاتهم من مخططات المنافقين ومؤامراتهم الذين يقدمون سراً العون لفصيل معين من أهل الكتاب الذين شنوا الحرب على المسلمين في معركة الحياة أو الموت. [٤٢]

التعامل مع أهل الكتاب:

قال الله عز وجل «ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا

(٤٢) هويدي، فهمي: تساؤل حول الولاية (الأهرام، ٦/٦/ ١٩٩٥) ص٩.

بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وآلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون». سورة العنكبوت: آية ٤٦ .

يتوجب على المؤمنين ألا يجادلوا أهل الكتاب أى اليهود والنصاري إلا بالتي هى أحسن. وعند مجادلتهم يجب على المسلمين أن يترفقوا بهم وأن يتسم خطابهم بالحكمة دون سخرية أو تطاول.

إن القرآن الكريم يأمرنا أن نفعل ذلك، في عدة آيات منها:

«أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن» سورة النحل: آية ١٢٥ .

من الواضح كذلك أن مجادلة أهل الكتاب والاختلاف معهم، بصفة خاصة ومع غيرهم بصفة عامة، كما حددهما القرآن ا لكريم، يتميزان باتباع الحسنى في كل خطاب او حدث أو مسألة. (٤٣)

حقوق الإنسان بين الغرب والإسلام

لعقد مقارنة بين الإسلام والغرب في مجال حقوق الإنسان، نقول:

فيما يتعلق بالمنهج الغربي:

درج الناس في الغرب على أن ينسبوا إلى أنفسهم كل خير ويحاولوا أن يبرهنوا على أنه بفضلهم حصلت البشرية على كل الميزات، فهم يزعمون أن العالم أخذ فكرة حقوق الإنسان من الوثيقة العظمى **Magna Charta** (الماجنا كارتا)، ويقصد بها وثيقة الحقوق التي أكره النبلاء الانجليز الملك جون على إقرارها في سنة ١٢١٥ والتي تشكل ضمانا أساسياً للحقوق.

ونسبها آخرون إلى جان جاك روسو **J.J. Rousseau** الفيلسوف الفرنسي الذي ندد بفكرة الاستعباد، متجاهلين أن أول من أعلنها هو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب قبل روسو باثنى عشر قرناً.

وفي تاريخ لاحق في نهاية القرن الثامن عشر ورد ذكر فكرة حقوق الانسان في دساتير الولايات المتحدة وفرنسا، ثم تلتهما دول أخرى.

وفي منتصف القرن العشرين أصدرت الأمم المتحدة إعلان الأمم المتحدة لحقوق الانسان. لقد انتهكت حقوق الانسان ووطئتها الأقدام في أماكن كثيرة، ووقفت الأمم المتجدة لا حول لها ولا

(٤٣) طنطاوي، محمد سيد: هذا هو الإسلام، (صوت الأزهر، ١٣/ ٥/ ٢٠٠٢) ص ١٦ .

قوة، والأمثلة كثيرة عن قرارات لحماية حقوق الفلسطينيين، خصوصاً عندما أصدر مجلس الأمن قراراً بإرسال بعثة تقصي الحقائقFacts finding mission إلى فلسطين عقب أحدي المذابح التي ارتكبتها القوات الإسرائيلية. ورغم إدخال تعديلات على طبيعة المهمة إرضاء للغطرسة الاسرائيلية بدعم كامل من الولايات المتحدة، فإن أمين عام الأمم المتحدة في ذلك الوقت (كوفي أنان) سحب القرار في إجراء لم يسبق له مثيل في تاريخ هذه الهيئة الدولية استجابة للضغوط الأمريكية / الإسرائيلية عليه.

المنهج الإسلامي:

حقوق الانسان في الإسلام هى منحة من الله، لامن حاكم أو رئيس جمعية تشريعية يطبقونها متى شاءوا وينكثون عليها متى شاءوا ويخرقونها متى أرادوا. حقوق الإنسان – المنحة الربانية – لا يمكن سحبها أو تعديلها أو الغاؤها من قبل أية سلطة على الأرض، إنها ليست منحة على الورق بهدف الدعاية وتنبذ في واقع الحياة عندما ينتهي الاستعراض الدعائي، وفضلا عن ذلك فهي تتضمن عقوبات تطبق على كل مؤمن إذ أنها جزء لا يتجزأ من العقيدة الإسلامية.

فإذا ما تنكب فرد أو حاكم مسلم طريق إنفاذها أو أجرى عليها تعديلات أو تغييرات بينما عززها بأقوال تجافيها الأفعال، فهؤلاء حكم عليهم القرآن بعدم الإيمان وأنهم ظالمون أو فاسقون. وينطبق عدم الإيمان على السلطات التي تعتبر كلامها وقراراتها، هي الصحيحة وأن ما يصدر عن الله خطأ. إن الحقوق التي أقرها الله عز وجل حقوق أبدية ومستدامة، وليست عرضة للتغيير أو التعديل وليس هناك أدنى مجال للتغيير أو الالغاء [٤٤].

الإسلام وأوروبا:

لقد أتيح لليهود والنصارى أن يساهموا في بناء الدولة الإسلامية وتولي المناصب العامة مع التمتع بالحرية الكاملة في العبادة والقيام بأعمالهم. كان بينهم علماء مشهورون في الطبيعة والفلك وخبراء في الإدارة، وبذلك أصبحت الأندلس وصقلية فيما بعد أفضل نماذج الحضارة في أوروبا.

اعتنق الكثيرون الاسلام وتخلصوا من التعصب على أساس الدين أو العنصر أو القبيلة. لم يكن من المستغرب أن نرى جيوشاً مسيحية تحارب تحت قيادة خليفة المسلمين حتى أن ثلاثة من الكرادلة

(٤٤) عبدالرازق، ليلي: حقوق الإنسان بين الغرب والإسلام (صوت الأزهر، ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٢) ص ١٦.

قتلوا في الحرب خلال دفاعهم عن الخليفة المسلم عام ١٠١٠. وفي خلافة المنصور عبر عدد كبير من الفرسان جبال بيرينيه Pyrénées للقتال تحت قيادته. كان ذلك بسبب إعجابهم بحسن أخلاق المسلمين وعدالتهم وتسامحهم وكراهيتهم للظلم والقسوة.

ولسوء الحظ، فإنه في عهود تالية لم يستطع الأوروبيون التخلص من ميراث الكراهية والحقد وفشلوا في أن يتعلموا من المسلمين التسامح واللين. أسهبت المستشرقة سيجريد هونكه Sigrid Honke في بيان الوحشية التي أظهرها الأوروبيون في التعامل مع المسلمين بعد سقوط حكمهم في الأندلس في مقابل رحمة المسلمين ورقتهم وعدالتهم مع الجميع بصرف النظر عن العنصر أو الدين.

لقد واجه المسلمون أعمالاً وحشية لا يمكن تصورها بسبب التعصب الديني الضيق، فقد سجنوا وعذبوا وأحرقوا. كما أحرق المتعصبون أكثر من مليون وخمسة الاف كتاب كانت تمثل ثمرة النشاط العلمي خلال ثمانية قرون من التواجد الإسلامي في الأندلس.

تساءلت هونكة عن السبب في عدم قيام المسلمين بالغاء المسيحية التي يزعم الأوروبيون أن شارل مارتل Charles Martel حماها هى والحضارة الأوروبية التي لم يكن لها وجود حقيقي. لقد حول المسلمون الأندلس بعد فترة قصيرة من حكمهم. من بلد فقير متواضع ذليل إلى بلد عظيم ثقافة وتحضرا، أدخلوا الحضارة إلى أوروبا وقادوا القارة في طريق التنوير. [٤٥]

التجديد في الفكر الإسلامي

عقد في القاهرة مؤتمر تحت هذا العنوان تحت رعاية المجلس الأعلى للشئون الإسلاية من ٤-٦ يونيو ٢٠٠١م حضرته ٦٥ دولة مسلمة و٦ منظمات إسلامية وعربية وعالمية.

أصدر المؤتمر بياناً أكد فيه مايلي:

* التجديد لا يعني مطلقا أى تغيير في الحقائق المستقرة بشأن العقيدة أو العبادة كما أوضحها الحديث، ولكنه يعني نوعاً من إعمال العقل لتحوير هذه القوانين لتناسب مطالب الحياة المتغيرة في نطاق الشريعة.

* ضرورة الامتثال للحديث .إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها].

(٤٥) طاحون، أحمد بن محمد: شهادة المفكرين والفلاسفة لسماحة ا لمسلمين (صورة الأزهر ٢/ ٤/ ٢٠٠ (ص ٨).

وهذا أمر ضروري من أجل حيوية الشريعة واستمرارها لتناسب كل زمان ومكان

* التجديد لا يعني إلغاء محاولات الاجتهاد السابقة، بل استخلاص مايناسب الظروف والاحتياجات المتغيرة. ويعني كذلك التخفف من الالتزام برأى واحد في الفقه وتطبيق الاجتهاد الجماعي بمعرفة المؤسسات المعنية بالفقه في الدول الإسلامية.

* تقديم المواقف المعتدلة للإسلام في الإحسان والرحمة والعدالة والمساواة وتطبيقها في القضاء الإسلامي.

* التأكيد على أن مبادئ الشريعة يجب أن تكون المصدر الرئيسي للتشريع في المجتمعات الإسلامية ووجود مؤسسات الفقه التي يرجع إليها في أمور التشريع.

* ضرورة العودة إلى قواعد الفقه المبنية على القرآن والسنة والمصلحة العامة لاستنباط القواعد.

* مناشدة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في القاهرة أن يقوم بتجميع وتبويب القواعد العامة التي استنبطها العلماء من القرآن والسنة للاستفادة منها في استنباط القواعد لمواجهة الظروف المتغيرة.

* توصية العلماء والمسلمين للاستفادة من المستجدات في الطب والاقتصاد والعلوم والتكنولوجيا طالما أنها لا تتناقض مع الحقائق المستقرة ولا تؤدي إلى مفاسد.

* ضرورة أن يلتزم كل من يعتزم القيام بتفسير القرآن بالمعايير والقواعد التي وضعها الفقهاء المسلمون مع السماح بالاستفادة من الحقائق العلمية المؤكدة.

* مناشدة الفقهاء المسلمين وضع قواعد إسلامية لتنظيم حياة الأقليات المسلمة في ضوء ظروف البلدان التي يعيشون فيها، وذلك لتسهيل حياتهم وتجنب وضعهم في الحرج وأن نضمن لهم في الوقت نفسه حسن الجوار مع شركائهم في الوطن.

* الالتزام بالحرص الكامل في الدعوة إلى الإسلام في الغرب. (٤٦)

---

(٤٦) التجديد في الفكر الإسلامي (صوتالأزهر،٨/ ٦/ ٢٠٠١) ص ٥.

الفصل الثالث

الدعوة إلى الإسلام

الحضارة الإسلامية حضارة فريدة، جاءت إلى الوجود دون سابقة. منذ البداية كانت تمتلك كل عناصر الحضارة الشاملة. وكانت تحوي نظامها الأخلاقي وأسلوب سلوك وتعامل بين البشر أفراداً وأمماً في كل مناحي العلاقات الدولية. فالحضارة الإسلامية ليست لها مرجعية إلى الماضي أو الموروثات، مرجعياتها الأساسية القرآن وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته، وفي الوقت نفسه لا ترفض القيم العليا الواردة في الكتب المقدسة لليهودية والمسيحية. (٤٧)

ومنذ بداية الإسلام، حتى قبل اكتمال الشريعة الإسلامية، أُجبر المسلمون تحت ضغط الوثنيين في مكة على إرسال بعثة إلى الحبشة، مع ذلك فإن الإسلام لم ينتشر في ذلك البلد في ذلك الوقت، بل بعد عشرات السنين عندما هاجر بعض القبائل العربية إلى ساحل القرن الإفريقي وتوغلوا في الداخل فيها بعد ليقيموا سلطنات إسلامية. في ذلك الوقت عبرت الجيوش الإسلامية البحر الأحمر، وشمال إفريقيا وإلى النوبة عن طريق النيل. تقدمت الحملة المرسلة إلى الشمال في شعب نحو أوروبا والجنوب الغربي، والجنوب والجنوب الشرقي من أفريقيا. وبحلول القرن العاشر الميلادي، اعتنق الإسلام معظم سكان النصف الشمالي من أفريقيا. (٤٨)

لم يكن انتشار الإسلام في أفريقيا راجعاً إلى الحركات الجهادية بالدرجة الأولى، بل إلى الوسائل السلمية، التي تمثلت فيما يلي:

* الفرد المسلم : في الاسلام لا يوجد نظام كهنوتي، من ثم فإن كل مسلم عليه أن يقوم بواجب الدعوة في حدود قدرته، كان بعض هؤلاء قادمين للحج وحصلوا على قدر مناسب من الدراية بعلوم الإسلام- في طريقهم إلى مكة - من المراكز الإسلامية في شمال أفريقيا والقاهرة ثم مكة نفسها. وبالتالي نقلوا إلى غيرهم ما تعلموه، وذلك خلال المدارس القرآنية (الكتاتيب).

* المرأة: أقيمت المدارس لتعليم الفتيات اللاتي أصبحن زوجات ولعبن دوراً هاما في نشر الإسلام في شرق أفريقيا. وفي إثيوبيا، في النصف الأول من القرن التاسع عشر نشرن الإسلام من خلال الزواج من أمراء مسيحيين، وفي حين كنّ يتظاهرن بالمسيحية، قمن بتربية أولادهن وفقا للتعاليم الإسلامية.

* التجار: نقلوا الإسلام من خلال الطرق التجارية من شمال أفريقيا إلى قلبها. هؤلاء التجار جمعوا

---

(٤٧) الجمال، أحمد عبد القادر: دراسات في الأنظمة السياسية والاجتماعية ص ص ١١٤-١١٥.

(٤٨) إسحاق، محمد عبد العزيز: نهضة أفريقيا، ص ص ١٣١-١٣٣.

بين التجارة والعلوم الإسلامية التي قاموا بتدريسها في المدارس والمساجد التي أسسها أثرياء التجار، كما نقل الإسلام إلى شرق أفريقيا خلال المراكز التي أقيمت في وادي النيل.

* القبائل العربية: التي هاجرت إلى شمال أفريقيا والقبائل الإفريقية المسلمة كالطوارق والقبائل الرعوية في شرق إفريقيا وغربها فضلا عن الهجرات الحديثة للمسلمين الهنود إلى شرق أفريقيا، والسوريين إلى غرب أفريقيا.

* الطرق الصوفية : التي بذلت جهودها في نشر الإسلام ومقاومة الحملات الاستعمارية، خاصة في غرب أفريقيا. (٤٩)

* التشابه بين الاسلام والتقاليد الإفريقية، شعر الذين اعتنقوا الاسلام بالأخوة الصادقة بينما أحس الذين اعتنقوا المسيحية بالروح العنصرية لدى الأوروبيين وهذا جعل الكثيرين منهم يعتنقون الإسلام. من هؤلاء قس مسيحي من قبائل الإيبو في جنوب شرق نيجيريا يدعي نواكي **Nwaki** الذي عاني من التصرفات العنصرية للقسس الأوروبيين وتأثر بالاسلام خلال زيارته للحاج نياس **Nias**، أحد مشايخ الطريقة التيجانية في السنغال والتي انتهت به إلى اعتناق الإسلام في منتصف الخمسينات وتبعه الكثيرون من الإيبو.

* تفوق الحضارة الإسلامية على الحضارة الوثنية مما جعل هؤلاء الوثنيين يبدون اعجابهم بها ويقبلون على الإسلام.

* تسامح الاسلام وتعامل المسلمين مع الافارقة على أسس إنسانية دون تحيز على أساس من اللون أو الجنس.

* بساطة الإسلام الذي لايعبأ بأية طقوس في عبادة الله من خلال وساطة الكهنة. في الاسلام العلاقة بين الفرد وربه علاقة مباشرة، فالمسلم يصلي في أى وقت وأى مكان دون وساطة من أى نوع. (٥٠)

* وصول الإسلام إلى الإفريقيين موحداً دون تفرعات أيديولوجية كبيرة: إن الفرد المسلم الذي هو مثال طيب للإسلام يلفت نظر غيره الذين ربما تساءلوا عن السبب في السلوك القويم والتصرفات الراقية لهذا الفرد. وهذه أفضل طرق الدعوة إلى الإسلام، يتأكد هذا عندما يجد

---

(٤٩) محمود، حسن أحمد: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ص ص ٥٢-٦١.
(٥٠) قداح، نعيم: حضارة الاسلام وحضارة أوروبا في أفريقيا ص ص ٩٢-١٠٠.

المحيطون به أن الإسلام من وراء هذا المسلك الراقي - في الأساس، حمل الإسلام إلى الإنسانية المبادئ وليس السيف. (٥١)

* يقبل على الإسلام الكثيرون من كل حدب وصوب خاصة المثقفين والعلماء من الغرب، يقبلون عليه طوعاً لا كرهاً من أحد (أي من المسلمين). وفي هذا الشأن نذكر بعض الأمثلة:

* ذكر أحد من اعتنقوا الإسلام سبب اعتناقه له فقال، «إن من يكذب له هدف من كذبه، أما بالنسبة للنبي محمد، فقد عرض عليه قومه الملك والمال وغير ذلك من المغريات، فرفض وأصر على الاستمرار في دعوته، بل أنه أوصى بالتصدق بما يملك - بعد وفاته، وبنفس الروح رفض أن يحظى أي فرد من أسرته بأي نصيب من السلطة.

* قالت إحدى السيدات، «لقد رفض النبي أن يحرسه أحد من صحابته بل وأمرهم بالانصراف لأن الله عز وجل يعصمه من الناس (أعدائه) لو كان هذا ادعاء زائفاً، لكانت النتيجة تعرضه للقتل، وهو مالم يحدث لأنه كان في حمايةالله القوي المتين".

* قال احد المستشرقين، " إنني أتحدى كل الذين يدعون أن القرآن ليس كلام الله أن يقدموا لنا شيئاً من مثل هذا القرآن أو الحديث". (٥٢)

* احد من اعتنقوا الإسلام من صعيد مصر وكان" يدعي تناغو سامي قصد الله" (الذي تسمى باسم" أحمد سامي عبدالله" ثم قتل فيما بعد)، دعا أهل الكتاب إلى اعتناق الإسلام، وقدم لهم - كدليل على صحة نبوة سيدنا محمد - مقتطفات مطولة من كل من العهد القديم والعهد الجديد فضلاً عن غير ذلك من الأدلة. (٥٣)

* الإسلام دعوة إلى اتباع الطريق الصحيح الذي حدده الله عز وجل، لذلك فالداعية ليس له فضل على من يدعوهم، مؤمناً بأن جزاءه من الله لا من أحد سواه - على الداعية أن يراعي مايلي:

* حالة المدعوين وألا يحملهم بأعباء ثقيلة أو التزامات، قبل أن يهيئهم للدخول في الإسلام.

* إعطاءهم القدوة الحسنة لإرشادهم إلى الطريق القويم في سماحة دون تأنيب لا داعي له عند حدوث خطأ متعمد أو غير متعمد.

---

(٥١) الشعراوي، محمد متولي: أنت تسأل والاسلام يجيب ص ص ١٥، ٦٣.
(٥٢) المصدر نفسه: الجزء الأول ص ص ٢٢-٢٣.
(٥٣) عبدالله، أحمد سامي: لماذا اعتنقت الإسلام؟ (مقتطفات من الكتاب كله).

* أهمية الثقة فيه والاقتناع بشخصه وأرائه، وأن يحرص على عدم دحض أرائهم، بل أن يوضح لهم وجهة نظر الإسلام.

* هذه الاعتبارات يجب مراعاتها خاصة عند مجادلة أهل الكتاب:

«ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي أحسن"(سورة العنكبوت، آية ٤٦)

إذا كنت تريد أن يشرح الله صدر أحد من الناس من أهل خاصتك فادع الله له بالهداية. كانت هذه وصية الرسول صلى الله عليه وسلم، عندما جاء البعض يشكو من أن أهل دوس Dows تمردوا وعصوا، وطلبوا منه صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم. وهذا ما فعله كذلك عندما عاند أهل ثقيف، قبل دخولهم في الإسلام، فالهداية هى حقا من الله عز وجل، وهو الذي يهدي إلى سواء السبيل. (٥٤)

كتب أحد السائحين العرب عن مدى تقبل الاسلام لدى شعب جمهورية أفريقيا الوسطى. دعاهم إلى الاسلام بطريقة سلمية تماماً دون اللجوء إلى أية طرق أخرى، بينما كان المبشرون ينفقون بلايين الدولارات على حملاتهم التبشيرية. وللدهشة، كانت النتائج مخيبة لآمالهم. قال، «كنا في النهار نشرح لهم الإسلام لدقائق معدودة، وإذا بنا عند صلاة الفجر نجد الكثيرين من الإفريقيين ينتظمون في صفوف الصلاة بجانبنا. وعند ذهابي إلى إحدى المدارس لالقاء محاضرة وجدت كثيرين من الناس ينتظرونني لاشهار إسلامهم. وعندما ذهبت إلى مسجد لالقاء درس علمت أنه في كل يوم يعتنق الكثيرون الإسلام(٥٥)

عندما قدم رجال الكنيستين الكاثوليكية والبروتستانتية إلى جمهورية أفريقيا الوسطى حاولوا الإساءة إلى الإسلام بادعائهم أن العرب قدموا لجمع الرقيق والعاج. كان توقعهم أن مثل هذه الافتراءات قد يؤدي إلى وقف انتشار الإسلام بل وربما ارتداد بعض المسلمين إلى المسيحية. فتحوا المكتبات التي تبيع كتبهم بأبخس الأسعار وفتحوا المدارس التي تديرها هذه الإرساليات والتي يتخرج منها السياسيون والمديرون والمدرسون. هذه المدارس شجعتها الحكومات قبل الاستقلال وبعده. نجحوا في أوساط اللادينيين ولكنهم فشلوا في التأثير على المسلمين. هؤلاء الخريجون يكنون الكراهية للإسلام والمسلمين. (٥٦)

---

(٥٤) ركن الفتوى: صوت الأزهر ٣١/ ٥/ ٢٢٠٢، ص ١٦.
(٥٥) النعمة، إبراهيم: الاسلام في وسط أفريقيا ص ٩.
(٥٦) المصدر نفسه ص ص ١٥-١٦.

حقا نجح العمل التبشيري في تخفيف الآلام الجسدية لكنهم فشلوا في علاج المشاكل الاجتماعية. ولسوء الحظ أنهم ساهموا في مضاعفة هذه المشكلات وشجعوا على ارتكاب السلوك السئ.

انخرط بعض القسيسين في ارتكاب أعمال مشينة، من هؤلاء قس كاثوليكي يدعي جان لوجران **Jean Le Grand** الذي كان يعمل في مدرسة لوروبيد **Le Ropide** الثانوية المشتركة بالاضافة إلى الخدمة الدينية، كان يقوم بالتقاط صور الممارسة الجنسية مع الفتيات الفقيرات لاستخدامهن في أنشطة جنسية. وبعد اكتشاف أعماله المشينة هذه، طرد من البلاد.

وبالمثل، مارس بعض القسس البروتستانت أعمالاً مشينة. وقعت إحدى هذه الحالات في مدينة بنفاسو **Benfasso**، وقد لقي هؤلاء الجزاء المناسب. هذه الأعمال المشينة ومثيلاتها حملت الكثيرين من الافريقيين على اعتناق الإسلام، أو على الأقل الانتقال من مذهب مسيحي إلى آخر.

تعود المسئولون الحكوميون الذي تربوا في مدارس تبشيرية في أفريقيا على وضع العراقيل أمام غير المسيحيين واللادينيين من الافريقيين بتحريض من المبشرين الذين تمكنوا من إقناع رجال السلطة بأن هؤلاء القوم أجانب وعليه يجب ألا يمكنوا من إتمام دراساتهم إلى حد أن بعضهم وجد أنه من الضروري إضافة أسماء مسيحية إلى أسمائهم. ورغم ندرة عدد الموظفين المسلمين فإنهم واجهوا مواقف صعبة ومنعوا من تولي مناصب عليا. وقد حدا هذا ببعض ضعافهم إلى ترك الإسلام. [٥٧]

لاتحتوي المكتبات على شئ يذكر عن الإسلام الصحيح، بينما تعج بالكتب التي تبشر بالمسيحية فضلاً عن كميات كبيرة من العهد الجديد بأبخس الأسعار. [٥٨]

يتواجد المئات من الكنائس في المدن والقرى والأحراش، ويضم بعضها مطابع خاصة بها تصدر كتبا لتوزع بالمجان بالاضافة إلى نسخ من العهد الجديد.

قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية بمنع تدريس اللغة العربية باعتبارها وسيلة لتعلم القرآن حتى في المدرسة الإسلامية الوحيدة في العاصمة. درجوا على إرسال مفتشين ولد أحدهم في الجزائر. وفرضت رقابة صارمة على استيراد كتب إسلامية، وقامت نقاط تفتيش على طول الحدود بمراقبة الحصار المفروض وخاصة على الحدود مع كل من السودان وتشاد. [٥٩]

---

(٥٧) المصدر نفسه ص ص ١٧-٢٠.
(٥٨) المصدر نفسه ص ص ٢١- ٢٢.
(٥٩) المصدر نفسه ص ص ٢٥-٢٦.

إنتشر الفساد الأخلاقي والتحلل في أنحاء البلاد، انخرط معظم الناس في الرقص وإدمان الخمور فيما لا يقل عن ألف حانة في العاصمة.

مارست الفتيات الصغيرات الأنشطة الجنسية التي أدت إلى وجود أطفال غير شرعيين. هؤلاء الفتيات يصطحبن معهن أطفالهن إلى مدارس داخل الجامعة. في معظم الحالات يرفض الشركاء في ارتكاب هذه الجرائم الخلقية الزواج منهن مما أدى بالكثيرات منهن إلى ممارسة الدعارة لاكتساب قوتهن وقوت أطفالهن، بينما قاوم المسلمون هذا الفساد الخلقي ونجحوا في تكوين عائلات بصورة طبيعية.[٦٠]

ذكر أحد الناقدين للاسلام ويدعى جورج كاربنتر **George Carpenter** في كتابه أفريقيا اليوم **Africa To-day** ص ص ٩٦-٩٧:

* لقد حل التواكل محل إبداعات القرون الأولى من الاسلام" – الرد : أن التوكل على الله لا يمنع من بذل الجهد سعياً إلى الأفضل.
* التربية الإسلامية مقصورة على تعليم القرآن واللغة العربية – الرد: مؤسسات التعليم الاسلامي في أنحاء العالم تواكب الآن أحدث أساليب تعليم العلوم الحديثة.
* انحطاط وضع المرأة، الرد: هذه الاتهامات سيرد بحثها في الفصل السابع عن «المرأة في الإسلام".
* كراهية المسلمين للغرب، الرد ليس هذا بدون سبب وذلك في ضوء الروح الصليبية المعادية للاسلام في الغرب.
* السماح لأهل الكتاب في البلاد المفتوحة بالحفاظ على قوانينهم وعاداتهم مما لم يتح لهم الاندماج، والرد: أعتقد أن السماح لهم بالاستمرار في الاحتكام إلى قوانينهم وعاداتهم يجب أن يكون مفخرة للحكم الإسلامي لا العكس.
* من العجيب أن المؤلف امتدح الاسلام في الكتاب نفسه، ص ص ٩٨-٩٩، حيث قال:

- الإسلام يقوي روح الوحدة بين أفراد المجتمع دون التفات إلى حواجز اللون والجنس، ويمنحهم رابطة الأخوة الإسلامية على عكس المسيحية.

(٦٠) المصدر نفسه ص ٢٧-٣١.

- الصلة بين الفرد وخالقه قوية جداً وتتدعم بممارسة الصلوات عدة مرات في اليوم الواحد، في حين أن صلة الفرد بالله في المسيحية غامضة ومقصورة على مناسبات إجتماعية محدودة(التعميد والزواج والوفاة).
- الاسلام يحض على الصبر وضبط النفس ويؤكد الشعور بالكرامة.

* الاسلام يؤكد الوحدة الثقافية والاجتماعية بجعل العربية لغة مشتركة **Lingua Franca** للمسلمين الذين يتلقون تعليمهم من خلال هذه اللغة. (٦١)

يتساءل بعض النقاد الغربيين" لماذا كسب الاسلام انتماء الكثيرين في أفريقيا إليه؟ «يقولون أنه من أحد الأسباب - أن المسيحية التي ارتبطت بالعنصرية الاستعمارية هي دواء مر، في حين أن الإسلام يعد معتنقيه بجنة الخلد التي لا ألم فيها ولا عوز، والأنهار الجارية والحور العين وما لذ من الطعام. الاسلام يسمح بالزواج من النساء حتى أربع زوجات، والتدرج في تحريم شرب الخمور، ويعفى من الصيام في رمضان إن كان على سفر. (٦٢)

إن الأسباب التي سيقت أعلاه لتبرير اعتناق الإسلام هي مجرد مبررات، خذ مثلاً:

* الوعد بالنعيم المقيم وجنة الخلد التي لا ألم فيها»، المسيحية كذلك تعد معتنقيها بالخلود حيث يمتعون بكل المباهج.
* «السماح بالزواج حتى أربع زوجات»، هذا أقل بكثير مما يتمتع به كثير من المسيحيين عملياً من خلال الحب المفتوح **Free Love**.
* تحريم الخمر على المعتنقين الجدد للاسلام هو قيد وليس مزية.
* الاعفاء من الصيام في رمضان هو إعفاء مؤقت لسبب قوي كالمرض أو السفر في حين أن المسيحيين تحللوا من الصيام، فيما عدا المنتمين للأرثوذكسية الذين يلتزمون بالصيام بطريقتهم الخاصة.

إن السلطة السياسية للحاكم تعززها التعاليم الاسلامية التي تفرض الطاعة للحاكم المسلم العادل، وهذا فرض على كل مسلم بصرف النظر عن جنسه، وبهذا أدرك الحكام سريعا جدوى تبني ديانة عالمية بدلا من الديانة المحلية. (٦٣)

---

(٦١) حسن : حسن إبراهيم، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ص ص ٥١-٥٣.
(62) Blumenthal, Susan: Bright Continent, PP. 178-179.
(63) Stride, G.T. and Ifeka, C.peoples and Empires of West Africa, PP. 137-140.

ليس هناك تطابق بين العقائد الافريقية والاسلام والمسيحية، حيث لا علاقة بين اعتقاد الافريقيين في «إله أعلى» "Supreme God" وإيمان المسلم بالله الواحد الأحد «The One and the Only. وإيمان المسيحيين بالثالوث الأقدس"الأب والابن، والروح القدس" The Father، Son and the Holy Ghost» (trinity).

وبالنسبة لعادات الإفريقيين فليس صحيحاً أن الإسلام نادرا ما دخل في صراع مباشر مع العقائد التقليدية. على العكس فإن المبشرين المسيحيين - حرصاً منهم على كسب تأييد الرؤساء القبليين، سمحوا لهم بالزواج بالعديد من الزوجات، عشرات الزوجات في بعض الحالات، وهي مخالفة مباشرة لتعاليم كل المذاهب المسيحية التي تقضي بتحريم التعدد.

الامتثال لقواعد الإسلام وأخلاقياته:

فيما يتعلق بالحوار مع الغير فإن الإسلام، أوجب على المسلم أن يمتثل لقواعد الإسلام وأخلاقياته، منها:

* على كل من المتحاورين أن يتخلى عن أية فكرة مسبقة وأن يعلنا أنهما عازمان على الاذعان للحق.
* على كل منهما أن يمتنع عن الاساءة والسخرية والتهكم أو استعمال لغة هابطة ضد بعضهما البعض.
* على كل متحاور أن يفترض صحة وجهة نظر الآخر.
* على الطرفين أن يلزم كل منهما نفسه باستخدام: الدليل والمنطق.
* لا ينبغي لأحد منهما أن يتحدى وجهة نظر الآخر إلا وفقا للأسس المرعية في المحاورات.
* على الطرفين أن يقبل كل منهما المسلَّمات والتسليم بالنتائج المتوصل إليها عن طريق الأدلة القطعية. [٦٤]

وفي الوقت الذي يوصي فيه بمراعاة القواعد المذكورة أعلاه، فمن المتفق عليه ان العامل الأساسي الذي يربط الملايين بالاسلام هو السلوك المثالي للمسلم وليس المجادلات الميتافيزيقية (ما وراء الغيبية) أو إجبار الغير على اعتناق الإسلام بحد السيف كما يزعم الغرب.

(٦٤) عاشور، محمود: قواعد الحوار والمناقشات، صوت الأزهر ٣٠/ ٨/ ٢٠٠٢.

وكدليل واضح على الدعوة إلى الإسلام بالطرق السلمية، إسلام كثير من الأمم الآسيوية خصوصاً إندونيسيا التي تضم أكبر عدد من المسلمين في العالم، والأقلية المسلمة في الهند التي يصل تعدادها إلى حوالي ١٨٠ مليون مسلم.

الهجوم على الإسلام، مشروع صليبي:

العداء الصليبي للإسلام يعود إلى زمن الحروب الصليبية التي تمخض عنها احتلال بلدان إسلامية لمئات أو عشرات السنين.

هذا المشروع المبني على كراهية الإسلام تضمن خطوطا رئيسية تخدم أهدافهم، من خلال إضعاف روح الإسلام بين المسلمين باللجوء إلى:

* الإساءة إلى سمعة رسول الإسلام باتهامه بتعدد الزوجات وحبه للنساء، وقد شمل الاتهام نفسه أصحابه وتابعيه.

* إتهام الاسلام بالاتجار في الرقيق في حين أنهم هم الذين كانوا المستفيد الأكبر في هذه التجارة واستغلوا الرقيق في العمل في مزارعهم في الأمريكتين وللعمل في بيوتهم في أوروبا كذلك. (أنظر الفصل الرابع).

* سوء استغلال أحداث التاريخ الإسلامي التي هي في الواقع جديرة بالثناء عليها.

* نشر العلمانية بين المسلمين، وهذا مخالف لمفاهيم الاسلام الذي لا يحصر نفسه في الممارسات الدينية، بل يشمل كذلك كل مناحي الحياة.

* الغزو الثقافي من خلال تبني أعمال بعض المفكرين، الذين يفترض انتماؤهم للاسلام، مثل سلمان رشدي ونشروا كتابه «آيات شيطانية **Satanic Verses**" الذي وجه فيه الإهانات إلى الاسلام وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ورغم القيمة المتواضعةلمؤلفه هذا، كرم وقدمت له الجوائز التي لم يكن يستحقها.

* محاولات تحويل بعض المسلمين المحتاجين، عن الاسلام من خلال تقديم أطايب الطعام والوظائف ذات الدخول المجزية والاغراءات الجنسية والوعود بأن يحيوا حياة مرفهة وتقديم المنح الدراسية في الدول الأوروبية لتأهيلهم للحصول على أعلى الشهادات ومن ثم تولي المناصب القيادية في بلادهم.

من الجدير بالذكر أن الأموال التي خصصت لتحقيق هذه الأهداف بلغت في سنة واحدة (سنة ١٩٨٩) ١٥١ بليون دولار، وقاموا بنشر ٢٢٧٠٠ مجلة وكتيب، وأكثر من ٢٢ مليون نسخة (٢٢٥٥٢٠٠٠) من العهد الجديد، و ٤٥ مليون جهاز كمبيوتر، وأقاموا ١٩٠٠ محطة إذاعة، كما جندوا لذلك أعداداً كبيرة من المبشرين المحليين من مختلف البلدان بلغ عددهم ٣٣٦٥٠٠٠ مبشرا.

الصهيونية

ساهمت الصهيونية في حملة تشويه الإسلام، وتعمل مخططاتها على تدمير كل الأديان بما في ذلك المسيحية. وقد لجأوا إلى:

* إستخدام الرشوة والجنس للسيطرة على الأشخاص الذين يتولون مناصب هامة في مختلف المجالات.

* تقديم منح دراسية للطلاب الواعدين والعمل على إقناعهم بفكرة حكومة عالمية واحدة للتخلص من الحروب وتجنب الكوارث.

* السيطرة على وسائل الإعلام (التليفزيون، محطات الإذاعة والصحف). (٦٥)

* الحصول على بلايين الدولارات في البنوك التي يسيطر عليها اليهود.

* استخدام منظمات الماسونية والليونز والانرويل **Masonry,Lions andInner Wheels** في اختراق المجتمعات التي كانت مغلقة أمام اليهود خاصة في أوروبا.

* بات روبرتسون **Pat Robertson**، مسيحي صهيوني**Christian Zionist** إتهم العرب في برنامج 700 **Club** في شبكة الإذاعة المسيحية **The Christian Broadcasting System** في ولاية فيرجينيا **Virginia** الأمريكية، إتهم العرب بممارسة تجارة الرقيق والاغتناء من بيع الزنوج الإفريقيين للمستوطنين البيض في الأمريكتين. كما اتهم الزنوج الإفريقيين بالجنون لتحولهم إلى الاسلام المسئول عن استرقاق أجدادهم. هذا الاتهام المتحيز يرجع إلى تحريض جماعات الضغط الصهيونية.

---

(٦٥) أبوزيد، أحمد: الهجوم على الاسلام في الأعمال الأدبية، ص ص ١٧-٣١.

لسوء حظه جاء الرد على هذه الاتهامات الكاذبة من مواطنه الأسقف كلارك لوينشتاين **Clark Lowenstein** المدير التنفيذي لمؤتمر العلاقات بين الأديان **The Inter - Religion Conference**، وذلك في مؤتمر صحفي للرد على اتهامات بات روبرتسون. قال لوينشتاين أن الذين تاجروا بالرقيق في هذا البلد هم المسيحيون.

وفي حين تولى كثير من الإفريقيين الوظائف العليا في الدول الإسلامية في أنحاء العالم فإن الأمريكيين لم ينتخبوا حتى الآن (يونيو ٢٠٠٨) زنجياً أمريكياً لمنصب رئيس الجمهورية. دمغت الدعاية المؤيدة من اليهود الأمريكيين صدام حسين بأنه أشبه بهتلر الذي قتل اليهود وغيرهم من الأجناس الأخرى، ولم يقم أحد منهم بعمل مقارنة بين عدد ضحايا الأسلحة الكيماوية التي استخدمها صدام ضد الأكراد في شمال العراق وضحايا القنبلتين النوييتين الأمريكيتين في هيروشيما **Hiroshima** وناجازاكي **Nagazaki** في اليابان، إذ أن آثارهما القاتلة تتوارثها الأجيال المتعاقبة حتى اليوم.

لدى تدمير المبنى الفيدرالي في أوكلاهوما **The Federal Building, Oklahome** في عام ١٩٩٥ سارعوا فورا إلى اتهام العرب بارتكاب هذه الجريمة. دعا الكاتب اليهودي **A.Rosental**روزنتول في الواشنطن بوست **Washington Post** دعا الإدارة الأمريكية إلى توجيه ضربات إلى ليبيا وسوريا في حين لم يدع أحد لعمل شئ من هذا ضد إسرائيل في المذبحة التي ارتكبها مواطن إسرائيلي ضد المصلين المسلمين في الجامع الإبراهيمي .لقد أصيب دعاة حملة الكراهية ضد المسلمين بخيبة الأمل عندما أعلن مواطن أمريكي يدعي تيموثي ميفاي **Timolthi Mefai** مسئوليته عن هذا الحدث الجسيم وأنه هو المذنب الوحيد.

ومع ذلك تستمر المحاولات لاتهام حتى الأطفال العرب بالإرهاب بعد حادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، كما ظهر في رسم كاريكاتيري للصحيفة الأمريكية **The New Yorker**[٦٦]

فضل الحضارة الاسلامية على الحضارة الأوروبية

لم تكن الحضارة الاسلامية تعيش بمعزل عن الحضارات البشرية الأخرى كان التأثير متبادلاً، لقد احتضنت الميراث الثقافي الإغريقي واستوعبت مباهج هذه الحضارات وضمتها إلى الحضارة العربية وأضافوا إليها، ما نقلوه من حضارات الشرق الأقصى. ونقلت الحضارة الغربية بدورها علومهم وفنونهم بالاضافة إلى المساهمات العربية.

---

(٦٦) سلماوي، محمد: شيطنة الإسلام وأسلمة الإرهاب (الأهرام ٢٣/ ٣/ ١٩٩٨)، ص ٢٤.

لقد نظر الغرب بعين ملؤها الحسد إلى الحضارة العربية لدرجة أنهم أنكروا مآثرها، وهذا الموقف يشبه حقد اليهود على المسيحيين. لقد تأكد ذلك أيضا بالادعاء بأن الاغريق والرومان فقط هما المصدر الوحيد للعلم في الماضي. ويحس بعض الأوروبيين بالخجل من أن أوروبا مدينة للعرب الذين أخرجوهم من الوحشية. (٦٧)

كانت المدارس في البصرة والكوفة وبغداد والقاهرة وقرطبة مفتوحة للطلاب من كل مكان في الشرق والغرب. ومن خلال الأندلس قدمت الفلسفة العربية خاصة فلسفة إبن رشد إلى أوروبا، فكان لها تأثير عظيم على الفكر الأوروبي وحررت البحث العلمي من تأثير العلم اللاهوتي. كانت الحضارة العربية مؤسسة على مبدأ» فصل الحقائق العلمية عن الحقائق الدينية».

استعار العرب أسس الرياضيات من اليونان والهند، وأسسوا علم الجبر وأضافوا الكثير إلى علم الفلك. أما بالنسبة للطب فقد وصلوا إلى مستويات عليا وتفوقوا على الاغريق. حتى الآن الطب مدين لابن سينا، ولأبي القاسم في الجراحة ولابن النفيس الذي اكتشف الدورة الدموية التي تنسب زوراً إلى العالم الانجليزي ويليام هارفي **William Harvey** - لقد أثبت العرب وجودهم في علاج الكثير من الأمراض وفي إجراء العمليات الجراحية، هذا في الوقت الذي كانت فيه الكنيسة في أوروبا تحرم ممارسة الطب مكتفية بالطقوس الدينية في علاج الأمراض. كما حقق العرب إنجازات عظيمة في الكيمياء وقدموا لأوروبا صناعة الورق التي استعاروها من الصين.

يحلو لبعض المفكرين الأوروبيين إنكار العبقرية والتقدم العربي. لقد وضع العلماء العرب في بغداد منذ القرن الثالث عشر الأسس التي يجب أن يقوم عليها البحث العلمي عندما قرروا أن «البحث ينطلق من المجهول إلى المعلوم» وأنه «لا يقبل شئ كحقيقة مالم تثبته التجربة. إنه إتهام لا أساس له، أن العرب لم يضيفوا إلى الميراث الإغريقي. بدأ العرب بالترجمة، ومع ذلك فإنهم أضافوا الكثير جدا إلى هذا الميراث وابتدعوا أساليب مبتكرة للبحث في مجال الطبيعة. لقد صدق العالم الفرنسي ليبري **Libri** عندما قال، «لو أسقطنا العرب من التاريخ لتأخر عصر النهضة في أوروبا عدة قرون». (٦٨)

(٦٧) زعتر، عادل: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، مترجم عن كتاب Justav Lebon حضارات العرب Civlisations des Arabes، ص ص ٥٩٨-٥٩٩.

(٦٨) الجمال، مصدر سابق، ص ص ١١٨-١٢٠.

كانت العصور الوسطى في أوروبا تتسم بإهمالها للعلم والثقافة، فيما عدا ضوء خافت انبعث من ا لمدارس الدينية التي كانت تهتدي بخطط وضعها رجال الاكليروس. كانت هذه الثقافات خاضعة لأفكار دينية ضيقة.

بعض الباباوات خاصة البابا جريجوري الأول **Gregory 1** شجعوا الدراسات الدينية فقط بينما كان يشعل حربا لا هوادة فيها – على أى علم من العلوم.

وفي وقت لاحق أقام العرب حضارة عظيمة قائمة على حرية الفكر والبحث. هذه الحضارة انتشرت في أوروبا منذ القرن الحادي عشر عن طريق شبه الجزيرة الأيبيرية، وجزيرة صقلية، والشام عن طريق التأثير الاسلامي الثقافي على الصليبيين. نشط الأوروبيون في حركة الترجمة من العلوم الثقافية الاسلامية في القرن الثاني عشر التي مهدت الطريق لقيام النهضة الأوروبية الحديثة في بداية القرن الرابع عشر.[٦٩]

واجهت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التحدي لسلطانها ممثلا في أولئك المنشقين الذين أسسوا المذهب البروتستانتي.

استحدثت الكنيسة الكاثوليكية ما أسموه «محاكم التفتيش **Inspection Courts**" التي كانت تتمتع بسلطات استبدادية في ملاحقة أى فرد لا يؤمن بالكاثوليكية. ولسوء حظ الكاثوليكية حارب البروتستانت بشجاعة دفاعا عن العقيدة الجديدة ورفضوا العودة إلى حظيرة الكاثوليكية. وانطلاقاً من الأعمال الوحشية التي ارتكبت بذريعة التفتيش، فإن هذه الأعمال الوحشية تعتبر عاراً كبيراً في تاريخ الكاثوليكية التي سمحت بحرق المخالفين لها أحياء. هذه الممارسات غير الانسانية تتناقض بشكل خطير مع تعاليم المسيحية في صفائها، والمؤسسة على الرحمة لا الوحشية.

ولحسن الحظ فإن السلطات الكاثوليكية في فرنسا لم تسمح بإنشاء «محاكم تفتيش". بل على العكس فإن الذين اتهموا بالهرطقة حوكموا أمام محاكم مدنية. وضعت المحاكم الغالية **Gaulic Courts** مفهومها للهرطقة لتطبقها محاكم مدنية تتخذ قراراتها بالتبرئة أو الادانة للمتهمين. ولسوء الحظ فإن التفتيش في فرنسا طبق ضد آتباع حركتين، الألبوجنزيان **Albogenesans** والفالدونيزيان **Waldonisians** الذين خرجوا على تعاليم الكاثوليكية.

(٦٩) الشناوي، عبدالعزيز محمد، أوروبا في بداية العصور الوسطى ص ١٨.

في العصور الحديثة، خضع اليهود لمذابح جماعية في أسبانيا التي كانت تكن عداء عميقاً لليهود. وفي ١٤٧٣ ذبح سكان مدينة جاين **Jaen** الكونستابل دون ميجويل لوكاس **Don Miguel Lucas** الذي عرف بتعاطفه مع اليهود على مذبح الكنيسة.

وفي عام ١٣٩٠ عندما بلغت المذابح ذروتها، تحول كثير من اليهود إلى المسيحية للإفلات من التطهير العرقي. ولكن عندما هدأت المذابح، عادوا سرا إلى اليهودية. وهكذا ظهر في المجتمع الأسباني طائفتان مسيحيتان، طائفة المسيحيين القدامي **The Ancient Christians** الذين كانوا يشكلون الأغلبية وكانوا شديدي التعصب للكاثوليكية، والمسيحيون الجدد **the New Christians** الذين أظهروا الولاء للكاثوليكية وأضمروا الولاء العميق لليهودية، وكانوا يكرهون المسيحيين. كانت الطائفة الثانية معروفة بثرائها العريض ولكنها كانت خطراً كبيراً على الدولة. حاكمتهم محاكم التفتيش دون تمييز بينهم وبين من ظلوا على اليهودية. هاجر معظمهم إلى الأقطار الاسلامية التابعة للخلافة العثمانية في ذلك الوقت حيث نعموا بالتسامح الديني والأمن ومارسوا شعائر ديانتهم ونشاطهم الاقتصادي.

نسي اليهود كل هذا وهم يمارسون حالياً أحقر الأعمال الوحشية ضد الفلسطينيين مما لم يحدث ضد أي شعب في أنحاء العالم على مر العصور، وأثبتوا بذلك نكرانهم لاحسان المسلمين إليهم وهم الذين أنقذوهم من الاضطهاد في أسبانيا وفي أوروبا عامة والذي استمر حتى الحرب العالمية الثانية. كان العالم الاسلامي عامة ومصر خاصة واحات الأمان لليهود.

وبسقوط غرناطة في ١٤٩٢ خسر المسلمون ملجأهم الأخير وعانوا اضطهاداً فظيعاً، فقد اغتصب الأطفال وقيدت تحركات أبائهم حتى يتحقق ارتدادهم عن الاسلام إلى المسيحية دون رغبتهم. حُولوا إلى محاكم التفتيش وطردوا من أسبانيا بتعليمات من الملكة إيزابيلا ملكة قشتالة **Isabella of Castilia** ومما يدعو للسخرية أن المسلمين - خلال حكمهم لغرناطة - أظهروا أعلى درجات التسامح. قال المؤرخ البريطاني الشهير هربرت فيشر **Herbert Fisher** «لو استمر حكم المسلمين في أسبانيا لكان خيراً كبيراً لأن المسلمين نشروا التسامح الديني والعلوم والفنون والفلسفة.

حصلت محاكم التفتيش على تأييد طاغ بين الأسبان، وقد وجد إحراق غير الكاثوليك ومعظمهم مسلمون ويهود، ترحيباً ممن احتشدوا في الميادين العامة ليشهدوا ما سمي " أعياد الموت" **the**

feasts of Death كان الملك فيليب الثاني **Philip II** حريصا على مشاهدة المحاكمات وحرق هؤلاء البؤساء أحياء. في كثير من الأحوال حضر هذه المشاهد الدموية أكثر من مائتي ألف بينما كان الملك يجلس على منصة ملوحاً بالصليب الأخضر الضخم **The Huge Green Cross**» شعار محاكم التفتيش. يتقدم رئيس المحكمة نحو المنصة الملكية ملتمساً ان يقطع الملك عهدا لمحاكم التفتيش بأن يساعدهم في عملهم ضد الكفار أى غير الكاثوليك. (٧٠)

استمر التبادل الثقافي بين المسلمين والمسيحيين رغم سقوط معظم المدن الإسلامية الهامة. استمر القشتاليون في استخدام اللغة العربية في عملياتهم التجارية. وظلت توليدو مركزا ثقافيا خلال القرن الثاني عشر. ترجم الأسبان الكتب العلمية والأدبية ومن ثم انتشرت هذه الكتب في أنحاء أوروبا. وخلال حكم الملك ألفونسو **Alfonso**، ظلت توليدو **Tolido** مركزا للعلوم والثقافة العربية خاصة في الفلسفة والطب والكيمياء والفلك والتي أتيح للعلماء والباحثين الأوروبيين أن ينهلوا منها بلا قيود. ترجمت المخطوطات والكتب العربية إلى اللاتينية لتقرأ في أوروبا.

كان تأثير اللغة العربية على مختلف مناحي الحياة في أسبانيا واضحا وذلك في مجال أسماء الأعلام والأماكن والمواقع الجغرافية والزراعة والصناعة والحياة الاجتماعية.

كان الفلاسفة المسلمون، كالفارابي وابن رشد وابن سينا، أبرز الفلاسفة الذين كان لهم تأثيرهم على الفكر الغربي. كانت كتب الفارابي تدرس في المدارس الاسلامية والمسيحية على حد سواء. كان للفارابي تأثيره على روجر بيكون **Roger Becon** واسبينوزا **Spinoza** وكثيرين من المفكرين اليهود الذين ترجموا كتبه إلى العبرية. وكانت كتب ابن سينا في الطب كتبا دراسية **Textbooks** تدرس في كليات الطب الأوروبية من القرن الثالث عشر إلى القرن السابع عشر. وضع دانتي **Dante** إبن سينا في مركز بين أبيقراط **Epicrates** وجالينوس**Galinus**، بينما اعتبره اسكالينجر **Escalianger** مساويا لجالينوس في الطب وأفضل منه في الفلسفة.

أما ابن رشد **Averroes** فقد كان هناك إعجاب عظيم بمؤلفاته في أرجاء أوروبا. أطلق عليه دانتي الشارح الأعظم لفلسفة أرسطو**Aristotle** وحمل الفلاسفة اليهود نفس التقدير للفلاسفة المسلمين لدرجة أنهم لم يترجموا مؤلفات أرسطو واكتفوا بشروح الفلاسفة المسلمين.

وتحت مادة أندلسيا **Andalusia** في **The Pengiun Encyclopedia of Places**

(٧٠) الشناوي، المصدر نفسه: ص ص ٥٧٠-٥٧٦، ٥٧٨ - ٥٨٢.

دائرة معارف بنجوين للأماكن، طبعة ١٩٧١ ص ٣٦ نقرأ «لقد حققت الأندلس أعظم إنجاز لها تحت الحكم الإسلامي الذي استمر من القرن الثامن حتى نهاية القرن الخامس عشر وترك آثاراً بارزة في مدن سيفيل **Seville** وقرطبة وغرناطة.

اعتمدت الأندلس بصفة رئيسية على التراث الاسلامي القادم من الشرق إما من خلال إنتقال علمائهم أو إرسال علماء أندلسيين إلى الشرق لتحصيل العلم والمعرفة والأدب. أما الآخرون الذين أحرزوا هذا العلم فقد انهمكوا في التزود بالخبرات المختلفة. لقد حظي العلماء بأقصى درجات التكريم.

في الطب استفاد الأوروبيون من المؤلفات العربية وترجموا معظمها إلى اللاتينية واليونانية، مثل كتاب الزهراوي **Al-Zahrawi** عن الجراحة بعنوان **Chirurga Parva** وكتاب ابن رشد بعنوان **Colliget**.

وفي القرن الثاني عشر ساهمت مدرسة توليدو للترجمة إسهاماً عظيماً في ترجمة كتب الأندلس في الطب التي اشتهرت في أنحاء أوروبا وكانت تدرس في باريس.

وفي الكيمياء التي تعزي إلى جابر بن حيان، برز عالمان: أبو القاسم إبن مسلمة وأبو القاسم عباس بن فرناس الذي كان أول من صنع الزجاج من الأحجار، كما اشتهر باختراع العدد والآلات. اخترع ابن فرناس ساعة تبين الوقت وقام بأول محاولة للطيران في الجو بمساعدة أجنحة مزودة بالريش.

في الرياضيات والفلك، اشتهر كثيرون من العلماء العرب وأحرزوا سمعة واسعة في اختراع الأدوات والآلات، واخترع أبو اسحاق بن سليمان آلة الاسطرلاب (**Star lab**) [٧١]

تأثير الحضارة العربية على النشاط الأدبي

* في الأدب الفرنسي: قصة **Aucassin et Nocolette** وهي تحوير للأسم العربي أبو القاسم، وترجمة كليلة ودمنة **Kalila and Demna** التي كان لها تأثيرها على **Fables de la Fontaine** وأشعار لامارتين.
* بعض أشعار الشاعر الألماني جيتة **Goethe**.
* مسرحية انجليزية بعنوان حسن **Hassan**

(٧١) دائرة معارف الشعب، مجلد٢، مادة الأندلس، ص ص ١٩٤-٢١٨.

* ذكر المستشرق هاملتون جيب**Hamilton Gibb**في كتابه ميراث الشرق **the Heritage of the East**أنه بدون ألف ليلة وليلة ما كان في وسع دانييل ديفو **Daniel Defoe** ان يكتب روبنسون كروزو ولا، أن يكتب جوناتان سويف **Jonathan Swift** رحلات جاليفر **Galliver Travels**

* التشابه بين أقوال الرواقيين المسلمين والرواقيين الأوروبيين.

* كتب البروفسور **Wenner** من جامعة هارفارد مجلدين أثبت فيهما أن الحضارة الأوروبية ترجع إلى أصول عربية.

* دخول كلمات عربية على اللغات الانجليزية والفرنسية والايطالية والأسبانية والبرتغالية (اللغات الرومانسية **Romance Languages** المنحدرة من اللغة اللاتينية).

* يرى أسين بلاسيوس**Plasius, Acin** أن الاتجاهات الصوفية لدانتي ووصفه لعالم الغيب **Invisible World** مقتبسة من محيي الدين بن عربي.

* استعار الأوروبيون الأرقام العربية التي هى بدورها من أصل هندي بدلاً من الأرقام اللاتينية. أقر المستشرق ليبري بأن العرب يستحقون الخلود لتقديمهم ثقافتهم فضلاً عن الثقافة اليونانية[٧٢]

---

(٧٢) المصدر السابق، مادة الفتوحات العربية في أوروبا، ص ص ٢٣٢-٢٣٣.

الفصل الرابع

الرق وتجارة الرقيق

مقدمة:

الرقSlavery يعني امتلاك الرقيق في حين أن تجارة الرقيقSlave Trade تعني شراء الرقيق وبيعه. الذين دافعوا عن الرق في الغرب برروا ذلك بأنه وسيله لأن يتغلب الأفريقيون علي أحوالهم السيئة، والخوف المستمر وانعدام الأمن. في الماضي القريب كان الرق قائما في بعض المجتمعات الإفريقية وقد ساهم تجار الرقيق الغربيون في هذه التجارة مساهمة نشطة وبحماس كبير من أجل الربح المادي بصرف النظر عن الممارسات غير الإنسانية في هذه التجارة.

كانت تجارة الرقيق قائمة حتى قبل السيد المسيح عليه السلام، فقد جلب المصريون القدماء الأرقاء للأعمال المنزلية والمشاركة في مشروعات البناء، بينما استغلوا الأقزام في إدخال السرور علي أفراد البلاط الملكي في عصر ما قبل الأسرات. كانوا يباعون في أوروبا ومن ثم أطلقوا عليهم الرقيق الأسود Ethiopian (Black) Slaves. اشتغلت أعدادا كبيرة منهم في قرطاجة (في تونس حاليا) في المزارع وفي الجيش. وقد استوجب سوق العمل نقل الرقيق من السودان إلي شمال إفريقيا، وكانت فزان مركزا لهذه التجارة التي ربطت شمال أفريقا بجنوبها. وهكذا كانت أسواق الرقيق تمتلئ بالأرقاء الذين يباعون في الإمبراطورية اليونانية والامبراطورية الرومانية.

فيما قبل التاريخ كان الرقيق يحتفظ بهم لدي الدول المنتصرة كما فعل الأشوريون والمصريون القدماء والفينيقيون واليهود والهنود والصينيون، وأصبحت هذه التجارة من أعمدة اقتصاديات الإغريق والرومان. يقول أرسطو أن الإغريق الأحرار اعتبروا تجارة الرقيق شيئا عاديا وفي المجتمعات الرومانية فإن الرقيق المستجلبين من بريطانيا و أوروبا وآسيا وأفريقيا عملوا بالزراعة وكخدم ومحاربين في بعض الأحيان. وفي بعض المجتمعات الأوربية استخدموا جيرانهم بل ومواطنيهم كأرقاء. وفي العصور الوسطي عملوا بالزراعة ثم حصلوا علي حرياتهم.

من الصعب التعميم حول صور الرق بالنسبة للإفريقيين. في البلدان الإسلامية كان الأمر محتملا لأنهم أدمجوهم في عائلاتهم واعتبروهم جزء لا يتجزأ من المجتمع.

وفي مجتمعات أخري، في داهومي مثلا- كانوا يقدمون كقرابين، وكانوا عنصرا هاما في المبادلات التجارية. وقد أدي الطلب الداخلي والخارجي علي الرقيق إلي استمرار هذه التجارة حتى نهاية القرن التاسع عشر، مما اثر علي التجارة المشروعة.

وقد ساهمت الرياح المواتية في إنعاش هذه التجارة عبر الأطلنطي إلي الأمريكتين وأوروبا، واستخدموهم علي نطاق واسع كعمالة في المزارع في العالم الجديد، خاصة بعد تناقص أعداد الهنود الحمر بسبب انتشار الأمراض التي قدمت إليهم من أوروبا. وبصفة عامة استخدموا في المناطق التي لا يصلح فيها البيض للقيام ببعض المهام بسبب الحمى و الملاريا وغيرها من أمراض المناطق المدارية بينما كان الإفريقيون أكثر احتمالاً لهذه الأمراض بحكم التعود عليها. عمل هؤلاء الرقيق في مناجم الذهب والفضة ومزارع البن والسكر والقطن. خلال عمليات النقل من أفريقيا إلي هذه الأسواق واجه الإفريقيون الأهوال حيث حشروا في داخل السفن بصور غير أدمية كالأسماك المملحة وواجهوا أسوأ معاملة في المزارع، لذا امتنع الكثيرون منهم عن الإنجاب حتى لا يواجه أبناؤهم الأهوال. ومما أدي إلي انتشار هذه التجارة رغبة الزعماء القبليين في شراء المصنوعات الأوروبية، وشراء الأسلحة والذخائر لتوسيع نفوذهم.(١)

صور تجارة الرقيق:

كانت تجارة الرقيق تمارس منذ العصور القديمة، ومن الظلم أن تنسب هذه التجارة إلي أمة أو عقيدة بعينها، فقد مارسها الآشوريون والفرس والإغريق والرومان والهنود والصينيون.

ففي بلاد الإغريق أخذت إحدى الصور التالية:

١. المولودون لأبوين من الرقيق أو أحدهما.

٢. كعنصر من عناصر التبادل التجاري. وكان بعض الرجال الأحرار يلجأون إلي بيع أبنائهم حتى يوفروا لأنفسهم سبل المعيشة.

٣. حالات الديّن.

٤. أسري الحرب، ففي وقت ما كان يسمح بقتلهم، وبمرور الوقت استخدموهم في المبادلات التجارية.

٥. الاختطاف والقرصنة.

٦. السجناء في جرائم.

(1) ries, p p. 31- 36 Anderson, JD: West Africa in the Nineteenth and Twentieth Centuries, PP.31036

أما عند الرومان، فقد كان أسري الحرب المصدر الرئيس للاسترقاق، وكانت معاملتهم أشبه بمعاملة الإغريق، حتى ان القوانين لدي كل منهما أعطت للسيد حق قتل رقيقه في حالة العصيان[٢]

الرق في اليهودية:.

إذا رجعنا إلي الكتب المقدسة عند اليهود - **Going to war - Deuteronomy-Chapter Twenty**) كان المحارب يوصَي بما يلي :عند ما تقترب من مدينة ما أدع أهلها للتفاهم، فإذا قبلوا أصبح سكانها رقيقا لك، وإذا رفضوا فعليك بحصارهم. وعندما يكتب لك الرب النصر عليهم، اقتل كل الذكور بسيفك، أما النساء والأطفال وقطعان الماشية فهي غنائم لك[٣]

كما ينبغي أيضا الرجوع إلي الكتب والفصول التالية في العهد القديم:

الفصل الخامس والعشرين من	**Leviticus**
الفصل الثالث والعشرين من	**Deuteronomy**
الفصل الخامس عشر من	**Deuteronomy**
الفصل التاسع عشر من	**Leviticus**[٤]

المسيحية والرق:

سمحت المسيحية بالرق وأقرته، يتضح هذا من رسالة القديس يولس **St.Paul** إلي شعب افيسوس **Ephesus**[٥] عدلت الكنيسة المسيحية موقفها القديم بأن سمحت بالرق ولكنها حدت من مجالاته. جاء هذا في سياق حملتها ضد البذخ الذي كان من مظاهره كثرة عدد الرقيق في المرحلة الأولي من العصور الوسطي - مع ذلك فإنه خلال غزوات الرومان المسيحيين أصبح البيزنطيون **Byzyantines** مصدرا خصبا للرقيق السلاف **Slav** والجرمان **German** الذين أصبحوا من دعائم القوة العاملة. في الوقت نفسه حرمت المسيحية علي المسيحيين استرقاق أخوانهم في

---

(٢) المغيري سعيد بن علي جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار
(٣) بدوي، عبده: السودان و الحضارة الغربية ص ١٠٠.
(٤) قدداح، نعيم : حضارة الإسلام ص ص ٢٣٤، ٢٣٥.
(٥) بدوي : مرجع سابق ص ص ١١٨-١١٩.

المسحية، وهو نفس موقف اليهود نحو إخوانهم اليهود.

أما في العصور الحديثة فقد استمرت الكنيسة المسيحية في ممارساتها للرق لتدعيم النظام الاستعماري.

النصوص التالية تبين موقف المسيحية من الرق:

* Message to the Ephesians(٩-٦ , ٥).

* Message to the Colosians (١-٤).

* Message to Titus (١٠-٩-٢).

* The first message from Peter(١٨-٢).

* From John - Homel ٥-١٠.

* From Basil - Ethics ١-٢٥.

* From Isiror - message ١٢ , ٤.

* From Augustin - ١٥-١٩.

* From Tomas.

لم يشأ يسوع المسيح أن يتناول مباشرة [1] الوضع الاجتماعي للرقيق حيث أنه كان ٦ظاهرة مستمرة في السلم الطويل للتقدم البشري، ترك ذلك للتطور الهادئ ليحدث تأثيره. وحيث أن تجارة الرقيق جزء لا يتجزأ من النظام الاقتصادي / الاجتماعي، رؤى أنه من الأسلم أن يترك ليتهاوي آليا عقب المرحلة الاجتماعية الجديدة، وهو بالضبط ما فعله الإسلام. هكذا استمر يسوع المسيح علي موقفه حتى تغير من الجذور من خلال الإحسان المسيحي **Christian Charity**، ففضّل عدم الصدام مع المجتمع أو السلطة حتى لا يساء فهمه أو أن يكرهه الناس أو أن تقاومه الدولة وتحاربه[2].

---

(١) قداح: مرجع سابق ص ص ٢٣٢ - ٢٤٣

(٢)- عثمان، فتحي: مع المسيح في الأناجيل الأربعة ص ص ٣٣٣ - ٣٣٤

الأوروبيون وتجارة الرقيق:.

بدأت تجارة الأوروبيين في الرقيق من غرب أفريقيا في سنة ١٤٤٢ عندما أرسل أنتام جنزالفيس Antam Goncalves أول شحنة من الرقيق إلي لشبونة. وقد تزايدت أعدادهم باكتشاف الرأس الأخضرCape Verde في ١٤٤٥، وقد شملت الغارات لجمع الرقيق كل ساحل بنين Benin نزولا حتى أنجولا التي أصبحت مع ساوتومي Sao Tome المراكز الرئيسية لإمداد البرازيل بالرقيق. أقام البرتغاليون عددا من أسواق الرقيق حول ساحل غينيا Guinea .

وباكتشاف الأمريكتين كانت الحاجة للحصول علي العمالة ماسة حيث أن الهنود الحمر كانوا غير قادرين بمفردهم علي سد الاحتياج المتزايد، إذ أنهم كانوا منهكين وغير قادرين علي مواصلة العمل في مزارع الأوروبيين ومناجمهم.

كما شارك الأسبان في تجارة الرقيق عندما أعطي فرديناند Ferdinand الإذن بإرسال الرقيق الإفريقيين إلي (الممتلكات) الأسبانية في العالم الجديد. علي أن احتياج الأوروبيين المتزايد لمنتجات السكر والقطن والتبغ من الأمريكتين زاد من الحاجة إلي قوة عمل رخيصة في وقت سابق للثورة الصناعية القائمة علي الآلات التي أدت فيما بعد إلي الإقلال من هذا الاحتياج. وهكذا شهد الأطلنطي التجارة المثلثة Triangular Trade من غرب إفريقيا حاملة الرقيق إلي الأمريكيتين ومن هناك كانت بضائع العالم الجديد تشحن إلي أوروبا.

ولاستمرار تدفق تجارة الرقيق من غرب أفريقيا، كان علي تجار الرقيق الأوروبيين أن يغروا الزعماء القبليين المحليين بأن يبيعوا لهم السلاح والذخائر التي غذت الغارات فيما بين القبائل والحروب المحلية، مما أدي إلي تدمير المجتمعات الإفريقية وواجهت الصناعات المحلية الكساد وتركت مراكزها للصناعات الأوروبية التي كانت أكثر تقدما وجودة(٧).

وهكذا أصبحت تجارة الرقيق مقدمة للنشاط التبشيري والكشوف الجغرافية. ومما يدعو للسخرية أن الدعوة لإلغاء تجارة الرقيق كانت ذريعة للأوروبيين للحصول علي مستعمرات بدعوي أن عملهم الحضاري سيساعد علي إنهاء هذه التجارة «غير الإنسانية» Inhuman في حين أنهم كانوا في الواقع مبتدعيها والعاملين علي توسيعها.

(٧) عبد ربه، سعد زغلول : تجارة الرقيق وأثرها علي استعمار غرب إفريقيا. المجلة التاريخية المصرية، مجلد ٢٠ (١٩٧٣) ص ١٢٩ و ما بعدها.

وبينما أوجد الإسلام الكثير من المصارف لتحرير الرقيق، ظلت رغبة السيد الأوروبي البوابة الذهبية الوحيدة للحصول علي الحرية.

فتح وصول الأوروبيين إلي الساحل الغربي لإفريقيا مرحلة جديدة في تجارة الرقيق في أفريقيا. لقد أدي التشابه بين مناخ المنطقة الاستوائية في أفريقيا وأمريكا الجنوبية إلي تشجيع الأوروبيين للاستفادة من الرقيق الأفريقيين بدلا من الهنود الحمر المنهكين. كان البرتغاليون هم الرواد. و كان هدفهم الأهم هو التغلب علي التفوق الإسلامي وإنشاء مستعمرات كمراكز اتصال لعرقلة التجارة العربية مع ساحل شرق أفريقيا والهند. بدأوا تجارة الرقيق في القرن السادس عشر بينما بدأها الأسبان و البريطانيون في القرن الثامن عشر.

نقل البرتغاليون شحنات من الرقيق إلي لشبونة في البداية. عندما سلك البرتغاليون طريقهم إلي غرب أفريقا وجدوا سكانا مستقرين في الزراعة وكانوا يرتدون ملابس قطنية وحليا من الذهب والعاج. من ثم كانوا شغوفين بمبادلة الذهب بالمصنوعات الأوروبية، وادي استغلال أنجولا والكونغو في جلب الرقيق إلي ما يسمي البومبيروس **Pombeiros** وهم المخلطون (نصف برتغاليين) الذين كانوا يجوبون داخل البلاد لجلب الرقيق ليسوقوهم إلي الساحل. كان رخاء البرازيل البرتغالية مرتبطا في الحقيقة بتجارة الرقيق من أنجولا.

تمثلت المساهمة المبكرة للبريطانيين في تجارة الرقيق في القراصنة البريطانيين في القرن السادس عشر من أمثال ويليام هو كنز **William Hawkins** والبحار البريطاني الكابتن وندهام **Windham**. أدرك البريطانيون أنهم ملتزمون بتوفير قوة عاملة في مزارع السكر في الكاريبي **The Caribbean** ومزارع التبغ في المستعمرات الجنوبية في أمريكا الشمالية والمزارع الاسبانية. لذا رأي البريطانيون أن تجارة الرقيق يمكن أن تبلغ من الضخامة حدا لا يجدي معه إلا أن تكون في أيدي شركات بريطانية. ازدهرت واغتنت لفربول **Liverpool** وبرستول **Bristol** بفضل تجارة الرقيق. كانت لفربول تفتخر بأنها الميناء الرئيسي لتجارة الرقيق لا في انجلترا وحدها بل في أوروبا.[٨]

أما عن الدول الأوروبية الأخري، فلم تكن متخلفة عن بريطانيا. فقد سارعت هذه الدول إلي تكوين شركات للتعامل في هذه التجارة وأنشأت قلاعا لجمع الرقيق. كان الفرنسيون والهولنديون والدنمركيون والألمان والسويديون متورطين في المتاجرة في الزنوج.

(8) - Anene, J.C. and Brown, G:. Africa in the Nineteenth and Twentieth Centuries, pp. 98 - 102

في عام ١٥١٧ أعطي ملك فرنسا شارل الثاني Charles ١١ الإذن لرعاياه الفلمنكيين باحتكار تجارة الرقيق علي ساحل غرب أفريقيا بمعدل أربعة آلاف من الرقيق في السنة. في عام ١٦٩٠ أقرت بريطانيا بشرعية تجارة الرقيق، وفي خلال القرن الثامن عشر نقلوا ثمانية وثلاثين ألفا من الرقيق الإفريقيين، بينما نقل الفرنسيون عشرين ألفا، والبرتغاليون والهولنديون أربعة عشر ألفا من الرقيق. هذا العدد الضخم من الرقيق نقل عن طريق عدد كبير من السفن بلغ ثمانية آلاف سفينة ولا يعرف أحد حتى الآن العدد الحقيقي للرقيق الذين نقلوا إلي أوروبا والعالم الجديد New World خلال أربعة قرون من هذه التجارة، يتراوح العدد بين عشرين وثمانين مليونا، بينما تشير تقديرات أخري إلي أن عددهم بلغ مائة وخمسين مليونا. ومن الطبيعي أن أربعة أخماس الرقيق المنقولين واجهوا مصيرهم السيْ بسبب الظروف السيئة التي تعرضوا لها بدءا من شحنهم في صفوف ضيقة في السفن كالأسماك المعلبة والمعاملة الفظيعة للسادة الجدد في المزارع والمصانع.(٩)

ماتت أعداد كبيرة من الرقيق خلال المسير الطويل من الداخل إلي الساحل، ووضع الباقون منهم في مخازن entrepots لنقلهم إلي سفن غير صحية بل وقذرة. لم يحصل الوكلاء الإفريقيون المحليون من تجار الرقيق الأوروبيين إلا علي العقود beads والذخيرة والمشروبات الكحولية مقابل ذلك.

وبمجرد وصول هؤلاء الرقيق التعساء إلي السواحل، يقوم التجار الأوروبيون بفحصهم مستبعدين الضعفاء والمرضي والنساء والأطفال. وإذا أصر الآباء أو الأمهات علي ان يرافقهم أطفالهم علي السفينة، يقتلونهم إذا كانوا أقل من ثلاث سنوات حتى لا يكونوا عبئا علي البحاره. وعندما يصل الرجال من الرقيق إلي السفن يربطون بقيود و كلبشات حديدية لمنعهم من الانتحار بإلقاء أنفسهم في المياه في المحيط لتلتهمهم أسماك القرش التي ترقب وتصاحب عادة هذه السفن التي تحمل وجبات شهية من البشر.

وصف المؤرخ الغيني سوريه كانال Suret Canal أساليب معاملة الرقيق الإفريقيين فقال «حيث أن معظم الرقيق الزنوج كانوا عرايا، تعرضوا لأمراض خطيرة والموت نظرا للتغير الجذري من الجو الذي قدموا منه إلي الأجواء الجديدة والكميات الضئيلة من الطعام المكون من بند واحد هو الشعير. ولدي وصولهم إلي السواحل الأمريكية يغلق عليهم في مراكز توزيع ضيقة وغير صحية انتظارا لأعلي سعر.

(٩) قداح، نعيم: مصدر سابق ص ٢١٨.

أدي سوء الطعام والأعمال الشاقة التي فرضت علي الحوامل إلي الإجهاض وأدي انتشار الأمراض بين الشباب إلي انخفاض معدل الخصوبة.بلغ عدد الوفيات علي جزيرة هاييتي وحدها ثلاثين ألفا سنويا. كان التجار يقولون أنهم لا يعبأون لموتهم حيث ان بيع الباقين منهم يعوضهم عن موتهم بل يزيد. تعرضت الرقيقات إلي عذاب بئيس تراوح بين المضايقات الجنسية إلي الضرب المبرح. وتعرضت المسلمات منهن لمحاولات عنيدة لتنصيرهن.

لا يشعر الفرنسيون بالذات بالخجل من اتهام غيرهم بممارسة الرق خاصة الزعماء المسلمين الذين حاربوا بضراوة ضد التوغل الفرنسي في بلادهم. لقد كرم المستعمرون الفرنسيون من أمثال أرشينار **Archinard** وبيروز**Péroz** وجورو **Gouraud** وفيديرب**Faidherbe** وكومب **Combes** وجالييني **Gallieni** ومارشان **Marchand** ومنحوهم الجوائز والنياشين في حين أن الزعماء المسلمين من أمثال الحاج عمر وساموري**Samory** وممادو لامين **Mamadu Lamine** اتهموا بأنهم تجار رقيق. ولإعطاء مجرد مثال عن المعاملة الوحشية للأسري من قبل الفرنسيين، نضرب لهم مثلا، مدينة سيكامو**Sikasso** في غرب أفريقيا وما واجهته من أهوال. عندما استسلمت هذه المدينة جمع الفرنسيون حوالي أربعة آلاف أسير، بدأ القائد الفرنسي في توزيعهم وسط مشاجرات بين الضباط.أجبروا علي السير في صفوف طويلة. وترك غير القادرين علي الاستمرار في المسير ليواجهوا مصيرهم لتأكلهم الوحوش. وإذا ولدت امرأة يترك وليدها علي جانب الطريق بينما تجبر هي علي استئناف المسير.كان الرجال يجبرون علي حمل الطعام للقوات الفرنسية خمسة أيام متواصلة بينما يحرمون من تذوق هذا الطعام،وتختار النساء الجميلات لإدخال السرور علي القادة والضباط.

كانت الطرق في أعالي السنغال مليئة بالمراكز الفرنسية لبيع الرقيق. أقيمت مسابقات علي القتل والنهب والاغتصاب بين الضباط الفرنسيين، الذين كانوا يقومون بعمليات تهجير جماعية لمجرد الرغبة في الحصول علي الترقيات والنياشين.[١٠]

ومع ذلك فقد التزم كثيرون من المؤرخين الغربيين الصمت الكامل عن المعاملات الوحشية من قبل الأوروبيين في الوقت الذي يتهمون فيه العرب بممارسة تجارة الرقيق. ومن دواعي الأسى أن بعض المؤرخين الأفارقة الذين تربوا في مدارس الإرساليات التبشيرية يرددون اتهامات الغربيين ضد العرب بينما يتجاهلون جرائم الغرب ضد أفريقيا.

(١٠) قداح، المصدر نفسه: ص ص ٢٢٠- ٢٢٣.

إلغاء تجارة الرقيق :

ساهمت الكنائس المسيحية في إقامة النظام الاستعماري، وعندما قرر المسيحيون أن تجارة الرقيق من أعمال الشَّرّ، أقنع عدد من ذوي النفوذ حكوماتهم بوقفها (الدنمرك في ١٧٩٢ وبريطانيا في ١٨٠٧) كانا من أوائل الدول، لقد كان وقف هذه التجارة أصعب من البدء فيها [١١]. في النصف الأول من القرن التاسع عشر دعا كثير من الطوائف الدينية مثل طائفة **Anabaptists** والكويكرز **Quakers** إلي الأخوة بين البشر ونددوا بكل صور القسوة والجريمة ضد الإنسانية.

وقد ساهمت الكتابات الأدبية كثيرا في ذلك، كان الناس يقرأون مستمتعين، أكثر من الآن، بعض المؤلفات مثل البؤساء **Miserables, Les** لفيكتور هوجو **Victor Hugo** وأوليفرتوست **Oliver Twist** وديفيد كوبرفيلد **David Copperfield** [١٢]

في هذا الخصوص لا يمكن إنكار تأثير كوخ العم توم **Uncle Tom›sCabin** التي حرضت علي إلغاء تجارة الرقيق. ظهر هذا الكتاب لأول مرة في الولايات المتحدة في ١٨٥١ وترجم إلي ما لا يقل عن ٢٢ لغة، وبيع في بريطانيا ومستعمراتها مليون ونصف مليون نسخة، ومثلت علي المسارح الأمريكية .حققت المؤلفة سمعة واسعة واستقبلها الرئيس الأمريكي أبراهام لنكولن **Abraham Lincoln** في١٨٦٢ – وقال بعض النقاد انه لولا قصة كوخ العم توم ما كان لنكولن لينتخب رئيسا للبلاد. كرمت كذلك في بريطانيا من الملكة فيكتوريا وعدد من مشاهير الكتاب مثل دكنز وجورج إليوت **George Elliot** وبعض السياسيين(١٣) ومما قوي من حمله الكراهية لتجارة الرقيق ما تكبده الأسطول البريطاني في هذه التجارة المثلثة وما عاناه من فقد البحارة ذوى الخبرة في الرحلة إلي أفريقيا وجزر الهند الغربية حيث بلغت نسبة الخسائر البشرية ٤٠٪ من الرجال البيض.

في عام ١٧٨٧ انشأ دعاة إلغاء تجارة الرقيق **Abolitionists** ولاية الحرية **Province of Freedom** والتي سميت فيما بعد الحرية «**Freedom**»في سيراليون، وقد نقل إليها ٤١١ فرداً من انجلترا، كان معظمهم من الأرقاء المحررين، فضلا عن النساء البيض يعتقد أنهن عاهرات. كان الهدف إنشاء مستعمرة مسيحية في غرب أفريقيا، وفي ١٧٩٢ أرسل أرقاء محررون مسيحيون من نوفا سكوتيا في كندا إلي فريتاون **Freetown** .

---

(١١) قداح، المصدر نفسه ص ص ٢٢٠- ٢٢٣
(12) Becker, C. L. and Cooper, K.S:. Modern History, Europe Since 1600, pp. 218-219 .
(13) Stow, Harriet Beecher: Uncle Tom›s Cabin , Translated by Amin Salama, pp.. 130 137 -

وفي ١٨٢١ قامت جمعية التوطين (الاستعمار) الأمريكية **American Colonization Society** بتوطين بعض الأرقاء الامريكين المحررين فيما سمي فيما بعد ليبريا **Liberia**، وقد حصل هؤلاء الزنوج والمخلطون علي أراض في كيب ميزورادو **Cope Mesurado** التي أصبحت فيما بعد ليبريا **Liberia** وهي تعني ارض الأحرار في حين أن منروفيا **Monrovia** العاصمة سميت علي اسم الرئيس الأمريكي السابق مونرو **Monre**. في (١٨٢١)- وفي ١٨٤٧ أعلن هولاء المستوطنون أنفسهم دول مستقلة. وهكذا أصبحت ليبيريا الدولة الأفريقية الوحيدة التي لها علاقات قوية بالولايات المتحدة الأمريكية موطن الكثير من الزوج. كانت النتيجة أن حركة" الإلغائيين «كان عليها أن تنشي رءوس جسور علي الساحل الإفريقي.**Bridgeheads**

ففي ١٨٠٢ الغت الدنمرك تجارة الرقيق وهو مالم يغير كثيرا من حجم هذه التجارة في حين أن إلغاء بريطانيا لها في ١٨٠٧ أوجد فارقا كبيرا.

كان هناك بعض الأسباب لإلغاء هذه التجارة:

* تولي فوكس**Fox** رئاسة الوزارة البريطانية وهو من المعارضين لهذه التجارة.

* كان أصحاب السفن في لفربول يجنون الكثير من الأرباح من الحروب مع فرنسا وتجارة سريعة التوسع مع الولايات المتحدة في القطن.

* كان البحارة البريطانيون يريدون أن يحارب رجالهم فرنسا لا أن يموتوا في المناطق المدارية.

* تناقص الاهتمام الانجليزي بأمريكا علي أثر نجاح بعض الثورات في الولايات المتحدة.

* ثورة الرقيق في سانتودومنجو **Santo Domingo**وما ارتكب من أعمال وحشية اظهر خطورة زيادة أعداد الأرقاء الذين يتحكم فيهم المخلطون والأوروبيون.

* خسارة الفرنسيين لجمهورية هاييتي الزنجية الثرية فضلا عن عشرات الآلاف من الجنود الذين أرسلوا إليها لإخماد الثورة.

* أظهر الإنتاج المعتمد علي الطاقة البخارية أنه أكثر ربحية من إنتاج السكر القائم علي طاقة الرقيق، من ثم تبين أن استخدام الرقيق غير ضروري.

أما عن تنفيذ إلغاء تجارة الرقيق، فقد أجري البريطانيون مفاوضات عن حق التفتيش المتبادل. **Reciprocal** «**Right of Search**» مع دول أوروبية أخري.

ازداد عدد الرقيق من غرب أفريقيا بدلا من أن ينقص بعد ١٨٠٧. كان تجار الرقيق يرفعون أعلام الولايات المتحدة مما أكسبهم حصانة ضد عمليات الاستيلاء البريطانية وقد تمكنت السفن السريعة مثل «أمريكان كليبرز" **American Clippers** من تفادي البريطانيين بسبب سرعتها الأكبر. لم يكن الزعماء القبليون الأفارقة راغبين في إلغاء تجارة الرقيق. في هذا الصدد قال ملك بوني **Bonny** يجب أن تستمر هذه التجارة، هذا أيضا حكم كهاننا، إن بلدكم بريطانيا ليس بوسعها أن توقف تجارة أرداها الله." وقال زعيم قبلي أخر، إننا نريد ثلاثة أشياء: الذخيرة والرصاص والبراندي. ولدينا ثلاثة أشياء نبيعها الرجال والنساء والأطفال" تجاوب البريطانيون مع هؤلاء الزعماء بتقديم الرشاوى والرواتب لتشجيعهم علي عقد معاهدات معهم أدت في النهاية لإعلان الحماية ثم الاستعمار.

توسعت التجارة المشروعة بصورة كبيرة في القرن التاسع عشر علي طول الساحل الغربي **West Coast** لتحل محل تجارة الرقيق. حقق البريطانيين، والاوروبين بصفة عامة، هدفهم في نشر المسيحية من خلال توسيع العمل التبشيري، وتبنوا فكرة أن الكنيسة تحيا علي التبشير كما أن النار تدوم بالاشتعال" **Church lives by Mission as a Fire lives by Burning** ».

في الواقع لم تنته تجارة الرقيق في غرب أفريقيا إلا بعد توقف الطلب عليهم في الدنيا الجديدة، وهذا يعني إلغاء الرق نفسه وتعويض ملاك العبيد عن فقد ثرواتهم.في الامبراطورية البريطانية، ووفق علي قانون إلغاء الرق في ١٨٣٣، تلاهم الفرنسيون في ١٨٤٥ ثم الولايات المتحدة في ١٨٦٣ في عهد الرئيس لنكولن.[١٤]

الإسلام والرق

مورس الاسترقاق قبل مولد المسيح بألف سنة بمعرفة عدة دول في العالم القديم[١٥] ورغم الاتهامات الموجهة ضد الإسلام، فإنه لم يستحدث هذه التجار، هذه حقيقة مؤكدة، تقر بها حتى المصادر الغربية. وقد جاء في كتاب **L› Afrique explorèe et civilisée**،

«من الواضح أن محمدا لم يسمح باستمرار الرق الذي كان موجود من قبله، علي العكس فقد أمر بعتقهم. ومع أن القرآن اعترف بوجود الرق فقد فرض تخفيف آثاره وحدّ من وجوده. اعترف

(14) Anderson ,J.D.: West Africa,PP48-54.
(15) Murphy, E.J :. History of African Civilisation, p. 270

الإسلام بالرق في حالة واحدة، هي أسري الحرب وعائلاتهم، ووفقا لوجهة النظر الإسلامية فإن الرقيق الذين يقبض عليهم أو يجمعهم تجار الرقيق لا يعدون رقيقا[١٦]

المؤرخون الاستعماريون شغوفون بأن ينسبوا تجارة الرقيق إلي العرب، رغم أن أولئك العرب الذين شاركوا في هذه التجارة الكريهة كوكلاء عن التجار البرتغاليين كانوا قلة. كان هدف هؤلاء المؤرخين تشويه الحضارة العربية وإنكار إنجازاتها في إفريقيا وغيرها. هناك قلة من المؤرخين الأوروبيين معروفون بنزاهتهم وأحكامهم العادلة لم يعمموا في أحاكمهم.

من حيث المبدأ، ندّد الإسلام بالرق، يتضح هذا من خلال الأيات القرآنية وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم، كان الإسلام حريصا على إيجاد مصارف للرق من أجل التحرر من العبودية. كما يقضي الإسلام فإن الرقيق أصبحوا تدريجيا أحراراً ومساوين لغيرهم من أفراد الجماعة أو العائلة التي نشأوا فيها فقد تزاوجوا مع مواليهم وتدربوا على الفنون الحربية والإدارة وتقلدوا مناصب هامة في الدولة. ونستشهد هنا ببعض الأيات والأحاديث التي تتناول موقف الإسلام من الرق :

قال تعالى: وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مّسَلّمَةٌ إِلَىَ أَهْلِهِ إِلاّ أَن يَصّدّقُواْ) [سورة: النساء - الأية: ٩٢]

وقال تعالى: (وَلَـَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقّدتّمُ الأيْمَانَ فَكَفّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أو تحرير رقبة) [سورة: المائدة - الأية: ٨٩]

قال تعالى: (وَالّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نّسَآئِهِمْ ثُمّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ) [سورة: المجادلة - الأية: ٣]

وقال تعالى: (وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَة، فَكّ رَقَبَةٍ) [سورة: البلد - الأية:١٢، ١٣]

وقال تعالى: (وَفِي الرّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السّبِيلِ) [سورة: التوبة - الأيتان: ٦٠]

وقال تعالى: (وَالّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْراً وَآتُوهُمْ مّن مّالِ اللّهِ الّذِيَ آتَاكُمْ وَلاَ تُكْرِهُواْ فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصّناً لّتَبْتَغُواْ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدّنْيَا) [سورة: النور - الأية: ٣٣]

(16) L'Afrique explorée et civilisée.

وفي الحديث :

العتق هو التخلي عن امتلاك إنسان، تقربا إلى الله، وهو عمل مستحب، في حين أنه فريضة في حالات الكفارات:

١. عن أبي هريرة، قال رسول صلى الله عليه وسلم (أيما امرؤ مسلم عتق امرءا كان فكاكه من النار، يجزي كل عضو منه عضوا منه»

٢. في تفسير هذا الحديث، يقول العلماء أن تحرير حتى الكافر جائز، وعن أبي داوود، أحد علماء الحديث «أيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة كانت فكاكها من النار، يجزي كل عضو منها عضوا فيها»

٣. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أيما أمة ولدت من سيدها فهي حرة بعد موته.

٤. في الفقه الحنفي : على المولى أن يطعم عبده، تنفيذا لتعاليم الرسول، إنهم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، أطعموهم مما تأكلون وألبسوهم مما تلبسون ولا تعذبوا عباد الله[١٧].

٥. وقال أيضاً، «من قتل عبده قتلناه، ومن جدع أنفه جد عنا «

٦. (دكتور أحمد أبو عودة في إذاعة القرآن الكريم ٢٤/ ٥/ ٢٠٠١الساعة ١٢:١٥)

٧. قارن هذا كله بما حدث منذ سنوات قلائل ونحن في القرن الحادي والعشرين، عندما كانت إحدى السفن تحمل أطفالاً في طريقها إلى الجابون لم يصرح لها بدخول ميناء دوالا **Douala** في الكاميرون عندما شكّت سلطات الميناء في أن عائلاتهم الفقيرة قد باعتهم. كانت الجمعيات الخيرية في انتظارهم في ميناء **Cotonou** في داهومي **Dahome** كانت المفاجأة عندما اكتشفت السلطات الدولية أن عدد الأطفال الباقين على المركب سبعة، على المرء أن يخمن ما هو مصير بقية الأطفال.و هذا مثال مصغر لما حدث في ميناء أوروبي واحد هو ميناء لفربول، خلال فترة عشر سنوات من القرن الثامن عشر، عندما أبحرت السفن ٩٠٠ تسعمائة مرة لنقل ثلث مليون من الرقيق الإفريقيين يقدرون بما قيمته خمسة عشر مليونا من الجنيهات الإسترلينية بصافي ربح اثني عشر مليونا من الجنيهات. كان الفرد يدفع فيه ثمانية جنيهات إسترلينية ونصف الجنية ويباع بأربعين جنيها. [١٨]

---

(١٧) قداح، نعيم: مصدر سابق ٢٣١ - ٢٣٢.
(١٨) بهجت أحمد : عيد القرن الجديد (الأهرام، ١٠/ ٤/ ٢٠٠١)ص ٢.

مع ذلك فإنهم لا يخجلون من أن يرددوا كل حين «تجار الرقيق العرب «مفترضين أن العالم سيظن أن هؤلاء البؤساء قد جمعوا من إفريقيا عن طريق الجن لا بأيديهم هم، تجاراً وسفناً.

الإسلام وعتق الرقيق، في القرآن والحديث :

قضى الإسلام على الرق من الجذور، دعا إلى الحرية الكاملة لكل الأجناس، التمييز فقط على أساس التقوى لا على أى أساس آخر. عندما اقتضت الضرورة صودرت الحرية فقط لا إنسانية الإنسان. أمر الإسلام بالعتق لا الرق وسمح بالأسر نتيجة الحرب. وهذا أمر متفق عليه حتى الآن بين جميع الأمم، حتى تلك التي وافقت في القرن الثامن عشر على تحريم الرق، وسمحت بالأسر نتيجة الحرب حتى يتم التوصل إلى اتفاق على مبادلتهم أو التعويض بدفع فدية أو غرامة. وفي بعض الحالات أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بإطلاق سراح الأسرى كما حدث مع أسرى غزوة بدر دون فدية. وفي حالات أخرى قبل الفدية مقابل تحرير الأسرى كما كان الحال مع أسرى نجران. كان الاسترقاق نتيجة الحرب المشروعة فقط .

موقف الإسلام من الرق يمكن إيجازه في التالي :

١. للأسير الحق في أن يشتري حريته، للقاضي أن يجبر مولاه على الاستجابة وعلى المجتمع أن يعينه ماليا لاستعادة حريته وهذا حق لكل إنسان .

٢. من يقول لرقيقه «ستكون حراً بعد وفاتي «ليس من حقه أن يعود عما قال، ومن يقول، ولو هزلا، أن رقيقه حر، فقد أصبح حراً.

٣. الدولة ملزمة بتحرير الأرقاء بأن يدفع المال من أجل تحريرهم من أموال الزكاة.

٤. تغفر الذنوب بتحرير الأرقاء .

٥. إذا ضرب السيد رقيقة على وجهة أو جلده، فكفارة ذلك عتقه

٦. أية عقوبة بوقعها السيد على رقيقه، للرقيق أن يرد بالمثل.

٧. تشجيع الزواج بين السيد ورقيقه والعكس.

٨. على السيد أن يطعم رقيقة مما يطعم نفسه وأن يلبسه مما يلبس، الإهانة بقول أو فعل محرمة تحريما قاطعاً.

٩. الرقيق الذي يلجأ إلى المسلمين يجب تحريره وليس لأحد الحق في أن يعيده إلى العبودية .

١٠. حث القرآن على عتق الرقيق واعتبر ذلك وسيلة هامة في التقرب إلى الله .

١١. تحصل المرأة المسترقّة على حريتها عند ولادتها.

١٢. المرأة المسترقّة ليست مادة للمتعة الجنسية.

١٣. إذا ارتكبت المرأة المسترقة جريمة الزنا، عليها نصف ما على الحرة من العقاب.

١٤. إذا ادعى السيد أنه يطعم رقيقه يحكم لصالح الرقيق، رغم أن هذا مخالف للقاعدة العامة في القضاء أن «البينة على من أدعي، واليمين على من أنكر «

١٥. لتشجيع مساهمة المؤمنين في العتق فإن ولاء المتعاقد (مشترى حريته) يكون للشخص الذي أعانه علي استرداد حريته لا لسيده .

قد يتساءل البعض، لماذا لم يوجه الإسلام ضربة قاضية للعبودية منذ البداية؟

وردا على هذا نقول أن الرق كان نظاما معترفا به في أنحاء العالم، فقد مورس الاسترقاق حتى قبل المسيحية فضلا عن الإسلام. آثر الإسلام التعامل مع الرق بالتدريج في الوقت الذي أغلق فيه مصادره وروافده ولم ينس الإسلام الجوانب الإنسانية في العملية كلها بتأكيده على الإخوة بين الرقيق وسيده.

حث الإسلام على الزواج من النساء الرقيقات المسلمات وفضلهن على أولئك اللاتي ينحدرن من أسر عريقة ولكن لايعتنقن الإسلام. في مثل هذه الحالة تنتقل من العبودية إلى حالة الزواج العادي. حرم الإسلام أن يقال «عبدي «بل بنيّ، وابنتي، أي كما يفعل مع أبنائه وبناته. كانت آخر وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وفاته إقامة الصلاة ورعاية الرقيق. حماهن الإسلام من الدعارة وشجع التزاوج من أوليائهن .[19] بالنسبة لمستقبل الأسير فإنه يتقرر بعدة عوامل فقد فرق بين الأسير الذي خرج للحرب، والآخر الذي دفع به إليها ضد رغبته ونهى عن جعلهم يتكبدون حرارة الشمس وحرارة السلاح.

خلال الحروب الصليبية أمر صلاح الدين بإطلاق سراح أسراهم. ليس لأحد أن يقرر مستقبل الأسير، لأنه أسير للدولة لا لمن أسره. يستثنى من ذلك حالات التمرد ومحاولات الهرب أو إيقاع

(١٩) (١) - بدوي عبده : مصدر سابق ص ص ١١٠، ١١٨، ١١١، ١٢٠

الأذى بالمسلمين.[٢٠] وقد بين القرآن الكريم ما يتبع القبض على الأسرى «فإما منا بعد وإما فداء «دون أي ذكر للاسترقاق.[٢١] وبدلا من تسميتهم أرقاء، ساهم القرآن «عباد الله «وهو اسم للمصطفين من المؤمنين، من ثم فإن الاسترقاق لله فقط وليس لأحد سواه.[٢٢] الأسير يلقى تعويضه من الله. «يأيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم" (سورة الأنفال : ٧٠).[٢٣] ولكنهم إذا اختاروا الخيانة : «وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم" (سورة الأنفال : آية ٧١).[٢٤] الأسرى لا ينظر إليهم من علٍ، على العكس فإن المسلمين يحثون على الزواج منهم.

«قال تعالى: (وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) [سورة: النساء - الأية: ٢٥][٢٥]

الأسيرة المؤمنة تفضل على المرأة الحرة غير المؤمنة.

قال تعالى: (وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ) [سورة: البقرة - الأية: ٢٢١][٢٦]

قال تعالى: (وَأَنكِحُواْ الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [سورة: النور - الأية: ٣٢][٢٧] وفي حالة ارتكابهن لجريمة الزنا قال تعالى: (فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ) [سورة: النساء - الأية: ٢٥][٢٨] وهذا التخفيف للعقوبة جاء مراعاة للظروف الصعبة التي واجهتها. وفي زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز، فإنه في حالة السرقة كان السيد يجلد بدلا من الرقيق إذا سرق بسبب الحاجة.

(٢٠) عامر، عبد اللطيف محمد : أسرانا وأسراهم (الأهرام ١٨/ ١/ ١٩٩٧) ص١٩.
(٢١) القرآن الكريم : سورة محمد، آية ٤.
(٢٢) بنت الشاطئ : الإسلام : تصفية الرق (الأهرام ١٨/ ١/ ١٩٩٧) ص ١٩
(٢٣) القرآن الكريم : سورة الأنفال، آية ٧٠.
(٢٤) القرآن الكريم : سورة الأنفال : آية ٧١.
(٢٥) القرآن الكريم : سورة النساء : آية ٢٥.
(٢٦) القرآن الكريم : سورة البقرة: آية ٢٢١.
(٢٧) القرآن الكريم : سورة النور آية ٣٢.
(٢٨) القرآن الكريم : سورة النساء آية ٢٥.

ملاحظات هامة :

من الظلم أن يتهم العرب فقط، بينما يتجاهل الطرف الرئيسي، الذي سير ملايين الأفريقيين إلى مراكز التجميع على الساحل لشحنهم إلى مزارعهم في الدنيا الجديدة. إننا لا ندين الأوربيين فقط بل أيضا القليلين من العرب الذين شاركوا في هذه الجريمة رغم أنهم لم يحصلوا إلا على الفتات.

الحكم على البشر يكون وفقاً لمعايير الإسلام وليس العكس، ومن ثم فإن الجرائم التي ارتكبها بعض المسلمين ليست خطأ الإسلام. تجار الرقيق المسلمون ليسوا مسلمين صالحين حيث أنهم عملوا ضد صالح الإسلام وقواعده بأن الناس جميعا ولدوا أحرارا. أننا نناشد إخواننا الإفريقيين الذين يرددون الدعايات النارية للمبشرين ألا ينسوا المذنب الرئيسي في هذه التجارة الشريرة، تجار الرقيق الأوربيين لأن تجاهلهم يعني أن القليلين من المسلمين الذين شاركوا في هذه التجارة كانوا يتعاملون مع أشباح، هذا ظلم بيِّن.

لا يمكن جلب أرقاء إلا بعد معركة نظامية ولا يستبقون إلى الأبد، فمن الضروري إطلاق سراحهم إما منا أو فداء. أسرى الحرب لا يتخذون رقيقا في كل الحالات.فالمعاملة تكون بالمثل. كان التصرف اللائق معهم من الضرورات، إذا كلف أحد الأسرى بواجب ما فيجب تقديم العون له من ثم فإن الوقوع في الأسر لدى المسلمين لا يقارن بأن يفقد الشخص حياته في الحرب .

بالنسبة للأسيرات فقد شوه المستشرقون عن عمد الأية الخاصة بالزواج منهن وهي الأية الثالثة من سورة النساء قال تعالى: (وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ) [سورة: النساء - الأية: ٣]فسرها المستشرقون بأنها تعني التسري بهن بلا حدود. على العكس فالإسلام حريص على احترام مشاعر الأسيرة في أسرة مسلمة والتي ترقب أفراد الأسرة وهم يمارسون حقوقهم الطبيعية في الحصول على المتعة الجنسية خلال الزواج الشرعي، فعندما يتزوج السيد هذه الأسيرة فإنه يحسن إليها مرتين، مرة عندما تحصل على نصيبها من الممارسة الجنسية خلال الزواج المشروع. والأخرى عندما تحصل على حريتها بمجرد الولادة.

في الإسلام ليست هناك تفرقة على أساس الجنس أو اللون. فعندما عيَّر أحد الصحابة صحابيا آخر بأنه أسود نهره الرسول بشدة ووصفه بالجاهلي مؤكدا في الوقت نفسه على أن يعامله كأخ له .

أخيرا جاءت كلمة الاعتذار من الأمم المتحدة (من ديربان **Durban** في جنوب أفريقيا) عن العنصرية والتمييز العرقي والخوف من الأجانب. نوشدت الدول الغربية بأن تعتذر عن تاريخها الطويل في ممارسة العبودية في إفريقيا، ولكن دون استجابة دعا بعض الأمريكيين من أصول إفريقية مثل السناتور جاكسون **Jackson** وهو من الناشطين في مجال الحقوق المدنية، دعا إلى دفع تعويضات من الولايات المتحدة وبريطانيا في صورة منح دراسية ومعونات فنية واقتصادية للدول الأفريقية وشطب ديونهم الخارجية. كان إليكس هيلي **Alex Hailey** الكاتب الأمريكي من أصل أفريقي أول من دعا لذلك في كتابه «الجذور **The Roots** في السبعينيات ثم كررها كاتب أمريكي آخر من أصل أفريقي هو راندول ربنسون **Randall Robinson** في كتابه الديَّن **The Debt** «الذي نشر في الولايات المتحدة في عام ٢٠٠٠ أكد روبنسون أن الرق لم يحرم السود من كرامتهم وإنسانيتهم فقط بل عمّق شعورهم بعدم جدوى وجودهم. وفيما بعد تبنت منظمة الوحدة الأفريقية **Organization of African Unity** (الاتحاد الأفريقي **African Union** فيما بعد) تبنت دعوته وبحثت إمكان تبني خطة مماثلة لمشروع، مارشال **Marshal Plan** لإعادة بناء أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية.

ثم قال أنه ليس من الصعب السير قدما بهذه الخطة، على نمط نجاح اليهود في الحصول على تعويض عما سمى بالهولوكوست من ألمانيا والنمسا ومن البنوك السويسرية شنت الدعاية الصهيونية هجوما شاملا ضد هذه الدعوة ودعت إلى مقاطعة مؤتمر ديربان.

وقد وصفت الكاتبة الأمريكية سوزان بلومنتول **Susan Blumenthal** الأهوال التي واجهها الرقيق الأفريقيون في أحد هذه الحصون في غانا في كتابها **Bright Continent** : ليس هناك شيء يخفف من الأهوال في حصون الرقيق في غانا، لقد صممت الزنزانات بشكل سئ وبقيت حتى الآن على ما كانت عليه منذ قرون بحوائطها الرطبة. ونوافذها التي تطل على المحيط ليتسلل منها الضوء كان الجو في داخل الحصن خانقا ويثير الرغبة في التقيؤ. لم يكن متصورا أن يستطيع أي إنسان تحمل البقاء في هذا الجو الكئيب لأي فترة من الوقت ولو قصرت، لم يخرجوا من هذا الظلام إلا ليعبئوا في سفن الرقيق التي كانت تعبر الأطلنطي في شهور. الأغرب أن بعضهم بقى على قيد الحياة.(٢٩)

(29) Blumenthal, Susan: Bright Continent, a shoestring guide to Sub-Saharan Africa, p. 89.

امتدح بعض الكتاب الغربين المعاملة الإنسانية للرقيق من جانب العرب، حتى الذين لا يعهد عنهم ودّ للعرب. قالت سوزان يلونتول في كتابها السابق ذكره. بحلول الألفية الثانية (عام ١٠٠٠) للميلاد كان العرب قد أقاموا على ساحل شرق أفريقيا، كانوا يتاجرون في القماش والعاج والعقود وقرون الخرتيت والأصداف والرقيق. ولم يكن الرق في ذلك الوقت بالصورة البشعة التي أصبح عليها على يد الرجل الغربي .Western ازدهرت المدن الساحلية بين القرن الثاني عشر والخامس عشر، وفي مدن ممباسا ومالندى ولامو كانت البيوت مبنية على دعائم قوية من الأحجار وبها حدائق ونافورات ومفروشة بالسجاد العجمي (الفارسي)، وبها سلطانيات من السيراميك وجلود النمور[٣٠]. قارن بين ما كتبته المؤلفة عن الحضارة العربية وماكتبته عن سلوك البرتغاليين. وصل البرتغاليون سنة ١٤٩٨، وضعوا نهاية للعصر الذهبي للساحل بأن أوقفوا التجارة مع شبه الجزيرة العربية وبلاد الفرس. كان فاسكو داجاما يتلمس طريقا إلى جزر الهند الشرقية وإلى المملكة الأسطورية، مملكة يوحنا المعمدان **Prester John** ورسا في ميناء مومباسا **Mombasa** في عام ١٤٩٨.

كان العرب قد قدموا مواد الإعاشة وغير ذلك من المساعدات بدءاً بالمعلومات البحرية التى زودهم بها الأمير العماني ابن ماجد. وفي طريق العودة أحرق البرتغاليون المدن العربية على الساحل، وهو موقف أجرامي ناكر للجميل.وعلى نقيض معاملة العرب للإفريقيين كان أقل ما يوصف به سلوك الرجل الأبيض أنه سلوك مخجل. ولضرب المثل نقتبس بعض ما قالته بلومنتول عن النشاط التبشيري البلجيكي.

«إن الصورة النمطية للمبشر الأبيض هي يد على البندقية وعين فاجرة على ثدبي المرأة الإفريقية العاريتين، بدأت في زائير وتدعمت غطرسة بعض المبشرين منذ أمد بعيد ،في القرن السابع عشر. أنهم يضربون أسوأ الأمثلة على فساد الأخلاق وممارسة الدعارة من جانب الرهبان البرتغاليين الكابوتشين **Capuchin** الذين أدمنوا هذه الأخلاق الفاسدة. لقد قال لي أحد الأمريكيين الذين يعملون لدى كنيسة. كبانجي **Church Of Kimbangi** في كنشاسا **Kinshasa** انه شعر بالغضب للانحلال الجنسي لدى المبشرين البيض خاصة من يعملون في الأحراش ». حتى عهد قريب كان التعليم الابتدائي – وما بعد الابتدائي قليل – كان التعليم في يد الإرساليات التبشيرية. كانت الإدارة البلجيكية والمصالح البلجيكية وثالثهما الكنيسة هم أسس الغزو الاستعماري .[٣١]

(30) Ibid, 487- 388.
(31) Ibid; p. 330

عقدت يلومنتول مقارنة بين أوضاع السود في جنوب أفريقيا **South Africa** وأوضاع السود في بلدها (الولايات المتحدة) فقالت :

«كان الأوائل من إتباع مذهب كالفن **Calven** الذين استوطنوا في الكاب **Cape** متشددين ويخشون الله كالييوريتان الأنجليز **English Puritans** الذين قدموا إلى الولايات المتحدة. قتل المستوطنون البيض وقهروا سكان البلاد الأصليين من الهتنتوت **Hottentot** والبوشمن **Bushmen**، بينما كانوا - مثل المستوطنين الأمريكيين - يظهرون نفس القدر من الاستقامة وهم يجتثون الهنود الحمر، ووجهوا بقبائل معادية كالتي واجهت روادنا عندما فتحوا الغرب الأمريكي «هل صدمتك أول لافتة قابلتها في وسط جوهانسبرج **Johannesburg** والتي تقول «للبيض فقط **Whites only** ربما لأنك تتذكر تلك اللافتات التي كانت مرفوعة في أمريكا إلى عهد قريب. هل عندما شاهدت مكتوبا على المصعد «لغير الأوروبيين والبضائع **non-Europeans and Goods**، تذكرت السود في الميسيسيبي**Mississippi** وهم يتوجهون لمؤخرة الحافلة. هل تذكرت صور مذبحة شاربفيل **Sharpevill** عندما أطلقت الشرطة النار على جمع غير مسلح من الأفريقيين فقتلت ٦٩ منهم هل أحسست بالغثيان لهذه الصور. ولربما تذكرت ولاية كنت **Kent** أو فريدها مبتون **Fred Hampton** أو جامعة لويزيانا) **Louisiana**[٣٢])على عكس ذلك، لاحظ حسن الفاسى المشهور باسم ليو الإفريقي **Leo Africanus** أن الرقيق الذين يعيشون في مجتمعات إسلامية كانوا يحيون حياة عادية مثل حياة مواليهم وقال إن الرق في غرب إفريقيا أقل قسوة. إن الأمر لا يستحق أن يوصف بالرق حيث أنه نوع من الخدمة له واجبات والتزامات خاصة، فالرقيق كان بمقدورهم بسهولة أن يعملوا على تحرير أنفسهم ويحصلوا على حرياتهم، وكان بإمكانهم أن يتزوجوا من أفراد عائلات مواليهم. وفي إمكانهم أن يصبحوا أثرياء. وكانوا يتولون المناصب الرئيسية بل والملك في بعض الأحيان.

محاولات إفريقية لإلغاء الرق :

كتب أحد الرحالة السويديين الذي زار إمارة و فوتاتورو **Futatoro** أنه قبل زيارته لها بعام واحد، أصدر إمامها قانونا - يحسب له ويعلى من شأنه - يحرم امتلاك الرقيق في فوتاتورو للبيع في الخارج. كانت المؤامرات للإبقاء على هذه التجارة الرائجة والقوية التي نتج عنها أرباح كثيرة أقوى من نواياه الطيبة.

(32) Blumenth al, s: op. cit., P 330.011

ظل عدد من سفن الرقيق الفرنسية ينتظر في نهر السنغال كالمعتاد. لما أدرك قواد هذه السفن أنه لا أمل لهم في شراء رقيق من فوتاتورو، قدموا شكوى للإمام من قراره هذا، طلبوا منه أن يغير رأيه ويلغي هذا القانون. رفض الموافقة واتبع ذلك بأن أعاد إلى وكلاء شركات الرقيق الفرنسية الهدايا التي كانوا قد قدموها له وقال «، إن كل ثروات هذه الشركات لن تحمله على تغيير موقفه «تباحث قادة هذه السفن الفرنسية حول ما ينبغي اتخاذه إزاء هذا الرفض، غضبوا كذلك لقرار الإمام وأوجدوا لأنفسهم طريقا جديداً يوصل إلى الساحل. من ثم أبحر هؤلاء الربابنة الفرنسيون عن طريق الساحل إلى سوق هناك ومنه استولوا على الرقيق الذين كان الإمام قد حرمهم من شرائهم.

كانت هناك محاولات أخرى للمقاومة في بنين وأماكن أخرى وقد فشلت هذه المحاولات جميعها لأن تجارة الرقيق كانت حتى بدايات القرن التاسع عشر عصب النظام التجاري في العالم الغربي **The Western World** (٣٣)

الثورة الصناعية وأثرها علي تجارة الرقيق:

أدركت بريطانيا أنه سيكون من الأفضل لها لو لزم سكان غرب أفريقيا بيوتهم لإنتاج المواد الخام وأن يزودوا الإفريقيين ببضائع إنجليزية. هذا الإحساس لقى دعما نظريا من الاقتصادي الشهير آدم سميث **Adam Smith** الذي قال أن الرجل الحر يعمل أفضل مما لو كان رقيقا. من الناحية السياسية كذلك فإن فقدان المستعمرات الأمريكية يعنى أن الأمريكيين سيكونون في وضع أكثر تميزاً من البريطانيين من الناحية الاقتصادية جراء استمرار تجارة الرقيق، من ثم فإنه بسبب عدة دوافع مارست الحكومات البريطانية المتعاقبة ضغوطا دبلوماسية على غيرها من الحكومات الأوروبية لإلغاء تجارة الرقيق. وتمركز الأسطول البريطاني لغرب أفريقيا في فريتان لاعتراض سفن الرقيق. ومع ذلك ففي عام ١٨٦٥ بعد هزيمة الولايات الجنوبية في الحرب الأهلية الأمريكية، أغلقت الولايات المتحدة السوق الأمريكية (للرقيق). بذلك انتهت عملياً تجارة الرقيق عبر الأطلنطي، تبع ذلك مباشرة عهد التجارة المشروعة ثم تلا ذلك بدء الاستعمار الأوروبي.(٣٤)

---

(33) Davidson, Basil and Buah, F.K.: A History of West Africa, p. 178.

(34) Stride. G.T. and Ifeka, C.: Peoples and Empires of West Africa, p. 224.

الفصل الخامس

الجهاد

أساء الغرب فهم كلمة الجهاد وأساء استخدامها عن عمد لتعني أن الجهاد مصدر كل الشرور .فهم يعتبرونه مرادفا للحرب، وهذا غير صحيح على الإطلاق .هذا الإدعاء مبني على تصور بالغ الخطأ مفاده أنه انتشر بقوة السلاح وهذا ما جاء في دائرة معارف الإسلام **Encyclopedia of Islam** وأنه اعتبر واجبا دينيا على المسلمين جميعا وأن عليهم أن يخضعوا غير المؤمنين ويقضوا عليهم إذا رفضوا التحول إلى الإسلام وأنه يجب نشر الإسلام وأن يعلو على كل الأديان، وهذا واجب مقدس على كل مسلم .

ولو بذل علماء الغرب أدني جهد بالرجوع إلى أى قاموس عربي للتعرف على معنى كلمة جهاد لعلموا أنها تعني الجَهد أو الجُهد (بفتح الجيم أو ضمها) ومعناها القدرة أو بذل الجُهد لطرد العدو. وهذا مخالف تماما «لكلمة حرب» وبذلك الجهاد يعنى بذل أقصى جُهد ضد عدو ماثل أمامهم أى الشيطان والنفس، وهذا الفهم يتفق تماما مع معنى الكلمة كما وردت في القرآن الكريم.[1]

في الإسلام، السلام هو القاعدة العامة، الحرب استثناء، ليس واردا شن حرب إلاّ للأسباب التالية:

١ . الدفاع عن النفس والشرف والممتلكات والأمة.

٢ . رد العدو.

ليس مسموحا للمسلمين محاربة من لم يبادروهم بالحرب - فالعدوان محرم تماما وحيث أن الحرب تكون للدفاع عن معتقدات الإنسان وحريته في الاختيار، فيجب أن تتوقف الحرب فور انتهاء هذه الأهداف : «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ... وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله. الأيتان ٦١ , ٦٢ من سورة الأنفال .

أما الحرب في العهد القديم والعهد الجديد فقد سبق مناقشتها تفصيلاً في الفصل الرابع عن «الرق وتجارة الرقيق «.

فرض الجهاد على المسلمين في السنة الثانية للهجرة، لم يفرض على الجميع دون تمييز، بل اقتصر على القادر، ويعفي غير القادرين من هذا الواجب، إذا ما طرد العدو، ولكنه فرض على الجميع في الحالات التالية:

---

(1) Ali , Maulaha Muhammad : the religion of Islam pp.545- 546.

١. إذا دخل العدو أرض الإسلام.

٢. إذا دعا الحاكم المسلمين إلى الجهاد.

٣. المتواجدين على أرض القتال[٢]

أخلاقيات القتال :

أمر الله عز وجل المسلمين بالدفاع عن دينهم :

«وقاتلوهم حتى لا تكون فتنه «(سورة الأنفال: آية ٣٩)

أما عن الذين يقاتلون المسلمين :

«وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم. (سورة البقرة: آية ١٩٠).

ولكن دون أى اعتداء : «ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين «(سورة البقرة آية ١٩٠).

جاء الأمر برد الاعتداء في المدينة، لأنه في مكة كان هناك اعتداء على أشخاص لذلك أُمر المسلمون بالصبر، ولم يكن هناك في الحقيقة خيار آخر ولم يكن في وسع قريش أن تلجأ للاعتداء حيث أن المسلمين كانوا بعيدين عنهم وهذا ما أثار غضبهم وجعلهم يخططون لاجتثاث المسلمين كأمة. حملوا السلاح لاقتلاع المجتمع المسلم حتى يضطروهم للعودة إلى الكفر، كان هذا تحديا ضخما على النبي أن يواجهه. جاء الإذن بالقتال في آيات تبين أن العدو قد شهر السلاح أو قرر ذلك على الأقل:

«أُذن للذين يقاتَلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير «

(سورة الحج في آية ٣٩)

«الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله «

(سورة الحج في آية ٤٠)

هذا الإذن بالقتال جاء للذين فرض أعداؤهم الحرب عليهم وطردوهم من ديارهم. لم يكن هذا

---

(٢) (سابق، السيد فقه السنة، مجلد) ص ص ٦١٥، ٦١٨، ٦٢١ - ٦٢٣

إذنا بالحرب بصفة عامة بل محاربة من حاربوهم. [٣] هناك أربعة أشهر في التقويم العربي، لم يكن مسموحا فيها بالحرب ولكن إذا نقض العدو، فيطبق ما تقتضيه المساواة

«فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم «(سورة البقرة : آية ١٩٤) وهذا لا يعنى أبداً أن كل المسلمين مسموح لهم بحمل السلاح ضد من يخالفونهم الرأى «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغى «(سورة البقرة : آية ٢٥٦)

عند مواجهتم العدو فإن المسلمين مأمورون بما يلي:

ألا يخافوهم

قال تعالى: (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُواْ عَلَى مَا أَسَرُّواْ فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ) [سورة: المائدة - الأية: ٥٢]

أن يعدوا كل ما في وسعهم :

قال تعالى: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) [سورة: الأنفال - الأية: ٦٠]

التزام الحذر:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَانفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُواْ جَمِيعاً) [سورة: النساء - الأية: ٧١]

الثبات:

قال تعالى: (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ) [سورة: الأنفال - الأية: ٤٥]

الصبر:

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [سورة: آل عمران - الأية: ٢٠٠]

(3) Ali, maulaha Muhammad: op .cit pp 553-554.

عدم الهروب :

قال تعالى: (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ) [سورة: المائدة – الأية: ٩٢]

قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ) [سورة: الأنفال - الأية: ١٥]

ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير (سورة الأنفال في آية ١٦).

أوامر الرسول والخلفاء:

القتال في سبيل الله ووفق تعاليم الإسلام بألا يقتلوا الشيوخ والنساء والأطفال، وإزالة الحقد من أنفسهم.

أوصى عمر بن الخطاب قادة الجيوش أن يترفقوا بالجنود وألا يفرضوا عليهم خطوط سير طويلة ترهقهم وألا يحرموهم من الراحة وأن يخصص يوم في الأسبوع للترفيه وأن يبعدوا جنودهم عن بلاد المتعاهدين معهم وألا يسمح بدخول أى من مدنهم إلا لمن يثقون فيهم والذين لن يغتصبوا شيئا من هؤلاء القوم وألا يعتبروا ظلمهم طريقا إلى النصر على أعداء المسلمين.

من جهة أخرى أُمر الجنود بأن يطيعوا قادتهم ولكن في غير معصية لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله.

وبينما لجأ الإسلام إلى الحرب كضرورة ودون إفراط، أمر بقتل المشاركين في الحرب فقط، أما الذين تجنبوها فلا يقتلون ولا يعرضون لأية عذابات. أمر الإسلام بألا يقتل المرضى والخدم ورجال الدين والمصلون، وعدم التمثيل بالجثث أو قتل الحيوانات أو تبديد الزروع أو تلويث المياه أو تلطيخ الآبار أو هدم البيوت أو الإجهاز على جريح بالضربة القاضية (**coup de grace**).وزاد الخليفة أبو بكر «لا تقطعوا أو تحرقوا شجراً ولا تذبحوا غنما أو أبقاراً أو جمالا إلا للطعام «. أوصى الخليفة عمر بتقوى الله.

أما عن غزو العدو أو الهجوم عليه ليلا فهي مسألة موضع خلاف. وافق عليها بعض الفقهاء[٤]. من جهة أخرى فإن خداع العدو مباح.[٥] وحيث أن المسلمين مباح لهم القتال للدفاع عن النفس للمحافظة على بقائهم فيجب أن يأتي وقت تنتهي فيه الحرب، ولكن شروط إنهائها حددها القرآن

قال تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ) [سورة: البقرة – الأية: ١٩٣]

يسيء بعض مفكري الغرب تفسير آية «ويكون الدين لله «أنها تعني أن على كل الناس أن يعتنقوا الإسلام. وهذا مفهوم مخالف تماما لما يتلو ذلك: «فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين «فالانتهاء هنا يعني الانتهاء عن ممارسة الاضطهاد. وفي الواقع سالم الرسول الأعداء في العديد من المناسبات وأوقف القتال مع قبائل عبدة الأصنام عندما أظهروا الرغبة في السلام. وحتى عندما كان يخضع شعبا ما أعطاهم الحرية الكاملة في دينهم كما حدث في فتح مكه. أمر المسلمون بقبول السلام حتى أثناء الحرب فيما لو أراد العدو السلام «وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله «(سورة الأنفال آية ٦١).

وجدير بالملاحظة استحسان السلام رغم أن صدق العدو موضع شك. كان الرسول ميالا إلى عقد السلام كلما أبدى العدو أدنى إشارة نحو ذلك، بل قبل الرسول شروطا اعتبرها صحابته مهينة للإسلام. وهذا دليل واضح على أن نظرية الدعوة إلى الإسلام بالسيف مجرد خرافة[٦].

* أمر الخليفة أبو بكر قادة الجيوش، بما يلي أيضاً:

* طاعة الله والخوف منه وهذا هو الطريق إلى النصر.

* التزام الطريق القويم في أعمالهم قبل أن يطلبوا ذلك من الجنود .

* اللياقة في معاملة الجنود .

* تطبيق مبدأ الشورى قبل اتخاذ قرارات هامة.

* الإيجاز في النصح لتفادي التشتيت أو النسيان.

(٤) سابق، السيد: مصدر سابق مجلد٢، ص ص ٦٤١-٦٤٤، ٦٤٦-٦٤٧، ٦٥٤-٦٧٥

(٥) أبو مسلم: الجامع الصحيح : مجلد ٥ ص ١٤٣

(6) Ali, Maulana Muhammad: op .cit pp 558-559.

* مراعاة ما يلي عند استقبال رسل العدو:

- إكرامهم.
- اختصار فترة بقائهم لأقصى حد لتفادي إعطائهم الفرصة للتعرف على ما يجري في المعسكرات.
- عدم السماح لأحد ممن حول القائد بالحديث إليهم .
- الحفاظ على الأسرار.
- إجراء أحاديث مسائية مع رجالك، حينذاك ستكتشف كثيراً من الأمور
- تعزيز الحراسات في كل نوبة وتفحص مواقعهم دون أن يشعروا
- لا تزج بنفسك في أسرارهم.
- الابتعاد عن العُبّاد في الصوامع.

شارك النساء في القتال وقاموا بأعمال التمريض للجنود الجرحى. إن الهدف من الفتح الإسلامي هو باختصار، القضاء على سيطرة الملوك، وتأمين الحريات الدينية ومنع الفاتحين من ارتكاب الشرور.

أوصى عمر بن الخطاب أحد قواده وهو سعد بن أبي وقاص فقال له:

لا يغرنك أنك خال رسول الله، فليست هناك قرابة بين الله وأحد من الناس، والكل متساوون، والمفاضلة أساسها طاعة الله وتقواه، إلزم أفعال الرسول وأقواله،عندما تقترب من أرض العدو أرسل بجماعات للتجسس عليهم، واستبق من تتوسم فيهم الكفاءة ليكونوا من حولك ليقدموا لك النصح.

مهما بلغ قدر أهل البلدان المفتوحة من التواضع، فالظلم منهي عنه تماما، فالمطلوب من المسلمين أن يبينوا لهم الصدق والنزاهة والعدالة.

هذه القيم جعلت السير توماس أرنولد **Thomas Arnold** يقول في كتابه الدعوة إلى الإسلام **Call for Islam**، «رحب الأقباط في مصر بالفاتحين المسلمين لكراهيتهم للحكام البيزنطين بسبب ظلمهم وخلافاتهم المذهبية. فقد كانت الوسائل السلمية للدعوة إلى الإسلام هي العمد

الأساسية في نشر الإسلام. كان التاجر المسلم واعظا. في نفس الوقت كانت أخلاقهم وانضباطهم ونظافتهم واحترامهم للديانات الأخرى موضع إعجابهم".

قارن هذه القيم العليا بما قاله ونستون تشرشل **Winston Churchill** رئيس وزراء بريطانيا الأسبق «إنني مستعد للتحالف مع الشيطان لتحقيق أهدافي". راجع أيضا ما فعله الحلفاء مع النازي بعد هزيمتهم. لقد عذبوهم وسلبوا أموالهم واتخذوا من نسائهم محظيات. (٧) من الحقائق المعروفة أن البطريرك بنيامين ورجاله هربوا من ملاحقة البيزنطينين ثلاثة عشر سنة ظلوا خلالها في مخابئ في الصحراء. عندما علم عمرو بن العاص بذلك من أحد الأقباط، أعطاه الأمان والحرية، واستقبله باحترام وأقره في منصبه بطريركا وزعيما روحيا للأقباط. وفضلا عن ذلك كان من عادة عمرو أن يأخذ بنصائحه كلما دعت الحاجة. وقد اعتبر الأقباط يوم تنصيبه يوم عيد.

علّم الإسلام رجاله أن يكونوا رسل رحمة، لا انتقام. لم يسمح لهم أن يسيئوا إلى شعوب البلاد المفتوحة، على العكس صدرت الأوامر لهم بإقامة العدالة بين الجميع، الغني والفقير على حد سواء. في الإسلام لا توجد امتيازات خاصة ولا طبقات اجتماعية. التمايز مبنى على أساس الخوف من الله في المعاملة. وصف الرسل المبعوثون إلى حاكم مصر ما وجدوه لدى عودتهم من لقاء مع عمرو بن العاص «لقد رأينا قوما الموت أحب إليهم من الحياة، متواضعون، لا يمكنك أن تتبين قائدهم من الجنود العاديين، وعندما تقام الصلاة، يخرج الجميع لها. قال جوستاف **Justav Lebon** الكاتب الفرنسي الشهير في كلمات واضحة مختصرة «لم ير التاريخ فاتحاً أكثر رحمة وعدلا من العرب" (٨)

الجهاد في اليهودية والمسيحية :

الدعوة للجهاد ليست من خصائص الإسلام وحده، يقول القرآن أنها موجودة كذلك في التوراه والإنجيل، «يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتَلون وعداً عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن «(سورة التوبة في آية ١١١).

عندما أمر النبي موسى شعب إسرائيل بالجهاد في سبيل الله في الأرض المقدسة لتحقيق وعده بنصرهم على الكفار، رفضوا : «قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً، ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون" (سورة المائدة في آية ٢٤)

---

(٧) الشرقاوي، عثمان سعيد : شريعة القتال في الإسلام ص ص ١٩٤-٢٢٧.
(٨) المصدر نفسه : ص ص ١٠٨-١١١، ١١٧

قال الله عز وجل «فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين «(سورة المائدة في آية ٢٦).

وفيما بعد، في عهد طالوت، قاموا بجهاد محدود، لذلك نصرهم الله على المشركين. بعد ذلك تحولت في قلوبهم رسالة الجهاد إلى أعمال مادية وممارسات عنصرية. لذلك أرسل الله عليهم من قضوا على دولتهم.

بالنسبة للنبي عيسى .

قام بالمرحلة الأولى من الجهاد بالوسائل السلمية ولم ير مراحل أخرى من الجهاد إذ أن رسالته على الأرض استمرت ثلاث سنوات فقط، بعدها رفعه الله إليه. لقد شن أتباع المسيح المزيفون الحروب باسمه كذباً فيما سمى «بالحروب الصليبية **Crusadėr Wars** ضد «المسلمين الكفار **Infidel Muslims** «في فلسطين، وفي خلال حملاتهم المتوالية سفكوا دماء عشرات الآلاف من المسلمين، ولم يتركوا النساء أو الشيوخ أو الأطفال، وهذه مخالفة خطيرة للمسيحية الحقة، دين الرحمة[٩]. قارن كل هذا بالمعاملة النبيلة التي عامل بها صلاح الدين الناجين المهزومين في الحروب الصليبية. حتى المؤرخون الغربيون الذين لا يخفون كراهيتهم له وللمسلمين عموما لا يمكنهم إنكار أن صلاح الدين كان فارسا نبيلا لم ينتقم ولم يرد على مذابحهم في القدس وغيرها من أرض فلسطين التي حولوها إلى «مجزر كبير» وهذا يوضح الفارق الكبير بين المسلمين الحقيقيين والأدعياء المزيفين المنتسبين زورا إلى السيد المسيح عليه السلام.

تشويه فكرة الجهاد:

جرت محاولات دءوبة بين ضعاف المسلمين لتشويه فكرة الجهاد في الإسلام، نوجزها فيما يلي :

- الاعتماد على العنصرية والثقة الزائدة بالنفس اعتماداً على الدول الأجنبية التي تخفي اطماعها في ثروات الدول الإسلامية بدلا من الاعتماد على الله، وترديد التعبيرات المجافية للإسلام في أناشيدهم وتفريق صفوف المسلمين.
- تبني مزاعم المستشرقين بأن الإسلام لا ينتشر بالطرق السلمية بل بحد السيف.

---

(٩) الميداني، عبد الرحمن : التوكل و الجهاد ص ص ١١٢-١١٤

- إيجاد منظمات عميله كالبهائية والأحمدية لخدمة الاستعمار البريطاني في الهند وغيرها، هذه الحركات والمذاهب ألغت الجهاد ودعت إلى التعايش السلمى مع الدول الاستعمارية.
- الدعوات المتشنجة التي تهدف إلى الهجوم على نظم الحكم في الدول الإسلامية، هذه المذاهب ضيقة النظر لم تأخذ في الحسبان أن قوتها لا تستطيع مواجهة قوة الدولة. من الطبيعي أن هذه الدعوات لاقت فشلا ذريعاً وأعطت نظم الحكم مبررات لسحقها بعنف وأدى هذا إلى اليأس بين هؤلاء المتشنجين واهتز إيمان بعضهم بصحة الجهاد. (١٠)

من الحقائق المعروفة أن الإسلام يحبذ السلام كلما كان ذلك ممكنا وظل هذا موقف الرسول صلى الله عليه وسلم. وليس هناك حالة واحدة في كل حياته قدم فيها لأية قبيله أو فرد مبدأ «السيف أو الإسلام. «كانت تبوك آخر غزواته التي قاد فيها جيشا من ثلاثين ألف مقاتل ضد الإمبراطورية الرومانية، ولكن لدى وصوله إلى الحدود وبعد رحلة طويلة ومرهقة وجد أن الرومان لا يفكرون في القيام بهجوم، عاد دون أن يحاربهم. إن موقفه هذا في هذه المناسبة يلقي الضوء على أن فكرة السماح بقتال المسيحيين الواردة في سورة التوبة آية ٢٩ تخضع للشروط الواردة في سورة البقرة آية ١٩٠ قال تعالى: (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوَاْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ) حقا ورد في أحد الأحاديث أن الجنة تحت ظلال السيوف، هذا حق طالما أن السيف استخدم في موضعه الصحيح.

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعندما ثار الناس في الجزيرة العربية وكان الخليفة أبو بكر مشغولا بإخماد هذه الفتنة، قدمت كل من روما وفارس يد العون للمتمردين بإمدادهم بالرجال والسلاح، تحدث عن هذا الوضع سير و.موير **W.Muir** وهو من الكتاب المحدثين وليس بحال من المتعاطفين مع الإسلام فقال في كتابه «الخلافة **the Caliphate** «ص ٤٦ خالديا **Chaldea** وجنوب سوريا ينتميان تماما إلى الجزيرة العربية، وكانت الشعوب التي تسكن هذه المنطقة بعضها وثنى ولكن معظمها - نظريا على الأقل - مسيحيون، ويمثلون جزءاً هاما من الجنس العربي وبذلك يدخلون في نطاق الوضع الجديد. ومع ذلك فعندما دخلوا في صدام مع الوحدات المقاتلة الإسلامية على الحدود، ساعدهم حكامها، الجزء الغربي ساعدهم القيصر **Kaiser** أما الجزء الشرقي فساعدهم الخسروان**Chorroes** بهذا اتسعت رقعة الصراع". من جهة أخرى فهناك أدلة مادية تاريخية على أن جنود فارس استقروا في البحرين لمساعدة المتمردين من أهالي هذه الولاية العربية، كما أن امرأة مسيحية تدعى ساجة **Sajah** قادت القبائل المسيحية من بلدها على الحدود

---

(١٠) المصدر نفسه : المصدر نفسه ص ص ١٣١-١٤٧

مع فارس ضد المدينة عاصم الدولة الإسلامية، وعبرت البلاد حتى الجزء الأوسط منها، بذلك فإن الرومان والفرس هم المعتدون، دخل المسلمون وهم في حالة دفاع عن النفس، في صراع مسلح مع هاتين الإمبراطوريتين القويتين[١١]

هناك سوء فهم لبعض آيات القرآن، إما لأنه لم يُبذَل جهد في النظر في مضمون هذه الأيات أو لعدم اهتمام بالظروف التي حارب الرسول في ظلها وهى الأية الخامسة من سورة التوبة، «فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين كافة حيث وجدتموهم" هي في الواقع إعادة تأكيد للأمر بمقاتلة القبائل التي بدأت بمهاجمة المسلمين ونقضت اتفاقاتها، أما إذا قرأناها خارج إطارها، نجدها تحتمل مضمونا غير وارد في الأساس ومن ثم سميت بآيات السيف وهذه بالتأكيد تسمية خاطئة. وتؤكد الأية السادسة والثلاثون من سورة التوبة «وقاتلوا المشركين كافة «تؤكد خطأ فهمهم للجهاد. إنها في الحقيقة تنبيه للمسلمين بأن يحافظوا على وحدتهم في مقاتلة المشركين مثلما أن المشركين متحدون في محاربتهم للمسلمين.

وهذا لا يعنى أنه لا توجد قبائل مشركة لم تحارب ضد المسلمين، لأن ذلك ليس فقط غير صحيح تاريخيا، بل أنه يخالف ما جاء في القرآن الكريم، «إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحداً «(سورة التوبة آية ٤)

هذه الأية تأمر بوحدة صفوف المسلمين بمثل ما أن المشركين يوحدون صفوفهم، في واقع الأمر، الجهاد عمل دفاعي لا هجومي.[١٢] هناك اتهام لا أساس له بأن المسلمين خرجوا لفرض دينهم بحد السيف **at the point of sword** وأن القادمين الجدد يقصدون (المسلمين) يديرون كل البلاد برسالة «الإسلام أو الجزية أو السيف «أنها صورة مشوهة تماما لما حدث في الواقع. لو كان المسلمون قد خرجوا حقا بهذه الرسالة وبهذه الروح فكيف يتأتي أن يحارب غير المسلمين في صفوفهم. إن بقاء أناس على غير الإسلام ولم يدفعوا الجزية، ومع ذلك فإنهم يعيشون وسط المسلمين ويشاركونهم معاركهم، هذا يهدم بالكلية نظرية أن المسلمين كانوا يفرضون الجزية أو السيف.

لم يبدأ المسلمون حربا أبداً بإرسال مثل هذه الرسالة إلى جار مسالم، إن التاريخ يدحض هذه الفرية، ولكن عندما تقوم حرب بناء على عدوان المعتدي أو تقديم العون لأعداء الدولة الإسلامية، فإنه من الطبيعي إلا يوقف المسلمون الحرب إلا بعد أن تحقق أهدافها. لقد كانوا دائما حريصين

(11) Ali, maulaha Muhammad: op .cit pp 560-561
(12) (1) Ali, maulana: op.cit, 570-572.

على تفادي الدماء بعد إيقاع الهزيمة بالعدو، بشرط أن يعترف العدو بهزيمته وأن يدفع ضريبة هي في الواقع رمزية إذا قورنت بتعويضات الحرب الحديثة. لقد كان العرض بإيقاف القتال لدى دفع الجزية من أعمال الرحمة والشفقة بعدو مهزوم. ولكن إذا كان دفع الضريبة غير مقبول من الدولة المهزومة، فلم يكن في وسع المسلمين إلا أن يحتكموا إلى السيف إلى أن يقر العدو بهزيمته.

في الواقع ليست هناك حادثة واحدة في تاريخ الإسلام تبين أنه فرض على أسير حرب أو أن المسلمين بعثوا برسالة إلى جار مسالم تفيد أنهم سيغزونهم إذا لم يقبلوا الإسلام ولكن بعد النصر كان المسلمون يبينون لقادة العدو كيف أن الإسلام رفع من شأن العرب من الحضيض إلى آفاق خلقية وروحية عاليه وصهر عناصرهم المتناحرة في دولة قوية.[١٣] إن تقبل المسلمين وترحيبهم بغير المسلمين في صفوفهم يثبت أن الإسلام لم يفرض على أحد، إن وجود أقليات كبيرة غير مسلمة، كالأقباط في مصر واليهود في المغرب هو دليل آخر. بعد الفتح الإسلامي لمصر، تشجع الأقباط للخروج من المغارات التي كانت تحميهم من الأعمال الوحشية والمذابح التي جرت ضدهم خلال الحكم الروماني، فقد أعطى عمرو بن العاص الأمان لهم جميعاً.[١٤] ليس من المنطقي أن تقول أن العرب البدو، ذوى القدرات المحدودة، مقارنة بقدرات الإمبراطورتين الرومانية والفارسية، القوتين العظميين **Super – Powers** في ذلك الوقت، فرضوا هذا الدين عليهما بحد السيف[١٥].

إذا تذاكرنا سلسلة العذابات التي نزلت بالمسلمين منذ صدر الإسلام مقارنة بالصبر والتسامح اللذين أظهرهما المسلمون، فإننا نجد مثالا واضحاً على ذلك في معاملة المسلمين لكفار مكة، لقد أذن الله للمسلمين بأن يحملوا السلاح دفاعا عن أنفسهم.

مع ذلك لم يدع الرسول فرصة لحقن الدماء. كان هذا واضحا لدى صلح الحديبية الذي قبل فيه الرسول شروط الكفار. كانت شروطا مجحفة للمسلمين الذين اعتبروها مهينة لهم لم يكن الرسول ليقبل هذه الشروط لو كان السيف وسيلته في الدعوة إلى الإسلام لقد أمره الله عز وجل بان يسير قدما بالدعوة بالحسنى دون إكراه لأحد على قبوله .

في كتاب «عبادة الأبطال لتوماس كار ليل **Thomas Carlyle «Warship of Heroes** قال بحق، «إن الادعاء بأن النبي محمد اعتمد على السيف في نشر ديانته أمر سخيف وغير منطقي،

---

(13) (1) Ali, maulana: ibid., ssi-583

(١٤) الشعراوي، محمد متولي: أنت تسأل والإسلام يجيب، مجلدا، ص ص ١٤-١٥.

(١٥) الشعرلوي: محمد متولي: هل انتشر الإسلام بحد السيف، اللواء الإسلامي ١٨/ ٥/ ٢٠٠٠ ص ص ١٠-١١

لأنه ليس بمقدور شخص بمفرده أن يحارب الناس بالسيف إذا لم يكونوا مقتنعين بديانته. إن الذين صدقوه لابد أنهم فعلوا ذلك طواعية وكانوا على استعداد لمقاتلة أعدائه.(١٦)

في كتابه الرسالة الخالدة **Eternal Message** أقتبس عبد الرحمن عزام من فريدريك بيك **Fredric Bake** قوله في كتابه، تاريخ شرق الأردن **History of East Jordon** عن أسباب نشوب الحرب بين المسلمين والرومان «أن الرومان قتلوا فاروا بن عمر **Farua** حاكم عَمَّان من قبل الرومان بسبب اعتناقه للإسلام مما حدا بهم إلى صلبه على بئر أفرى **Afry** في فلسطين.(١٧) بعد انتصار الإسلام وسيطرته على هذه المناطق، كانت الكنيسة المسيحية تتمتع بحماية المسلمين، قال السيروتوماس أرنولد في كتابه «انتشار الإسلام **The Spread of Islam**» «لقد ازدهر أتباع المذهب النسطوري **Nestorian** في ظل الإسلام الذي أتاح لهم نشر عقيدتهم أكثر من أي وقت مضى. لم تستطع مذاهب أخرى أن تفعل مثلهم. لم يكن هذا خطأ المسلمين. وفضلا عن ذلك، تدخل حكام المسلمين لمنع القهر والتعصب بين أتباع المذاهب المسيحية المختلفة، وأقاموا العدل والمساواة بينهم.

عدد السيرأرنولد ذكر كثير من الأحداث التي تشهد بتسامح المسلمين، ذكر أسماء بعض المسيحيين الذين تقلدوا مناصب الوزارة في عهد الخليفة العباسي المنتصر، وأورد إسمي اثنين من الإخوة هما إبراهيم وسلماوا **Salmawa**. جمعت الأخوّة بين العرب المسلمين والمسيحيين في زمن الفتوحات الإسلامية الأولى، انضم المسيحيون العرب إلى صفوف إخوانهم المسلمين إذ أنهم اقتنعوا بعدالة قضيتهم، كما سمح للمسيحيين العرب الذين اختاروا البقاء على ديانتهم أن يقوموا بالدعوة لدينهم في أوساط غير المسلمين كالبوذيين والملحدين.

ذكر المؤرخون أسبابا كثيرة لدخول المسيحيين في الإسلام، كالإعجاب بالدين الجديد وأتباعه، وكراهية الفرقة واليأس من إدخال أية إصلاحات والخوف من ظلم إخوانهم المسيحيين أو إهمال قسسهم لهم. كان هذا ولا يزال التطبيق العملي لوعد الله للمسلمين «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصاري ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون" (سورة المائدة آية ٨٢) .

---

(١٦) الشرقاوي مصدر سابق ص ص ١٢١-١٢٣.
(١٧) المصدر نفسه، ص ١٢٨.

وإعجابا بالإسلام اعتنق كثير من الصليبين أنفسهم الإسلام، كان من بينهم رينوود **Rainwood** أمير الجرمان واللمباردين **The lumbardians** ومعه عدد كبير من رجاله. كان هذا في الحملة الصليبية الأولى ويذكر السير أرنولد أنه في الحملة الصليبية الثانية، روى قسيس من سان دنى **St. Denis** في المعهد الخاص للملك لويس السابع الذي رافقه القسيس في تلك الحملة، «لقد عاملنا التجار المسيحيون اليونانيون أسوأ معاملة، فقد اخذوا أموالنا في مقابل العناية بالجرحى بعد هزيمتنا من الجيوش الإسلامية. لقد خاننا اليونانيون وسرقوا نقودنا ووشوا بنا إلى المسلمين الأتراك. وعلى نقيض ذلك، عندما علم المسلمون بسوء حال من بقوا في المعسكرات، قدموا لنا الدواء والطعام ومنحوا الأموال للفقراء، وهذا ما حدا بكثيرين أن يعتنقوا الإسلام. وقد انضم ثلاثة آلاف منهم لجيش المسلمين" كان من نتيجة الاتصال بين المسلمين والمسيحيين أن أعجب المسيحيون بالمسلمين كما أعجب كثير من الصليبيين بصلاح الدين حتى قبل انتصاره عليهم في معركة حطين، هجر كثير من الأمراء والعامة دينهم واعتنقوا الإسلام. وفي ليلة المعركة نفسها انضم ستة من أمراء الصليبيين إلى الجيش الإسلامي. وذهب إلى أبعد من ذلك الأمير ريمون **Remond** الثالث أمير طرابلس، فاتفق مع صلاح الدين على أن يرسل إليه وعاظا لدعوة شعبه إلى الإسلام.

بعد وفاة صلاح الدين بعث الصليبيون بحملة ثالثة للانتقام لهزيمتهم. واجه جيش الصليبيين الهزيمة في عكا وأصابهم الذعر والجوع، وانضم كثيرون منهم للجيش الإسلامي واعتنق بعضهم الإسلام بينما آثر آخرون العودة إلى معسكر المسيحيين واختار البعض الآخر البقاء على المسيحية ولكنهم قرروا المحاربة في صفوف المسلمين وهكذا انضم هؤلاء وأولئك إلى الدين الذي جاءوا أصلا لمحاربته.[١٨] وعلى نقيض روح التسامح الإسلامي فإن مجمع رؤساء المذاهب الدينية (سنودس **Synods** السادس في توليدو **Tolid** اتخذ قرارا بأنه على كل ملك قبل توليه العرش ألا يسمح بوجود أى شخص لا يعتنق الكاثوليكية وأن يصادر ممتلكات أى شخص يفكر في الخروج على تعاليم الكنيسة الكاثوليكية.

عاني اليهود - الذين كانوا عنصراً هاما في أسبانيا - من اضطهاد رجال الدين الكاثوليك، وصدرت الأوامر بان أى يهودي لا يتحول إلى الكاثوليكية، يواجه بعذاب شديد. عندما قدم العرب إلى أسبانيا رحب بهم اليهود والمسيحيون على حد سواء ولم يمر وقت طويل حتى اعتنق أغلبهم الإسلام طواعية. وقد استمر الدخول في الإسلام حتى خلال أحداث ١٤٩٩. بعد سقوط

---

(١٨) مصدر سابق: ص ص ١٣٦-١٤٢.

غرناطة بسبع سنوات، فإنه من المثير للدهشة أن الداخلين الجدد في الإسلام احتملوا التعذيب وهاجروا مع من بقى منهم ونجا من السيف «السيف الكاثولوليكي The Catholic Sword كتب بطريرك القدس إلى بطريرك اسطنبول ليبلغه «إن المسلمين لم يجبرونا نحن ولا اتباع أية عقيدة تحت سيادتهم، على الدخول في الإسلام، فنحن جميعا نتمتع بحرية العبادة ونتنمع بالمساواة في الحريات المدنية «كان هذا ما أوردته سيجريد هونكه Sigrid Honke في كتابها «فضل العرب على أوروبا The Favor of Arabs to Europe »

وليس من قبيل المصادفة أن يذكر أحد المؤرخين الموضوعيين «إن هزيمة العرب في معركة بواتييه Boitier جنوب باريس أخرت حضارة أوروبا ثمانية قرون »

وفي الوقت الذي كان فيه الكاثوليك المتعصبون يسوقون أكثر من مائتى ألف مسلم معظمهم من أصول أسبانية، إلى المجزرة، كانت الجيوش الإسلامية تفتح ممالك شرق أوربا وتنشر حرية العبادة والعدالة لشعوبها.

لخص السيرتوماس أرنولد آراء بعض المؤرخين عندما قال، «بعد فتح القسطنطينية، أمر الخليفة محمد الثاني بتحريم أى اضطهاد ضد المسيحيين كما أصدر قرارات بأن يسترد البطريرك والأساقفة كل الامتيازات التي كانوا يتمتعون بها قبل الفتح وأعطاهم السلطة الكاملة على رعاياهم المسيحيين وكان مجمع سينود القضاة يتمتع بسلطة النظر في النزاعات كما ألزمت حكومة السلطان نفسها بتنفيذ قراراته.

لهذا قال الكونت هنري دي كاستري Henri de Castri «إن إفراط العرب في حسن معاملة مناوئيهم شجع المتعصبين على الخروج عليهم. لو كان العرب قد عاملوا الأسبان كمعاملة المسيحيين للساكون Saxons لخضع الأسبان للإسلام في هدوء. حقا لم ينتشر الإسلام بحد السيف كما زعم بعض النقاد. ومن الأسلم أن نقول أن مسالمة المسلمين كانت السبب في سقوط دولتهم[١٩] يستشهد أرفنج Irving خطأ بآية في الإنجيل تقول أن ما أخذ بالسيف لا يسترد إلا بالسيف what was taken by sword must be regained by sword «زعم أنها تنطبق على المسلمين. على العكس، فإنها تنطبق حقا على الدول الغربية المسيحية التي غزت معظم الأمم الإفريقية والآسيوية تحت شعار المسيحية والحضارة الغربية. على النقيض فقد نشروا الذل والاستعمار. كانت الكشوف الجغرافية والمراكز التجارية هي الوسيلة. أما الإسلام فقد نشر السلام والإيمان.

(١٩) المصدر السابق: ص ص ١٤٨-١٥٤.

مبادئ تراعي في القتال :

قسم بعض الفقهاء المسلمين العالم إلى دار الإسلام ودار الحرب، هذا من اجتهاد الفقهاء ولكن ليس له أصل في القرآن أو الحديث وكما يقول هؤلاء الفقهاء فإن دار الإسلام هو البلد الذي تسود فيه قوانين الإسلام ويرأسه حاكم مسلم، أما دار الحرب فهو بلد في حالة حرب مع المسلمين. هذا الوضع ليس فقط لا يتفق مع المبادئ الأساسية للإسلام بل أنه لم يكن موضع قبول من أية دولة إسلامية. تغلب بعض الفقهاء على هذا الوضع بأن أوجدوا تصنيفا ثالثا أسموه دار الصلح «أو" دار العهد «أو البلد الذي له اتفاقات مع المسلمين. وحتى هذا التصنيف لا يغطي كل العالم.

الكثير من قوانين الحرب مبني على هذا التقسيم الخاطئ للعالم وليس له أى أساس سواء من القرآن أو الحديث.[٢٠]

الإسلام، في الأساس، لم يأمر بالقتال بغرض الانتقام أو التعصب الإقليمي أو الديني أو السيطرة، بل على العكس - أمر بالقتال ضد الظلم ومجافاة حرية الاعتقاد.

يزخر تاريخ الإسلام بمظاهر الرحمة والرفق خلال الحرب وما بعدها في التعامل مع الشعوب الأخرى.

وفي إحدى الغزوات التي شارك فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، تبين أن بين القتلى امرأة، وعليه أمر الرسول بتحريم قتل النساء والأطفال في الحرب، وفي حديث آخر نهى عن قتل العسيف وهو الذي سيق إلى الحرب كيد عاملة، كما جاء النهى عن قتل الشيخ الفاني (العجوز) وكذا إزعاج الرهبان، وأعطى الرسول الأوامر التالية للقوات التي أرسلت لقتال البيزنطيين بأنه، ردا على المظالم التي ارتكبت نحونا، لا تؤذوا الخدم وارحموا ضعف النساء ولا تضربوا الأطفال أو المرضى، لاتهدموا منازل الذين لا يشاركون في القتال ولا وسائل معيشتهم ولا تقطعوا الشجر المثمر ولا تقربوا النخيل.

وقال الخليفة أبو بكر لا تؤذوا الماشية، ولا تذبحوا منها إلا لضرورة الإعاشة، إذا أبرمتم اتفاقا فاحترموه وكونوا عند عهودكم. وفي طريقكم قد تجدون أناسا يعبدون الله فدعوهم لشأنهم ولا تقتلوهم ولا تهدموا معابدهم.[٢١]

---

(20) Ali, Maulana: OP cit 574-575.
(21))) Ali, ,Maulana: PP. 584-585.

قتال المعتدين

قال تعالى: (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ) [سورة: البقرة - الأية: ١٩٠]

قال تعالى: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) [سورة: البقرة - الأية: ٢١٦]

قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً) [سورة: النساء - الأية: ٧٦]" وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير"

(سورة الأنفال: آية ٣٩)

السلم هو الأصل

منع كبار الأساقفة الأمراء من الدخول في السلم مع الذين يخالفونهم المذهب رغم انتمائهم لنفس الديانة، ألا وهي المسيحية، ناهيك عمن ينتمون إلى غير ديانتهم، لأن دماءهم حسب اعتقادهم مباحة لهم وكذا أموالهم.

على النقيض من ذلك فإن الإسلام يؤثر السلم على القتال، فالسلم قاعدة عامة والحرب استثناء والدعوة إلى الإسلام تتحقق من خلال السلم والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ولكن عندما ينكرون على المسلمين حرية دينهم، فإنهم يلجأؤن إلى الحرب كضرورة ودون تجاوز.

بالنسبة لمن لا يحاربون المسلمين :

قال تعالى: (لاَّ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [سورة: الممتحنة - الأية: ٨] قال تعالى: (فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً) [سورة: النساء - الأية: ٩٠] يؤكد الإسلام الحاجة إلى السلم الدائم ولا يسارع إلى الحرب ولا يفاجئ أحداً بها بل أن الإسلام يعرض على الطرف الآخر رأيه ثم بنذره وبضع أمامه خيارات للخروج من المأزق وفي حالة استمرار الطرف الآخر على عناده وإصراره على الاعتداء، عندها لا يمكن تفادي الحرب لطرد

المعتدي وإعادة السلام إلى الأرض.[٢٢] ويشير تاريخ الدعوة إلى الإسلام أنه انتشر حتى في أحلك عصور انحطاط المسلمين سياسيا واقتصاديا وعسكريا.

ومن المفيد تماما عقد مقارنة بين البلدان التي أقيمت فيها دول إسلامية والبلدان التي أقيمت فيها دول مسيحية. ففي الأخيرة أجبر السكان المسلمون على الدخول في المسيحية في حين أنه في كثير من الدول الإسلامية لا يزال هناك حتى الآن أقليات مسيحية كبيرة فضلت الاحتفاظ بديانتها الأصلية.

في الوقت الحاضر يعلنها السياسيون المسيحيون الغربيون صريحة أنهم لن يتقبلوا وجود دولة مسلمة في أوروبا فهم يزعمون أن أجداد المسلمين في البلقان أجبروا على اعتناق الإسلام. لقد كان من الأيسر على مسلمي اليوم في البلقان أن يعلنوا اعتناقهم المسيحية لتفادي دفنهم أحياء في مقابر جماعية، ولكنهم مصممون على الحفاظ على هويتهم الإسلامية. وهذا يدحض الإدعاء بأنهم أجبروا على اعتناق الإسلام .يقول السيرتوماس أرنولد في كتابه «الدعوة إلى الإسلام «بينما كان المغول والترك يطأون الخلافة الإسلامية في القرن الخامس عشر تحول الغزاة إلى الإسلام رغم أنهم كانوا هم المنتصرين، وكان المسلمون في ذلك الوقت لا حول لهم ولا قوة ولم يحملوا السيوف لإجبار المغول على الدخول في الإسلام.[٢٣]

الحفاظ على العهود :

منذ الدولة الإسلامية الأولى في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وضعت مبادئ العلاقات بين الدول على أساس أنها واحدة من ثلاثة:

١-مؤمنون يتمتعون بالأخوة الكاملة في الإسلام.

٢-معاهد مالم يكن مرتدا، أما غير المسلمين الذين يعيشون تحت حماية دولة إسلامية، فيعاملون وفق عهودهم.

٣-غير معاهد يعاملون وفق مواقفهم، ولكن تحرم مفاجأتهم بالحرب قبل انذارهم. وهذا التحذير لا يمكن أن يكون جزافاً بلا سبب، وهو ليس رغبة في السيطرة أو استغلال أراضيهم وثرواتهم وتجارتهم والمواد الخام والمعادن أو لأغراض عسكرية أو إستراتيجية أخرى.

---

(٢٢) (١) الشرقاوي: مصدر سابق ص ص : ٣١-٣٥.
(٢٣) (٢) المصدر نفسه : ص ٣٧.

الأخوة الكاملة مؤكدة بالنسبة للمؤمنين، فالمسلم في أى بلد إسلامي يتمتع بنفس الحقوق ويلتزم بكافة الواجبات مثل بقية مواطني ذلك البلد بصرف النظر عن اللون أو اللغة أو الجنس وحراً كان أو رقيقاً «دون تفرقة بين المذاهب الإسلامية. وعليه فإذا كان ذلك البلد الإسلامي في حالة حرب، فهو ملزم بالانضمام إلى صفوفهم والمشاركة في الحرب وبالنسبة للمعاهَدين، فإما أن يكونوا من أهل الذمة الذين يتمتعون بكامل الحرية الدينية ويحافظون على كامل حقوقهم وغير ذلك من الاتفاقات والمواثيق الخاصة بحسن الجوار والمبادلات التجارية والحفاظ على السلم، هذه الاتفاقات والمواثيق تحترم بالكامل كواجب ديني أو الذين ليست لهم مواثيق مع المسلمين فلهم الحق في معاملة كريمة طالما أنهم لا يحاربون المسلمين في دينهم أو يخرجونهم من ديارهم بعكس من يحاربون المسلمين او يظاهرون على إخراجهم من ديارهم فالمسلمون مأمورون بألا يصادقوا أو يحموا هؤلاء كما جاء في سورة الممتحنة الأيتان ٨ ،٩ .

الإسلام لا يعترف بالاتفاقات المبنية على الاعتداء من جانب المسلمين أو الاعتداء عليهم، فهم مأمورون بالعدل حتى مع من لا يعدلون معهم. قال تعالى: (وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىَ أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىَ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [سورة: المائدة - الأية: ٨].

قال تعالى: (وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [سورة: الأنفال - الأية: ٧٢].

ومن المعلوم أن المواثيق التي يعقدها فرد سواء كان رفيقا أو امرأة، تحترم ويوافق عليها. وهذا وفقا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل الخليفة عمر رضي الله عنه الذي أقر عهداً أعطاه أحد الأرقاء المسلمين لسكان إحدى مدن العراق.

حرم الإسلام خرق المواثيق غدراً، علانية أو سراً.[٢٤] تطبيقا لهذا الالتزام، لم يقبل الخليفة عمر بن الخطاب الدعوة التي وجهها له كهنة الكنيسة في القدس بأداء الصلاة داخل الكنيسة، خوفا من أن يقوم المسلمون في اللاحق من الأيام بالصلاة في ذلك المكان.

نقض المواثيق جائز فقط في حالة خيانة الطرف الآخر. قال تعالى: (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىَ سَوَاءٍ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ) [سورة الأنفال - الأية: ٥٨]

---

(٢٤) المصدر نفسه: ص ص ٣٩-٤٥.

في مثل هذه الحالة ليس مسموحاً للمسلمين اللجوء إلى الخديعة أو مفاجأة الطرف الآخر بنقض العهود قبل إنذارهم أو إعطائهم مهلة. أقر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء والعلماء أنه على قادة الجيوش الإنذار قبل بدء الحرب. وهذا يعني إبلاغ الطرف الآخر بالأسباب ويبينوا أن الهدف من الحرب ليس ثرواتهم أو قتلهم أو أخذهم أسرى. في الشريعة الإسلامية، القتال قبل الإنذار ذنب يستوجب غضب الله عز وجل، يقول الفقهاء المسلمون أن المسلمين وغير المسلمين متساوون في ثلاثة أشياء :

١ - احترام العهود

٢- الإحسان إلى الجوار

٣- الوفاء بالعهود.

عندما فتحت سمر قند (في أوزبكستان) عنوة دون إنذار في زمن الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وشكا له أهلها، طلب الخليفة من القاضي أن ينظر في المسألة. أصدر القاضي أمره للقائد بأن يسحب جيشه. وحباً في عدل المسلمين، اعتنق كثيرون الإسلام.[٢٥]

أسرى الحرب :

يصنف أسرى الحرب إلى فئتين:

١ - النساء و الأطفال.

٢ - المقاتلين الذين أخذوا أحياء. وبدلا من قتل الأسرى الذين شاركوا في الحرب.

أمر الإسلام بما يلي :

- إطلاق سراحهم وإعطائهم حرياتهم.
- الفداء :بالمال اللازم لتمويل الحرب.
- تبادل الأسرى.

(٢٥) المصدر نفسه : ص ص ٤٨-٤٩

قتل أسرى الحرب سمح به فقط عندما كان للكفار اليد العليا على المسلمين، ولكن بعد إخضاع الكفار، ألغى السماح بالقتل. كان الذين أمر الرسول بقتلهم عددا محدودا للغاية، ربما كانوا أقل من خمسة لأن بقاءهم كان يشكل خطراً كبيراً بسبب تحريضهم القبائل على مهاجمة المسلمين. مع ذلك، فعندما طلب أحد الشعراء، وكان معروفا عنه إلحاحه في الإساءة للرسول أو محاربته عندما طلب العفو عنه، مراعاة لبناته الخمس ووعد بألا يعود إلى الإساءة إلى الرسول، أطلق سراحه حتى دون فدية [٢٦] لم يقتصر فضل المسلمين على مجرد قبول التوبة والرفق بالأسرى، بل احترموا كرامتهم ومكانتهم. فقد منح الرسول صلى الله عليه وسلم أبا سفيان - أحد كبار أعدائه - حق إعطاء الأمان للكفار الذين احتموا ببيته وعندما فتح الرسول مكة، عفا عن كل أهلها وأعطاهم حريتهم، «اذهبوا فأنتم الطلقاء». ولمقارنة الممارسات النبيلة للمسلمين مع أعدائهم بممارسات الدول المنتصرة هذه الأيام، نجد أن أسرى الحرب يقضى عليهم ويعرضون لأحط أنواع التعذيب (كما في سجن أبو غريب «في العراق، وسجون أمريكا في جوانتانامو وغيرها). قام بعض هذه الدول بعد الحرب العالمية الثانية بسحب دماء أطفال أعدائهم لنقلها إلى جنودهم الجرحي. [٢٧]

إن تعذيب الإسرائيليين للفلسطينيين لايقارن بأية صورة من صور التعذيب التي مارستها أية دولة في العالم على مدى التاريخ. كما أن الولايات المتحدة رحلت كثيرين إلى جوانتاناموا حيث لا يعلم أحد شيئا عن مصيرهم البائس.

الإحسان إلى أهل الكتاب :

فضلا عن الحرية التي تمتع بها أهل الذمة (أهل الكتاب) خلال الحكم الإسلامي، نجد بعض الكتاب الذين ملأهم الحقد والكراهية للإسلام، يزعمون أن أهل الكتاب كانوا يعزلون عن المجتمع، هذا ما قاله ميشيل السورياني **Michel le Syrien** وهذا يخالف آراء هذا الشعب نفسه الذي امتدح المسلمين الذين جعلوهم يتمتعون بحريتهم الكاملة في العبادة والسلامة الكاملة. إنهم يتجاهلون الحقائق الواضحة، انطلاقاً من خبث نفوسهم وجحودهم بالمسلمين ومعاملتهم النبيلة لمن يخالفونهم الدين.

إنهم يتجاهلون عن عمد ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم، فيما معناه «من عادى لى ذميا لن يشم ريح الجنة التي يشم ريحها على مسافة سبعين سنة «

---

(26) [1]Ali, Maulana Muhammad: op .Cit pp 585-586.

(٢٧) (٢) الشرقاوي : مصدر سابق ص ص ٥٨، ٥٩.

«من جحد ذميا حقا من حقوقه أو كلفه مالا يطيق كنت خصيمه يوم القيامة، لا تدخلوا بيوت الذميين إلا بإذنهم، من قتل ذميا كبّه الله على وجه يوم القيامة» عندما حاول اليهود إقناع أحد الحكام المسلمين أن يجمع من الجزية قدراً أقل رفض ورد بكلمات قوية أنه رغم محاولتهم الدنيئة لرشوته، فلن يحمله هذا على ظلمهم [٢٨]

سوف نستشهد هنا ببعض مقتطفات لأقوال بعض كبار الكهنة لتأكيد عدل الحكم الإسلامي، وردت في كتاب **Ahl al- Dhimma** كتب البطريرك أشو يابا **Ashuyaba** ٦٤٧-٦٥٧هـ «إن العرب الذين يحكموننا ليسوا أعداء للمسيحيين إنهم يحترمون قسسنا ويقدمون المساعدات لكنائسنا وآديرتنا وطبقا للعهود فالمسلمون مسئولون عن حماية المسيحيين ولا يزج بهم إلى الحرب. الجزية لا تتعدى أربعة دراهم من الفقير وأثنى عشر درهما من التجار والقادرين. لو عملت خادمة مسلمة لدى مسيحي، فليس من حقه أن يغير دينها أو يمنعها من آداء واجباتها الدينية كالصلاة والصيام. ذكر يوحنا الـنيقى **John the Niceus** وهو من كبار الكهنة المصريين «المسلمون متفقون على ألا يتدخلوا بأى حال في شئون الأقباط. إن عمرو بن العاص لم يطالبنا بشئ أكثر من الضريبة ولم يقرب ممتلكات الكنيسة. بل على النقيض، حمى ممتلكات الكنيسة والأديرة حتى آخر يوم في الحكم» .

قال ميشيل السورياني بطريرك أنطاكية في قول مخالف لرأيه السابق :

«أن الرب المنتقم أرسل إلينا أبناء إسماعيل لينقذونا من الرومان. لقد أفدنا كثيراً ورحمونا من وحشية الرومان، من جهة أخرى فقد ساد بيننا الهدوء والرحمة .[٢٩]

ترحيب الأقباط بالحكم الإسلامي، حيث :

استعادوا حريتهم الدينية فكانت كنائسهم محمية تماما، عكس ممارسات الرومان الذين انتهكوا حرماتهم لمجرد الاختلاف في المذهب رغم انتمائهم إلى نفس الديانة.

خفضت الضرائب، كان الرومان يجبرونهم على دفع العديد من الضرائب. في حالة الفيضان المنخفض كانت الضرائب تخفف، وكانت تدفع على ثلاثة أقساط على مدار السنة. أى فرد، حتى خلاف الأقباط كان له الحق في الارتفاق من هذا الاتفاق والتمتع بالتالي بنفس الامتيازات. إذا لم يرغب في ذلك كان المسلمون مسئولين عن سلامته حتى يصل إلى بلده أو إلى مكان تنتهي عنده سيادة المسلمين.

---

(٢٨) (١) المصدر نفسه : ص ص ٦٠-٦١
(٢٩) (٢) المصدر نفسه : ص ص ٦٦-٦٧

لم يكن من حق المسلمين منع الواردات أو الصادرات.

كان المسلمون مسئولين عن صد أى غزو في مقابل الضرائب التي جمعوها. بفضل التسامح والمعاملة الحسنة اعتنق معظم الأقباط الإسلام. وعندما أزداد عدد المسلمين الأقباط سأل الوالي الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يمنع الأقباط من اعتناق الإسلام لتفادي النقص الخطير في الضرائب. كتب إليه عمر، «تباً لك أيها الأحمق، إن الله لم يبعث رسوله محمدا جابيا بل هادياً. في مقابل الحرية الدينية والحماية، كان على غير المسلمين أن يمتنعوا عن فعل أى شيء يؤذي المسلمين في دينهم أو يؤثر على سلامتهم

وعندما عجز المسلمون عن حماية المسيحيين في حمص من الرومان، أعاد لهم خالد بن الوليد ما دفعوا من الضرائب (الجزية). نفس الشيء فعله صلاح الدين عندما أعاد الجزية إلى مسيحيي الشام عندما اضطر للانسحاب. أثبت هذا أن الجزية ليست حق المنتصر على المهزوم بل ثمن مقابل منفعة. على العكس، دخل المسيحيون في قتال مرير فيما بينهم لمجرد الاختلاف في المذهب، عاني الهوجونوت **Huguenot** في فرنسا من الكاثوليك إخوانهم في المسيحية. استغرقت الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت في أوروبا قرنين من سفك الدماء والتعصب وحتى وقت قريب كانت المصادمات دائرة بينهم في شمال إيرلندا **Ireland**(٣٠)

الجزية :

إنها تعني الضريبة التي تؤخذ من رعايا الأحرار غير المسلمين في حكومة إسلامية ويتمتعون بالحماية، وبيّن فعل النبي نفسه أن المعاهدات الخاصة بدفع الجزية كانت توقع مع اليهود والنصاري والمجوس أيضاً. كانت الجزية، وهي أصلا ضريبة تدفعها دولة خاضعة، تأخذ صورة ضريبة «الرأس"، فيما بعد في زمن عمر، كانت كلمة الجزية تطلق أيضا على ضريبة الأرض التي تجمع من المسلمين مالكى الأراضي الزراعية وتسمى «خراج «وكانا معا يشكلان أحد مصدرى الثروة للدولة الإسلامية، كان المصدر الآخر هو الزكاة التي يدفعها المسلمون فقط.

كانت الدولة الإسلامية في حاجة إلى الأموال من أجل بقائها كأية دولة أخرى. في عهد الرسول، كان بعض الدول الصغيرة عند خضوعها يعطي حق إدارة شئونها مقابل مبلغ من المال كضريبة من أجل إقامة الحكومة المركزية في المدينة، وهذا صنيع كبير من جانب الرسول لمنح حكم ذاتي كامل

(٣٠) (١) الصدر نفسه: ص ص ٦٩ - ٧٣.

للشعب بعد هزيمتهم. من ثم فإن دفع مبلغ صغير جداً كجزية في هذه الحالات لم يكن مشكلة بل مكرمة. لم يكن هناك احتلال عسكري لأراضيهم أو مساس بقوانينهم أو عاداتهم أو شئون حياتهم أو دينهم. وفي مقابل الضريبة تتولى الدولة الإسلامية مسئولية حماية هذه الدويلات من كل الأعداء. فيما تلا ذلك من فتوحات، عندما كانت الضرورة تقتضي إقامة إدارة إسلامية، كان هناك أدنى قدر من التدخل في شئون البلاد المفتوحة مقابل التمتع بالحماية الكاملة واستقرار الحكم الذي يقابله الجزية، فهي مبلغ معقول جدا من المال [٣١]

تقضي الشريعة بأن الجزية تؤخذ من:

- الرجال الأحرار وليس النساء
- المكلفين (ذوى الأهلية)
- المتمتعين بالحرية.

أما غير المسلمين المعفيون من دفع الجزية فهم:

- الفقير الذي يستحق الزكاة.
- غير القادر على العمل.
- الأعمى
- المقعد والمريض.
- الراهب ما لم يكن غنيا.
- الأرقاء
- المرأة
- الطفل.
- المجنون.
- العمال.

(31) Ali, Maulana Muhammad: op .Cit pp 575-578.

مقدار الجزية ضئيل جداً ومتروك لتقدير الوالي في ضوء القاعدة العامة وهي أنه لا يكلف أحد فوق طاقته، الجزية تؤخذ فقط من المال الزائد عن حاجة الفرد. يمكن إجراء عقد الذمة مع غير الخاضعين لحكومة إسلامية الذين يفضلون العيش في ظل حماية المسلمين ولكن منفصلين عنهم كما كان الحال مع نصاري نجران. عندما رغب الخليفة هارون الرشيد في التخلى عن ذلك منعه القاضي (محمد بن الحسن).

ولكنه في حالة ما إذا كان الملك أو حاكم ذلك البلد يحكم على هواه مثل أعمال القتل أو الصلب أو غير ذلك، لم يكن يسمح له لأن ذلك مخالف لمبادئ الإسلام والقاعدة هي أن «كل شرط ليس في القرآن فهو عدم »[٣٢] كان النصاري الذين حاربوا إلى جانب المسلمين كنصاري بني تغلب ونصاري نجران، معفيين من دفع الجزية.

كانت الخدمة العسكرية مقبولة، بدلا من الجزية، في زمن عمر، من جورجان **Jurgan**، وشاهيناز **Shahbanaz** وهو أحد الزعماء الأرمن **Armen** الذي عقد معاهدة سلام مع المسلمين وفقا لنفس الشروط [٣٣]

في كل الحالات كانت الجزية تحصل بالمودة الكاملة. وفي الحقيقة كان المسلم بدفع من الضرائب أكثر من غيره إذ كان عليه أن يدفع الزكاة ٥ , ٢٪ من مدخراته، فضلا عن أدائه للخدمة العسكرية[٣٤]

كان عهد الذمة يحترم دائما، ولكنه كان يلغي في حالات:

الامتناع عن دفع الجزية، التهرب من حكم حاكم مسلم، قتل مسلم أو محاولة رده عن الإسلام أو ارتكاب جريمة الزنا بمسلمة أو الزواج منها، اللواط، البلطجة، التجسس أو إيواء الجواسيس، نقض العهد لا يشمل الأسرة ولكنه مسألة شخصية، في هذه الحالة يعامل كأسير، ولكن إذا اعتنق الإسلام، لا يقتل لأن الإسلام يجب ما قبله [٣٥] إن قتل غير المسلم المشمول بحماية الدولة الإسلامية أوفي دولة غير إسلامية ولكنها صديقة يعاقب عليه عقوبة قتل المسلم سواء بسواء. [٣٦] الجهاد مبني على فكرة قوامة وعدالة المجتمع المسلم، يقول الحديث «لا تجتمع أمتى على ضلالة" وملتزمة تماما

---

(٣٢) سابق : مصدر/ سابق ص ص ٦٦٨-٦٦٩.

(٣٥) سابق : مصدر سابق ص ٦٦٨

(33) Ali, Maulana M: op .Cit pp 578-579.
(34) I bid : p p 581-582

(36) Ali, Maulana M: op .Cit pp 578-579

بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر «[٣٧] في حالة عدم القدرة على حمل السلاح للجهاد، فالمسلمون مأمورون بالامتناع عن إتيان المحرمات كبيرها وصغيرها، والانصراف عن الشر ولهو الدنيا، هذا الامتناع أو الانسحاب يسمى «هجرة». الإنكار باليد واللسان هما المرحلة الثانية حيث أن الجهاد بالسلاح وهو ضرورة يسمى الجهاد الأصغر. إذن فالجهاد الأكبر هو جهاد النفس.

الجهاد اليوم يتعرض لسوء فهم واسع عمداً وعن غير عمد. في الحالة الأولى ينسبونه إلى الأية التي تقول : (وَأَعِدّواْ لَهُمْ مّا اسْتَطَعْتُمْ مّن قُوّةٍ وَمِن رّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوّ اللّهِ وَعَدُوّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ) [سورة: الأنفال - الأية: ٦٠] في هذه الأية «ترهبون «لا تعني على الإطلاق قتلا أو تدميرا أو عنفا، على العكس استخدام كل وسيلة في حوزة المسلمين لتفادي الحرب. هذه الكلمة ضحية تشويه سيء لخدمة أهداف دعائية ضد الإسلام كما فُعِل بالضبط مع كلمة «أصولية“ التي تعني في حقيقتها الرجوع إلى أصول الدين اى القرآن والسنة. ولمزيد من تشوية مثل هذه العبارات دمغوا الحركات الوطنية بالإرهابية «في حين أنها تناضل من أجل تحرير أراضيها من الاستعمار أو السيطرة الأجنبية كما هو الحال بالنسبة لحركات التحرير الفلسطينية وفي غير ذلك من بلدان العالم الإسلامي ونتيجة للظلم وتطبيق المعايير المزدوجة، يتم تجاهل العنف الإسرائيلي.[٣٨]

وتفسيرا لكلمة إرهاب المذكورة أعلاه فإن هذه الكلمة خطاب إلى الأمة. من المفترض أن كل الدول في العالم لها جيش مزود بأحدث الأسلحة المتاحة لديها بهدف إرهاب أعدائها ومنعهم من الاعتداء عليها فالدول التي لديها أسلحة تقليدية أو نووية. نقول علنا ردع **deterring** أعدائها من ثم فإن «الردع «هو المقابل «للإرهاب“ مع فارق وحيد هو أن هذه الدول لا تلام على استخدام الردع في حين ان الآخرين يواجهون بهجمات دعائية نارية [٣٩] أساء المستشرقون عن عمد فهم الأية التالية : يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار (سورة التوبة آية ١٢٣) في الحقيقة عندما يكون من غير الممكن تفادي الصراع، أول ما يتوجب علينا فعله هو أن نطهر محيطنا من كل شر لأن الشر وحده هو ما يجب علينا أن نحاربه وأن نحشد قوانا لمقاومتة، فالمواءمات اللفظية لا تناسب جنود الحق والاستقامة [٤٠].إن الأية السابقة توضحها الأية التالية:

---

(37) Willis Jahn Ralph : Jihad " fi sabil allah" (in allah's cause) ,pp. 396-399.

(٣٨) عمارة، محمد : الإرهاب لتجنب العنف والقتال (الأهرام، ٥/ ١٠/ ٢٠٠١) ص١٣

(٣٩) أبو كريشة، محاضرة ألقيت في منتدى النكر الإسلامي، التلفزيون المصري، القناة الأولى. ٢٩/ ١/ ٢٠٠١ الساعة ٢٣٠

(40) The Holy Quran, English translation of the meanings and commentary, king Fahd holy qur-an printing complex,AL- Madina AL – Munawarah,p.541.

«وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله» (سورة البقرة آية ١٩٣) وهذا يعني أن القتال كان بهدف مقاومة الاضطهاد وفي الوقت نفسه كان المسلمون مأمورين بوقف القتال وأى صورة من صور الأعمال القتالية إذا توقف الطرف الآخر.

قارن هذا بدعوة الكاتب الأمريكي ريتش لوري **Rich lorry** في مجلة **National Review** إلى تدمير مكة ([٤١]) أقدس مقدسات ١,٣ مليار مسلم في أنحاء العالم، بقنبلة ذرية. على عكس ذلك كان المسلمون مأمورين حتى خلال الحرب، بألا يدخلوا أماكن العبادة وأن يقوموا بحماية رجال الدين. حقا الإسلام دين التسامح والرفق، وإن هذه الروح الشيطانية والمجنونة لهذا الكاتب لا يمكن أن تنسب إلى تعاليم أية ديانة.

فيما يتعلق بالجهاد يجب أن نضع في الاعتبار النقاط التالية:

التفرقة بين الجهاد والقتال، فالجهاد أوسع مدى لأنه يشمل كل مناحي الحياة في حين أن القتال يعني الجهاد المسلح. لقد دعا الإسلام إلى الجهاد في صورته الإجمالية الأوسع في حين أنه اعتبر القتال استثناء وغير مرغوب فيه فالسلم هو القاعدة العامة التي تناسب كافة البشر بصرف النظر عن عقيدتهم ولونهم ولغتهم. فالقتال مسموح به لحماية الدين وضد أولئك الذين يقتلون المسلمين بسبب دينهم وينكرون عليهم حرية الدين وضد أولئك الذين يطردون المسلمين من ديارهم.

وضع الإسلام قواعد للحرب تتناسب مع قيم الإسلام - لأولئك الذين يقاتلون، وكذا بالنسبة للمسالمين فدماؤهم مصونة تماما.

الجهاد المثالي في الإسلام دفاعي في المقام الأول فليس في الإسلام «حرب دينية «**Religious War** لإجبار الغير على الدخول في الإسلام لأن الإيمان من أعمال القلب وليس الإكراه.([٤٢]) ذكر الدكتور **Stope** أن المسيحية هي التي انتشرت بحد السيف وأن المسيحيين قلبوا الحقائق لكى يتهموا الإسلام - لا أنفسهم- بارتكاب جرائم منافية لطبيعته - وقال إن محمدا لم يشن حربا لفرض دينه على غيره ونتيجة للسياسة الحكيمة التي اتبعها المسلمون إزاء البلاد المفتوحة، ازداد عدد الذين دخلوا في الإسلام، لأنهم لم يكرهوا شعوب هذه البلاد على اعتناق الإسلام لتفادي القتل أو التعذيب في السجون التي كان يمكن أن تحملهم على كراهية الإسلام ويمتنعون عن اعتناقه. ([٤٣]) ولإثبات هذه الحقائق، نقول :

---

(٤١) كاتب أمريكي يدعو إلي تدمير مكة بقنبلة ذرية (اللواء الإسلامي، ٢١/ ٣/ ٢٠٠٢) ص/
(٤٢) عمارة، محمد : إقرار السلام هدف رسالة النبي (الأهرام، ٢٤/ ٥/ ٢٠٠٢)ص٣٢
(٤٣) الشرقاوي : محمد : الإسلام لم ينتشر بحد السيف (صوت الأزهر، ٢٠/ ٢/ ٢٠٠٠)ص ١٨

أن الله عز وجل ذكر في القرآن أن المسلمين سيمتلكون بلادا لم يدخلوها من قبل قال تعالى: (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً) [سورة: الأحزاب - الأية: ٢٧]

معظم المسلمين اعتنقوا الإسلام استجابة للدعاة و للتجار المسلمين الذين كانوا بالنسبة لهم قدوة ينبغي اقتفاء أثرهم كما في شرق أسيا (أندونيسيا التي هي أكبر تجمع للمسلمين)

استمرار الضريبة على أهالي الأراضي المفتوحة دليل واضح على أن المسلمين لم يكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام [٤٤]

وتأتي هنا شهادة موضوعية من قبطي مصري هو الدكتور نبيل لوقا بباوي أستاذ القانون والتي قال فيها، «بعد قراءة متعمقة لأبحاث كثيرين من الكتاب، مسلمين ومسيحيين على السواء، وصلت إلى نتيجة مفادها أن الإسلام لم ينتشر بحد السيف وأن الذين اعتنقوه، فعلوا ذلك بإرادتهم وقناعتهم لقد أعطي القواد المسلمون لأهالي البلاد المفتوحة حرية الاختيار بين البقاء على دينهم مع إعطائهم مطلق الحرية في ممارسة شعائر دينهم أو اعتناق الإسلام. وهذا امتثال لقوله تعالى: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [سورة: البقرة - الأية: ٢٥٦] وفي حالة اختيارهم البقاء على دينهم فلهم، ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين. وأشار دكتور بباوي إلى الاضطهاد والتعذيب اللذين مارسهما الكاثوليك على المصريين المنتمين إلى الأرثوذكسية خصوصا في عهد الإمبراطور ديوكليتيان **Diocletian** سنة ٢٤٨ ميلادية «لقد ألقى بهم أحياء في النار وقشروا بشرتهم وأغرقوهم في الزيت المغلي وصلبوهم بينما كانت أيديهم معلقة إلى أسفل حتى الموت. تركت أجسادهم على الصليب لتأكلهم الوحوش وتنهشهم النسور. لقد تعرضوا للتعذيب على أيدي الكاثوليك"

«مثل هذه الجرائم والمظالم لا يمكن أن تنسب إلى المسيحيين وبالمثل فإن السلوك الظالم من قبل بعض المسلمين لا يمكن أن ينسب للإسلام. أما الضريبة التي فرضت على غير المسلمين فقد كانت مقابل القيام بأعباء الدفاع عنهم ونتيجة لإعفائهم من الالتحاق بالجيش الذي هو مسئول عن الدفاع عن الإسلام، في مقابل الخدمات التي تقدمها الدولة الإسلامية وتمولها الزكاة المفروضة على المسلمين. الضريبة المفروضة على المسيحيين لا تقارن بالضرائب الباهظة التي كانت مفروضة على

---

(٤٤) الشعراوي : محمد متولى : التلفزيون المصري، برنامج نور على نور، إعادة في ١٦/ ٣/ ٢٠٠١.

المسيحيين المصريين من قبل الإمبراطورية الرومانية. أما الدولة الإسلامية فقد أعفت ٧٠٪ من الأقباط من دفع الضريبة، مثل النساء والشيوخ والأطفال والمرضى والعجزة والكهنة والراهبات. وبعد أن أصبحت الدولة مدنية وأصبح التجنيد واجبا على كافة المواطنين إنتفي مبرر تحصيل الجزية. وتساءل الدكتور بباوي عما إذا كانت مظالم الكاثوليك للمسيحيين من مذاهب مسيحية أخرى تنسب إلى المسيحية أم تنسب إلى من ارتكبوها فقط. (فإذا طبقنا المعايير نفسها فإن المظالم التي ارتكبها بعض المسلمين ينبغي ألا تنسب إلى الإسلام" [٤٥]. في الإسلام، الكافر في بيته أو الذي يعمل في حقله لا يقتل، والكافر الذي لا يمنع المسلمين من ممارسة شعائرهم يتحمل مسئولية كفره ومن ثم لا يقتل. إن الإسلام دين الرحمة لا القتل، وأنه ليس الذئب الذي يعقر أى أحد في طريقه وليس مرضاً سرطانيا يقضي على البشرية.[٤٦]

ذكر الكاتب الأمريكي مايكل سيلز **Michael Celes** في الواشنطن بوست **Washington post**، المسلمون متهمون دائما بالعنف، إن أعداءهم يستشهدون بطريقة انتقائية ببعض الأيات من القرآن لدعم ادعاءاتهم، يفخرون بأن يسوع المسيح لم يأمر اتباعه بقتل الكافر .بينما يتجاهلون أنه وفقاً لأيات في الإنجيل ن فإن كثيرين من غير المسيحيين قتلوا اتهاما بالهرطقة، في حين أنهم أساءوا استخدام آيات تبرر قتل اليهود. «بالمثل فإن هناك آيات في الديانة الهندوسية استشهد بها غاندي **Ghandi** في دعوته إلى التسامح أساء المتطرفون الهندوس استخدامها لتبرير قتل المسلمين «[٤٧]

(٤٥) بباوي، نبيل لوقا: الإسلام لم ينتشر بحد السيف بل بالتسامح (اللواء الإسلامي، ١٢/ ١٠/ ٢٠٠٢)ص٨
(٤٦) بيومي، عبد المعطي: ملاحظات على مبادرة نبذ العنف (المصور، ٢٧/ ٢٠٠٢) ص ٤٩
(٤٧) عبد الواحد، حسين: المتطرفون المسيحيون و اليهود (اللواء الإسلامي، ١٥/ ٨/ ٢٠٠٢) ص١٣

الفصل السادس

نظام الحكم في الاسلام

الإنسان مدني بطبعه، ولتوفير متطلباته فهو يحتاج للغير لتدبير معاشه، هذا يعني أنه يتوجب عليه أن يعيش في مجتمع للتعاون مع الغير في توفير احتياجاتهم، وكل مجتمع يحتاج إلي من يتولي أمره، مثل هذا الرجل، يسمي في الإسلام خليفة أو أمير، أو أمير المؤمنين.

هذا الرجل يجب أن يكون علي إلمام معقول بكثير من المعارف والكفاءة والانضباط، وليس مطلوباً أن يكون فقيها بل يكفي أن يكون علي دراية مناسبة بالمعارف والعلوم الإسلامية. ومن اللازم أن يكون له من يعاونه من الخبراء الذين يتولون إرشاده في كل التخصصات سواء في الدين أو في مناحي الحياة. يمكن للخليفة القائم أن يرشح من يخلفه ولكن موافقة الأمة ممثلة في أهل الحل والعقد ضرورية، ومع ذلك فإن الأمة ليست ملزمة بإقرار ترشيحه ولها الحق في أن تعين من تراه[١].

وضع الإسلام مبادئ عامة لنظام الحكم وترك التفاصيل للأمة الإسلامية لكي تضع نظاما يتواءم مع ظروفها المتنوعة وتطبقه بمرونة.

نظام الحكم الإسلامي نظام فريد ومتميز:

١. فرئيس الدولة ليس له حق إلهي، بل يستمد قوته وسلطته من الأمة، فهو ليس إلا واحدا منهم ولكن أعباءه ومسئولياته هي الأثقل فالأمة هي التي تختاره وتراقب أداءه ولها مطلق الحق في أن تجبره علي الاعتزال إذا كان ذلك لصالح الأمة.

٢. ليس نظاما ملكيا مبنياً علي حق الميراث، فالأمير ليست له حقوق مطلقة أبعد مما لأي فرد في الأمة.

٣. ليس نظاما دكتاتوريا ولا مستبدا، ذلك لأنه مبني علي العدالة في مباشرة الحقوق والواجبات وأن يعدل حتي مع أعدائه، وللأمة أن تصحح اختياراته.

٤. هو أقرب للنظام الديمقراطي ولكنه يختلف في مصدر السلطة، في الديمقراطية تضع الأغلبية القوانين، في حين أنه في الإسلام يستمد النظام قوانينه من الشريعة كما بينها القرآن والسنة، هذا لا يعني أن الإسلام لايأبه لرأي الأغلبية، علي العكس فإن رأيهم موضع اعتبار كبير طالما أنه لا يتناقض مع الشريعة.[٢]

(١) شحاتة، عبد الله: علوم الدين الإسلامي ص ص ٣٢٣ - ٣٢٨.
(٢) المصدر نفسه: ص ص ٣٥٠ - ٣٥٣.

أسس الحكم في الإسلام:

١. الشورى: فقد استشار الرسول ﷺ صحابته في كل الأمور الهامة، كما أن الخلفاء من بعده استشاروا أهل الرأي في الأمة. فقد استشارهم الخليفة أبو بكر في ترشيح عمر في أن يخلفه أميرا للمؤمنين. واستشارهم الخليفة عمر فيما يتعلق بالعراق في شأن إبقاء أراضيه في أيدي أهله، كان بعض الصحابة يخالفونه الرأي، ولكنه استطاع أن يقنعهم بأنه بذلك سوف يتوفر له المال للانفاق علي وجود حاميات قوية في الأرضي المفتوحة فأقروه علي رأيه. يري بعض الفقهاء أن هذا دليل كاف علي أن القوانين الواردة في الشريعة يمكن تحويرها لتلائم الاحتياجات المتغيرة للأمة.

٢. المساواة والعدالة: أقر الإسلام بالمساواة بين الجميع دون تمييز علي أساس من اللون أو العقيدة، فهم متساوون أمام القانون «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلنكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبيرٌ» «سورة الحجرات أية ١٣» أقر الإسلام بالمساواة بين الجميع في الحقوق العامة، مثل الحق في الحياة وأن يجد عملا شريفا وغير ذلك من الحقوق بصرف النظر عن الشخص، أميرا كان أو من العامة. أقر الإسلام بالعدل ونهي عن الظلم، وأنذر الظالمين بأنهم سينالون العذاب الأليم، لقد كان عدل الرسول وخلفاؤه مضرب الأمثال، وكان عدلهم لا تؤثر فيه عوامل القربى أو نبل المحتد، أو العواطف من حب أو كراهية. إنه الحكم الذي يتمتع فيه غير المسلم في الدولة الإسلامية بمثل حقوق المسلمين وعليه نفس الواجبات. (٣)

٣. وظائف الدولة الإسلامية:

* العدل: من أهم وظائف الدولة الإسلامية، لهذا أعطاه العلماء المسلمون عناية كبري، حدد هؤلاء العلماء وبالتفصيل متطلبات وظيفة القاضي التي كانت موضع إجلال، لدرجة أن أبا حنيفة الفقية العظيم الذي وضع مبادي الشريعة والذي يدين بمذهبة الجزء الأكبر من العالم الإسلامي، رفض منصب القاضي رغم ما مورس عليه من ضغوط والجلد الذي تعرض له في السجن. كان ينظر لهذا المنصب علي أنه واجب ديني لتطبيق قواعد الشريعة.

* الجهاد: ويقصد به مسئولية الدفاع عن الدولة ضد الهجمات والمناوشات الخارجية إنه وسيلة

(٣) المصدر نفسة: ص ص ٣٣٦- ٣٤٣.

حماية الدولة وكيانها والحفاظ علي حريتها وكرامتها ومواجهة الفتنة في الداخل وإزالة أية عوائق في طريق تقدمها وتحديثها (تفاصيل شروط أداء الجهاد في كتب الفقه).

* التعليم والتثقيف: الدولة مسئولة عن تثقيف المجتمع لافي العلوم الدينية فقط بل في العلوم الآخري، تطبيقيه كانت أو بحته واتخاذ الإجراءات لتحقيق أقصي استفادة لمصلحة الدولة والناس. والدولة مطلوب منها أيضا أن تتخذ الخطوات اللازمة لتطوير التبادل الثقافي والعلمي مع الدول الآخري في الأمور التي لا تتعارض مع مفاهيم الإسلام.

* تنمية الموارد: علي الدولة أن تبذل كافة الجهود الممكنة لتنمية موارد الثروة وتطوير أساليب العيش الكريم لكل مواطنيها وتوفير المساكن الصحية.

* الضمان الاجتماعي: علي الدولة أن توفر لكل مواطن احتياجاته لأن يحيا حياة كريمة، للمسلمين وللمواطنين من أهل الكتاب علي السواء- الزكاة واجب الفرد في حين أن توفير الاحتياجات وأجب الدولة. فالأثرياء مطلوب منهم أن يساهموا ماليا وبأي وسيلة أخري لتحقيق هذه الإهداف العليا للمواطنين، مسلمين وغير مسلمين، فهي مسئولة عن رفع مستوي معيشتهم بما يناسب كرامتهم الإنسانية. لقد سبق الإسلام كل أنماط العقائد الاشتراكية.

٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

هذا الواجب ورد في القرآن والسنة، وهناك حديث يثير الكثير من الجدل حول تنفيذ محتواه، يقول الحديث:

«من رأي منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطيع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وهذا أضعف الإيمان»

وقال صلي الله عليه وسلم أيضا ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون علي أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله فيه بعقاب»

إن تنفيذ هذا الواجب أمر مفيد للجميع هذا يتطلب ضمان حرية التعبير بكل أشكاله لكل فرد حتي يستطيعوا القيام بهذا الواجب[٤].

(٤) ليله، محمد كامل: النظم السياسية والدولة والحكومة، ٢٩٤- ٢٩٨.

الإسلام والديمقراطية:

نظام الحكم في الإسلام مبني علي مصادر خاصة تبدأ من القواعد التي تحكم أساليب اختيار الخليفة عن طريق البيعه. وسلطاته مقيدة بقواعد الشريعة والسنة التي تفرض عليه مبدأ الشورى.

إن النظام الإسلامي مُحصَّن بالمبادي الأخلاقية للإبقاء علي الكيان الديمقراطي. يتضح هذا تماما من أقوال الخلفاء الراشدين وأفعالهم، مثل:

أطيعوني ما أطعت الله، والإ فلا طاعة لي عليكم (الخليفة أبو بكر).

إذا رأيتم أعوجاجا فيّ فقوموه بسيوفكم (الخليفة عمر بن الخطاب).

وللأسف فإن هذه المبادي لم تراع طويلا، ولم تكن هناك فرصة كافية لوضعها في شكل قواعد محددة. من جهة أخري فقد تبين لنا جدوى هذا الأمر، فالتعميم كان نعمة كبري لأنه أتاح للفقهاء في كل مكان وفي كل زمان في المستقبل أن يستنبطوا الأحكام التي تلائم الأحوال المتغيرة، وهي في الوقت نفسه مستنبطة من مبادئ متفق عليها في القرآن والسنه.

لم تكن الأجيال التالية حريصة علي تطبيق هذه المبادئ أو وضع خطوات عملية تضمن التنفيذ الصارم والأمين. لقد تحول نظام الخلافة فيما بعد إلي حكم شخصي مستبد. أهمل الفقهاء الجانب السياسي في الإسلام بينما بذلوا أقصي عنايتهم للجانب الديني في الفقه. إن المغزى الحقيقي للإسلام المبني علي الجمع بين الدين والسياسة هو أمر هام بلا تفرقة بينهما.

حاول بعض الكتاب المسلمين المستغربين أن يهدموا هذه الحقيقة بقولهم إن الإسلام دين وكفي ولا يهتم إلا بالجانب الروحي في العلاقة بين الفرد وربه. هذا ما كتبه علي عبد الرازق في كتابه. «الإسلام وأصول الحكم».

يركز الكتاب العلمانيون بقوة علي كتابه في تأكيد دعاوي مشابهة، رغم ما يقال أن علي عبد الرازق رجع عن أفكاره السابقة وألغاها. حدث الشئ نفسه مع خالد محمد خالد الذي تبني هذه الآراء نفسها في كتابه، «من هنا نبدأ». أعرب خالد فيما بعد عن ندمه وأسفه لما قاله، وأكد في كتاباته اللاحقة في صحيفة الاخبار أن الإسلام نظام ممتاز. ليس من المستغرب أن المستشرقين الذين تعمقوا في دراسة الإسلام توصلوا إلي أن الإسلام ليس دينا فقط بل طريقة حياة ونظام للحكم.

الأمة في الإسلام لا تعني وحدة المكان واللغة والدم ولكنها مبنية علي وحدة العقيدة وهذا يعني أن أي فرد يعتنق الإسلام هو فرد في أمة الإسلام، بصرف النظر عن لونه وبلده وعنصره. هذا يعني أن الإسلام دين إنساني ذي منظور عالمي، وهو في الوقت نفسه يعترف بمجالات دوائر إقليمية أقل لا تتناقض مع النظرة العالمية للإسلام.

فالديمقراطية في الإسلام لا تهتم فقط بتحقيق أهداف دنيوية بل بقيم عليا نبيلة. في الديمقراطيات الحديثة القوانين قد تتناقض مع القيم الإنسانية فالحروب تشن لتأكيد سيادة وسيطرة دولة ما علي دولة أو دول أخري واستعمار بلاد أخري واستنزاف ثرواتها واحتكار التجارة والأسواق الخاصة بدول أخري واستنزاف دماء الدول الأضعف (الغزو الأمريكي/ البريطاني للعراق في مارس / أبريل ٢٠٠٣).

في الإسلام هناك سيادة مزدوجة، سيادة الشريعة وسيادة الآمة، لكن الغلبة دائما لسيادة الشريعة[٥].

أمير المؤمنين:

في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب سأله أصحابه قبل وفاته عندما طعنه أحد المجوس، عمن يخلفه في مسئوليته، كان مترددا وكره أن يقول لهم رأيا حاسما، وقال «إن الرسول ﷺ وهو أفضل مني لم يوصي بأحد، كما أن أبا بكر وهو أفضل مني رشح عددا اختارهم ليتفقوا علي واحد منهم"
[٦]

من المتفق عليه بين فقهاء المسلمين أن اختيار أمير أمر واجب بناء علي الحديث «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمهم أحدهم»، فالأمير بالتعاون مع معاونيه ومساعديه مسئول عن رخاء دولته في كل الأوقات في الحرب والسلم، في السياسة والاقتصاد والشئون الاجتماعية[٧].

أمر الرسول المؤمنين بعدم السعي إلي الإمارة، فهي مسئولية كبري، قال الرسول ﷺ لآحد صحابته،" لا تسعي إلي الإمارة فإنك إن فعلت ستكون مسئولا عن أعبائها أما إذا أسندت إليك فإن الله سوف يعينك". هذا التحريم يعطي الفرصة لآخرين ربما يكونون أكثر استعدادا لتولي المسئولية. لكن من المباح السعي إلي الإمارة لمنع آخرين غير جديرين بها، كما إن الشخصيات الضعيفة ممنوعة من الترشيح لها[٨]

(٥) المصدر نفسة : ٤٦٠- ٤٦٧
(٦) أبو مسلم : الجامع الصحيح، الجزء السادس ص٢.
(٧) موسي، محمد يوسف: إبن تيمية ص ٢٩٣.
(٨) أبو مسلم : مصدر سابق، المجلد السادس ص ص ٥- ٦

الأمير العادل:

* هناك أحاديث كثيرة عن الأمير العادل أو الحاكم فيما معناه:

* الحكام العادلون علي منابر من نور حول العرش.

* من ترفق بالناس ترفق الله به ومن شق عليهم شق الله عليه.

* كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الأمير في محكوميه والمرأة في بيت زوجها مسئولة عنه.

* من غش رعاياه لن يدخل الجنه.

* كل حاكم لا يبذل جهده من أجل محكوميه أو لا ينصحهم محروم من الجنة.

* كل من خان يأتي يوم القيامة حاملا ما أخذه بالغش فيسألني أن أنقذه فلن أفعل ذلك، وسأقول له إنني حذرتك من قبل من كل ذلك[٩]. في ممارسته لسلطانة، هو مسئول عن اختيار الأفضل والأكثر مواءمه في كل وظيفة وإذا كان الأمير يعلم أن من بين رعاياه من هو أفضل ممن ولاه فإنه يخون الله ورسوله. وهذا من علامات قرب الساعة» [١٠]

المسلمون كما جاء في القرآن مأمورون بأن يطيعوا الله ورسوله،" يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" (سورة النساء أية ٥٩)

يقول المفسرون أن المسلمين مأمورون بأن يطيعوا الله (كما جاء في القرآن)والرسول (كما جاء في السنه). فكلمة «أطيعوا" ذكرت مرتين مما يعني ان أوامر الرسول تكمل أوامر الله، لكن كلمة أطيعوا لم تذكر في حالة أولي الأمر". فطاعتهم مرتبطة بطاعة الله والرسول لأنه (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصي الله. أطيعوا من ولي عليكم ولو كان حبشيا أسود طالما أنه يحكمكم بالقرآن.أحببتم أو كرهتم. ولكن لا طاعة في معصية، الطاعة لمن يأمر بالمعروف[١١].

وفي حالة ظلم الأمراء، فعلي المسلمين الطاعة، وسيكون هؤلاء الأمراء مسئولين أمام الله عن ظلمهم لشعوبهم والمسلمون مأمورون بأن يلزموا جماعة المسلمين وأن يتجنبوا اللحاق بالجماعات المنشقة. وإذا خرج هؤلاء الأمراء علي أوامر الشريعة فليس مسموحا لنا أن نحاربهم طالما أنهم يقيمون الصلوات[١٢].

---

(٩) المصدر نفسه ص ص ٧- ١٠.
(١٠) موسي، محمد يوسف: ص ص ٢٩٤- ٢٩٥.
(١١) أبو مسلم: ص ص ١٣-١٦.
(١٢) المصدر نفسه ص ص ١٣، ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٩.

كان الشيخ أبن باز المفتي السابق للمملكة العربية السعودية قد أفتي بعدم شرعية الخروج علي الحكام باستثناء حالتين:

إذا تأكد كفرهم بأدلة مادية.

تجنب إزالة الضرر الأصغر بضرر أكبر – هذه قاعدة عامة متفق عليها بين العلماء المسلمين.

كان الخوارج وهم أول فئة منشقة في الإسلام يحملون أفكارا خاطئة، مدّعين حبهم للعدل. كانوا يعتقدون إن مرتكب الكبيرة مخلد في النار.

ولسوء الحظ فإن جماعة أخري هم «المعتزلة" كانوا يجارونهم في أفكارهم. يري أهل السنة والجماعة أن مرتكبي الذنوب سيعاقبون ولكن لن يخلدوا في النار طالما أقروا بذنوبهم.

وحتي الكفار لا يجوز قتلهم حيث أنهم في حماية الدولة المسلمة. مرتكبو الذنوب يجب محاكمتهم وفقا لقواعد الشريعة ولكن لا يقتلون وفي حالة عدم وجود محاكم تقضي بالشريعة، فعلينا أن ننصح الحكام بأن يحتكموا إلي الشريعة(١٣).

المسلمون مأمورون بالتزام الصبر في مواجهه ظلم الحكام وعليهم أن يتوجهوا إلي الله عز وجل أن يرفع عنهم ظلم حكامهم، حفاظا علي النظام والاستقرار في المجتمع المسلم(١٤). ويتبني معظم المفكرين الاسلامين مبدأ السمع والطاعة للحكام طالما أنهم لم يأمروا بمعصية (١٥).

حقوق الملكية:

الإسلام يعطي الملاك كامل حقوقهم في التصرف في أملاكهم، مع نصح المالك بالحرص في اتفاقها بلا شُحّ ولا تبذير وللمجتمع أو الدولة حق التدخل إذا بّدد المالك ثروته، فهؤلاء يسمون «سفهاء» يجب منعهم من التصرف في أموالهم وأن توكل إدارة أملاكهم إلي آخرين رغم ملكيتهم لها لأنها تعتبر ثروة قومية. وترد علي حقوقهم قيود إذا بددوا ثروتهم. هناك نوع أخر من السفهاء وهم ناقصو الاهلية والقدرة العقلية وغير القادرين علي إدارة أملاكهم. مثل هذه الفئات من السفهاء يجب منعهم من إدارة ثروتهم ويسلم ريعها إلي شخص أخر يسمي الوليّ.

---

(١٣) أبن باز وآخرون: مراجعات في الفقة السياسي والفكري ص ص ١٧-٢٠.
(١٤) هاشم، أحمد عمر: انتظروا حتي تلقوني(اللواء الإسلامي) ص ٨.
(١٥) تقرير عن الحالة الدينية في مصر (مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، الأهرام ص ٣٧٧.

الميراث:

القواعد الخاصة بالميراث في الإسلام تهدف إلي:

* أن تشارك المرأة الرجل في الميراث.
* تقسيم ممتلكات المتوفى بين ورثته علي أساس ديمقراطي بدلا من تسليمها كلها إلي أكبر الأبناء كما ينص القانون البريطاني فيما يسمي **Primogeniture**. كان العرب في الجاهلية لا يعطون شيئاً إلي وارث لا يشارك في حرب الأعداء.

وفي القانون اليهودي: لم يكن للمرأة وضع أفضل من وضع المرأة في الجاهلية- فالمرأة في اليهودية لا ترث زوجها المتوفى حيث كانت تعد جزءا من الممتلكات التي تذهب إلي الورثة. فالبنات لا يرثن آباءهن حيث أنه، بالزواج، دفع الأب أو الأخوة أو غيرهم من الأقارب بعد وفاه الوالد، دفعوا بها إلي أسرة الزوج لتصبح من أملاكهم. وقد أعتبر الإسلام ذلك القانون الذي لا يورث من لا يستطيع حمل السلاح، قانونا ظالما.

وفي الإسلام: نظام الميراث في الإسلام بكامله تضمنته الأيات ١١، ١٢، ٧٦ من سورة النساء وهي تقع كلها في عشرة سطور. وهذه شهادة بأن القرآن كلام الله. وهذا ما حمل أحد أساتذة القانون الأمريكي لاعتناق الإسلام بعد مناقشة مع زميله المسلم المصري.

وفي هذه الأيات يمكن تقسيم الورثة إلي مجموعتين: الأولي وتضم الأطفال والآباء والزوج والزوجة، والثانية تضم الإخوة والأخوات، وكلاهما قابل للامتداد.

الدَّين أول ما يرد علي الثروة، ويشمل علي سبيل المثال نفقات الدفن، صداق الزوجة إذا لم يكن قد دفع، ثم تأتي الوصية في المرتبة الثانية.

كتابة الدَّين بإملاء المدين وبحضور شاهدين، وكذا إنظار المعسر إلي ميسرة هما أساسا نظام الدَّين في الإسلام.

وكما جاء في بعض أحاديث الرسول ﷺ فإن ديون المدين المعسر غير القادر علي الوفاء يجب التجاوز عنها أو أن تدفع الدولة نيابة عنه وعلي المقرض أن يترفق بالمدين وألا يرهقه من أمره عسرا وأن يتجاوز عن الدَّين أو بعضه، وعلي المدَين حسن الأداء. دفع الدَّين مقدم علي الصدقة، ولا يأخذ

الورثة أنصبتهم حتي تؤدي الديون كلها، وإذا كانت هناك وصية فيكون أداء الدَّين مقدماً عليها.

رغم أن الرسول أمر بكتابة الديون وأنه فعل ذلك بنفسه في بعض الأحيان فإنه حذر من أن يكون الإنسان مدينا، حتي أنه أمر صحابته بأن لا يصلوا علي ميت كان مدينا، ولكن إذا علم أن المدين ترك ما يسدد ديونه فإنه كان يؤم المصلين في الصلاة علي هذا الميت الذي ترك ما يُسدد به دينه.

الرِّبا: الإسلام يشجع علي مساعدة من هم في ضائقه لذا يُحرِّم الربا الذي يحول دون المودة فهو يشجع علي الخمول، حيث أن المرابي، بدلا من أن يعمل، فإنه بصبح بمثابة طفيلي يتغذي علي غيره. وفي مجال الصراع بين العمل ورأس المال فإن الإسلام ينحاز إلي جانب العمل ويحاول من خلال تحريمه للربا إعادة التوازن ولا يدع رأس المال يحيف علي العمل.

والإسلام لايدين المرابي فقط بل أيضا مستلم الربا لأنه يساعد في عملية الربا كما أن الشاهدين وكاتب العقد في هذا العمل الربوي موضع مساءلة.

يجادل بعض الاقتصاديين بأن تحريم الفائدة له عواقب خطيرة علي سير التجارة والأعمال وعلي تنفيذ بعض المشروعات القومية الهامة، لقد هيأت الحضارة المادية الأوربية الظروف التي تجعل الربا والفائدة يبدوان ضروريين ولا يمكن تجنبهما. علي العكس، فإن الإسلام بني سياساته علي المثل العليا التي تمنع سوء استغلال الأغنياء للمعوزين، بينما المطلوب أن يشارك الأغنياء في بناء اقتصاد الأمة بروح الإحسان إلي إخوانهم. وحيث أن التجارة صارت الآن موضع اهتمام دولي، فهي تعتمد كلية علي النظام المصرفي. ولتجنب المعاملات الربوية، يجب إتباع نظام تعاوني يشارك فيه رأس المال والعمل في الربح والخسارة.(١٦)

الشئون المالية:

الزكاة: الزكاة تعني التصدّق علي الناس، إنها حق الله لصالح الفقير، فهي الركن الثالث الذي يقوم عليه الإسلام. وهي تعني الإنفاق من مال الله الذي آتاه للناس ولا يقتصر علي الثروة التي يملكها الإنسان بل تشمل كل ملكاته وما آتاه الله من قوة، فالإحسان إلي الناس من دعائم الإسلام. كما أن منع الماعون يتنافي مع روح الصلاة وعليه فالكلمة الطيبة للوالدين تسمي «إحسان»، وبصفة عامة فإن الكلمة الطيبة في حد ذاتها صدقة.

(16) Ali, Maulana Muhammad: The Religion of Islam, PP.691- 693,701, 702, 713, 716, 717, 723.

وفي الحديث إماطة الأذى عن الطريق صدقة أو إحسان، وفعل الخير مع الناس صدقة. ومن الأمثلة علي الإحسان، التبسم في وجه الناس، وفعل الخير والبعد عن الشر، والكف عن أذي الناس وإطعام زوجك وأبنائك وخادمك، ومن يزرع زرعا تأكل منه الطير والوحوش صدقة.الإحسان ليس مقصوراً علي فعل الخير مع الناس جميعاً مؤمنين وغير مؤمنين بل أيضا إلي الجمادات.

الزكاة صدقة واجبة، وهي تعني النماء وتعني التطهير من الذنوب وتطهر قلب المزكيّ من عشق الثروة الذي يجر العديد من الذنوب. فالصلاة والزكاة ذكرا مقترنين في القرآن في عدد كبير من الأيات بل أنهما يعتبران من دعائم الإسلام وأن العمل بهما يشار إليه علي أنه دليل كاف علي صدق الإيمان بالإسلام.

الإسلام لم يقتصر عمله علي حل مشكلة الثروة بل أنه كان ينمي المشاعر الراقية وأرسي أخلاقا تقوم عليها أسس حضارة دائمة للبشرية. البولشفية بقوانينها الصارمة قضت علي المشاعر العليا للمودة والحب في مقابل وعود لم تتحقق بملء بطونهم.

كل مالك للثروة في المجتمع الإسلامي مطلوب منه أن يقدم ربع عشر ثروته كرصيد في (بيت مال) تديره الدولة، أو المجتمع الإسلامي عندما لا تكون هناك دولة، لتحسين أوضاع الفقراء. لذلك فإن الزكاة لا تعمل فقط علي التسوية بين الناس بل كوسيلة لتنمية المشاعر العليا نحو أخيه الإنسان، في حين أن النظام الصارم لملكية الدولة وعدالة التوزيع يساعدان في القضاء علي المشاعر العليا. من هنا تحدث دورة للثروة.

الذهب والفضة هما أساس النظام النقدي العالمي، لذلك يجب دفع الزكاة عنهما نقدا. أما الأحجار الكريمة فقد استبعدت من الزكاة لأنه لا يمكن تقنينها، كما أن عروض التجارة تخضع للزكاة. وهناك الزكاة علي البهائم وزكاة الزروع. تفاصيل ذلك وقدر النصاب في كل منها تضمنته كتب الفقه(١٧).

مصارف الزكاة:

ورد ذكر هذه المصارف في ثمانية أصناف في سورة التوبة آية ٦٠ «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل»

---

(17) Ali, M.M.: Ibid, PP. 475, 479, 460, 462-463, 467. 468-469.

في داخل الأصناف من المستحسن تفضيل أهل التقوى والزوج والأقارب عند الاحتياج ولمن تفرغوا لدراسة العلوم الشرعية إذا كانوا غير قادرين علي الكسب[١٨] وبجانب الزكاة هناك شكل آخر من أشكال الإحسان أو الصدقة هو:

الوقف: ومعناه رصد الأموال والممتلكات للإنفاق من ريعها علي هذه الأعمال، والوقف يعني رصدها للنفس والأسرة والمجتمع الإسلامي بصفة عامة. ويمكن أن يشمل أيضا المحتاجين من أهل الكتاب أي النصاري واليهود. وكمثال فقد رصدت السيدة صفية بنت حُييّ، أحدي زوجات الرسول ﷺ، وقفا لأخيها الذي كان يهوديا.

وعلي مدي التاريخ لعب الوقف دورا هاما في مواجهه احتياجات المجتمع الإسلامي وتنميته. وفي مصر أوقف بعض المحسنين آلاف الأفدنة علي المساجد والمستشفيات والمدارس والجامعة وبيوت الأيتام. لاحظ أحد الباحثين في المجال الاقتصادي أن الزكاة وحدها يمكن أن تزيد علي بليونين من الجنيهات المصرية، فإذا أضفنا إليها قيمة الممتلكات العينية التي خصصت للوقف فإن مصر لن تحتاج مساعدة من أي بلد سواء كانت المعونة الأمريكية أو غيرها. ولسوء الحظ فإن الوقف في مصر الغي دون سبب مفيد اللهم إلا أن يرضي اتجاهات بعض المخططين الاقتصاديين الذين كانوا منحازين لأفكار مخالفة.

ظهرت في مصر طبقة جديدة لجمع الأموال دون سند قانوني، وهي تقدر ببلاين الدولارات ويسيرون علي خطط جهنمية للتهرب من الضرائب التي هي حق الدولة والمجتمع. إن مظاهر إنفاقهم تثير السخط إذ أنها «جاءت من مهابش وذهبت في مهاوش"

الشئون القضائية:

لبيان عدالة الإسلام ونزاهته في إدارة أمور القضاء علي سواء بين الجميع، أشير إلي مقابلة صحفية مع مسيحي بارز هو المستشار الدكتور إدوار غالي الذهبي الذي تحدث عن معاملة الإسلام لغير المسلمين.

أكد الدكتور الذهبي أن هذه المعاملة مبنية علي مبادئ الفقه الإسلامي، وقال:

* إن الإسلام يؤمن برسالات الله السابقة وما سبق من الوحي، ليس من قبيل المجاملة بل هي أمور

(١٨) سابق، السيد: مصدر سابق، الجزء الأول ص ص ٤٠٤ - ٤٠٧.

مؤكدة في مبادئ الشريعة الإسلامية. ورد هذا في سبعة عشر آية في القرآن. وهذا يرجع في نظر الإسلام إلي أن كل الأنبياء دعوا إلي دين واحد خلال الرسل المتوالين، وأن ما تلقاه النبي محمد هو في الحقيقة ما سبق للرسل من قبله أن تلقوه.

* العدالة في الإسلام قيمة مطلقة حتي مع الأعداء فالإسلام يكرم الإنسان لكونه إنسانا بصرف النظر عن جنسيته أو لونه أو عقيدته. وأساس معاملة الغير هو القاعدة الذهبية التي أشار إليها الكاساني بمقتضي الحديث"لهم ما لنا وعليهم ما علينا". طبقت هذه القاعدة في الواقع وليس فقط كشعار.

ذكر الدكتور محمد أحمد الحوفي، كمثال، بعض الأحداث التي شارك فيها النبي، مثل حضور أفراح أهل الكتاب ومواساتهم وتهنئتهم وغير ذلك من المعاملات التجارية مثل الإقتراض منهم، رغم أنه كان بمقدروه الاقتراض من صحابته وكان بعضهم من الأثرياء. وهذا لتعليم الأمة عمليا أن يطبقوا السلام والوفاق اللذين دعا إليهما.

باستثناء بعض عصور الضعف والانحطاط، طبق الحكام المسلمون علي مدي أربعة عشر قرنا من الزمان، مبدأ «لا إكراه في الدين" لم يجبروا أحدا من أهالي البلاد علي اعتناق الإسلام، كان لقاؤهم مع أصحاب الديانات الأخري يتميز بالتسامح، عكس ادعاءات بعض المؤرخين. إنه في الحقيقة درس عملي لكل الأجيال في حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر الدينية والمساواة بالمسلمين في كل مناحي الحياة.

* التعايش مع أتباع كل الديانات في سلام ومودة لأن القهر لا ينتج إلا منافقين. كانت أول وثيقة تصدر في الإسلام تلك المسماة «بالصحيفة" التي اصدرها النبي محمد والتي تضمنت من بين ما تضمنت نصّا يعتبر المسلمين واليهود أمة واحدة، وهكذا كان اليهود في الدولة الإسلامية يعاملون كمواطنين لا غرباء ولا مواطنين من الدرجة الثانية، وهذا كان ينطبق أيضا علي آخرين من غير المسلمين في المدينة، هذه الصحيفة سبقت بقرون عديدة كل وثائق ودساتير العالم في إرساء مبدأ «حرية العقيدة" تحت مظلة «الوحدة الوطنية".

* في مصر يرفض الدستور كل صور التمييز بين المواطنين بسبب العنصر أو الأصل أو اللغة أو الدين، كما يضمن حرية ممارسة الشعائر الدينية للجميع[١٩]

(١٩) الذهبي، أدوار دغالي: معاملة الإسلام لغير المسلمين تحكمها القواعد الفقهية (الاهرام، ٢٥/ ١٢/ ١٩٩٨) ص ١٠.

ذكر ابن بطوطة أنه في رحلته إلي مالي شاهد الاستقرار والأمن والعدل وذلك في معرض حديثة عن أهمية القاضي [٢٠].

وتأكيدا لأهمية العدل ونزاهة الحكم، كتب عثمان دان فوديو أحد كبار قاده الجهاد في نيجيريا في كتابه «بيان وجوب الهجرة» «الاهتمام برعاية المواطنين أكثر فعالية من عدد كبير من الجنود، لقد قيل إن تاج الملك هو نزاهته وحصنه إنصافه ورأسماله رعاياه. لا حكم بلا علم (فقه) بالقانون (الشريعة) ولا رئاسة مع الانتقام. بعد أن استولي البريطانيون علي نيجيريا غيروا القسم الذي كان أمير شمال نيجيريا يقسم عليه ليجعلوه موافقا لدينهم شكلا ولكن لتأكيد الولاء للإدارة البريطانية مضموناً [٢١].

وعلي عكس ما فعله الحكم الاستعماري الأوربي فإن الإسلام أقام العدل مع الجميع، بما في ذلك اليهود والنصارى. وكمثال نذكر الواقعة التالية: قصة طعيمة بن أبيرق الذي كان مسلما شكلا ولكنه كان منافقا، وكان يرتكب كل المعاصي والذنوب. حدث أن شكّوا في أنه سرق درعا، وعندما اشتد وطيس المحاكمة وضع الدرع المسروق في بيت أحد اليهود حيث وجدوه فيه. أنكر اليهودى هذا الادعاء وإتهم طعيمه بالسرقة. كانت مشاعر المسلمين مع طعيمة بناء علي إقراره الظاهر بالإسلام. عرضت القضية علي الرسول ﷺ فبرأ اليهودى تطبيقا للعدل وكما ألهمه الله. حاولوا إقناع الرسول باستخدام نفوذه لصالح طعيمة. ولكن عندما علم طعيمة بأن عقابه أصبح قريبا هرب وارتد عن الإسلام ونزل الوحي: إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلاَ تَكُن للخائنين خَصِيماً» (سورة النساء آية ١٠٥)

القاضي:

طبقا لتعاليم الإسلام، القاضي مكلف بأن يساوي بين المتقاضين في:

* الحق في الإحتكام إلي القاضي.
* الظهور أمامهم.
* التبسم في وجوههم.
* الإصغاء إليهم.
* إصدار الحكم.

---

(٢٠) (٢) قداح نعيم: حضارة الإسلام وحضارة أوربا في غرب إفريقيا ص ص ١٧١ – ١٧٢.

(21) Ajaye, J.E& Crowder, Michael:: History of West Africa, Volume Two, P. 84.

من الطبيعي أن القاضي مطلوب منه أن يسوي بينهم في الأعمال لا في المشاعر الداخلية، فهو كإنسان قد يكون مقتنعا بيقين بصدق أحد الخصمين «ولكن» ليس مطلوبا منه أن يشير علي أي منهما بأفضل الطرق لشرح قضيته.

القاضي المسلم مطلوب منه أن يستجيب لأي التماس من خصوم من أهل الكتاب بأن يحكم بينهم. في هذه الحالة فإنه يحكم بما أمر الله في بالقرآن مثل ما يفعل مع الخصوم المسلمين (٢٢).

أما عن وضع غير المسلمين في حال تطبيق الشريعة الإسلامية، فهم ملتزمون بها كقانون فقط ولكن ليس في الأمور المتعلقة بعقيدتهم، مثل الزواج والطلاق، التي تجري عقودها وفقا لقوانينهم، وفي الميراث والوصية والوقف والوكالة المالية بتطبيق القوانين الإسلامية، وليس هناك اعتراض علي ذلك.

كانت الشريعة تطبق علي الجميع علي مدي ثلاثة عشر قرنا دون تمييز بين المسلمين وغيرهم. عاشوا في أمن وأمان علي أرواحهم وممتلكاتهم وكرامتهم وفي حالة قتل المسلم أحدا من غير المسلمين فإنه يقتل، ويرجم في حالة الزنا بامرأة غير مسلمة، كما أن هذه العقوبات تطبق علي غير المسلم في حالة ارتكابه هذه الجرائم نفسها ضد احد من المسلمين (العقوبات والفتاوى الإسلامية، المجلس الأعلي للشئون الإسلامية، مجلد ١٠ ص ص ٣٦٧٨- ٣٦٨٨).

الفقه الإسلامي:

الفقه الإسلامي فصل هام في رسالة الإسلام ويمثل الجانب العملي من الإسلام. جاء الجزء الديني من الشريعة من خلال الوحي إلي الرسول وهو القرآن أو السنة أو الحديث. السنه تبين أفعال الرسول بينما يبين الحديث أقواله (٢٣).

هناك ثلاثة أنواع من السنة، قولية في شأن مسألة دينية، فعل، أو إقرار وهو الموافقة الصامته علي فعل أو ممارسة (٢٤).

القواعد العامة التي وضعها الإسلام ليلتزم بها المسلم هي:

١ .تحريم مناقشة أمور غير قائمة حتي تقع بالفعل.

(٢٢) سابق، السيد: مصدر سابق، مجلد ص ٤٠٣.
(٢٣) سابق، مجلد ١، ص ١٠.

(24) Ali, mamlaua, op. cits. 743.

٢. تجنب التفتيش (في نوايا الناس).

٣. تجنب الخلافات والتشرذم.

٤. تفويض الأمور الخلافية إلي القرآن والسنة للاحتكام إليهما.

في ضوء هذه المبادئ كانت الخلافات مقصورة علي عدد قليل من المسائل وهي في الواقع ترجع إلي الاختلافات في فهم النصوص، وفي أحيان أخري ترجع إلي أن القليل من العلماء يدركون المظاهر الحقيقية لمثل هذه المسائل.

لقد أقتفي الأئمة الأربعة طريق الرسول وصحابته، بعضهم كان قريبا من السنة لقربهم من مكة والمدينة في الحجاز، مهبطي الوحي، بينما اشتهر آخرون من الأئمة بالرأي والمنطق. كان هؤلاء هم العلماء الذين يعيشون في العراق لأن عدد المتمرسين في الحديث كان أقل نظرا لبعدهم عن الحجاز.

هؤلاء الأئمة اعتبروا أن مهمتهم هي تنوير المؤمنين ومساعدتهم علي فهم التعاليم الإلَهية، وتحذيرهم في الوقت نفسه من تقليدهم «دون معرفة دليلنا".

ولسوء الحظ فإن المتأخرين من أتباع هؤلاء الأئمة كانوا أقل نشاطا وأكثر تعصبا لأئمتهم وكانوا راغبين حتي عن التزاوج فيما بينهم، مثل أتباع الإمام الشافعي وأتباع الإمام أبي حنيفة. هذا الفهم الضيق للإسلام تشجع بفعل إقامة مدارس متخصصة في تدريس الإسلام وفقا لتفسيرات إمام معين. انتهي هذا الأمر بإغلاق باب الاجتهاد بعد الأئمة الكبار الأربعة فكان خطيئة كبري [٢٥].

في بعض المجتمعات التي تتشكل من أغلبية مسلمة، حاول العلماء مواءمة بعض الممارسات لتتناسب مع الحياة الحديثة المتغيرة دائما دون خرق القوانين الإسلامية، ودون أن يعبأوا بمعارضة غيرهم من الشيوخ الذين تشددوا في تطبيق قواعد الإسلام. في مصر، أثار الشيخ محمد عبده في فتواه الكثير من الجدل عندما أجاز للمسلم أن يودع أمواله في مكاتب توفير البريد[٢٦].

هذا ولا تزال فوائد البنوك موضع خلافات بين العلماء المسلمين.

وحيث أن الشريعة تناسب كل مكان وزمان فإن مرونتها ترجع إلي أنها تقوم علي قواعد محددة

(٢٥) Ali M: op- cit ٧٤٧- ٧٤٨.

(26) Hallet, Robin: Africa Since 1975,P. 106.

وكذا قواعد متغيرة. في أمور الدين القواعد ثابتة، أما في الأمور المتعلقة بظروف الحياة والأماكن والعادات والحضارات فإن قواعدها عامة ودون تفاصيل لكي تترك لمثل هذه الظروف في إطار الالتزام بالإيمان بالله والمثل العليا. وضع هذه العوامل في الاعتبار يهدف إلي تسهيل سبل الحياة علي الناس مع الامتثال لأوامر الله في نفس الوقت.

الحدود:

في كتب الحديث والفقه تسمي القوانين العقابية (الجنائية) «حدود» لما هو حلال وما هو حرام، وهي نوعان:

الأوامر التي يلتزم بها الناس فيما يتعلق بالمأكل والمشرب والزواج وغير ذلك.

القصاص أو العقوبات التي تطبق علي من يفعل ما هو منهي عنه. في الفقه، كلمة حدود مقصورة علي العقوبات أو الجرائم التي نص عليها القرآن أو الحديث، في حين العقوبات الأخري التي ترك تقديرها للإمام تسمي «تعزيز».

بالمعني العام تجاوز الحدود الإلٓهية لا يخضع للعقوبة ولكنها تطبق عندما يكون هناك افتئات علي حقوق أحد. لكن في حالة الزكاة، هناك اختلاف، حيث أن جمعها هو حق للدولة.

الجرائم التي تخضع للعقوبة في الشريعة هي التي تؤثر علي المجتمع، وهي كما ورد في القرآن: القتل والحرابه والسرقة والزنا والاتهام به [٢٧]

الدية تحل محل حكم الإعدام في حالة القتل غير المتعمد، يقول القرآن:

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَئاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللهِ وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً"(سورة النساء أية ٩٢)

غير المسلم الذي يعيش في دولة إسلامية أو في دولة موالية ولكن غير مسلمة، يعاقب بنفس عقوبة قتل المسلم.

---

(27) Ali, Maulana Muhammad: op. cit., p. 743.

أثر عن النبي قوله فيما معناه «من يقتل معاهداً (أي غير المسلم الذي يعيش في حماية الدولة الإسلامية) لن يشم ريح الجنة". وهكذا من وجهة نظر دينية بحته ليس هناك أدني تمييز بين من يقتل مسلما ومن يقتل غير مسلم وعليه فليس هناك أدني تفكير في إجراء تفرقة بينهما في الجزاء الدنيوي. وعندما يتحدث القرآن عن قاتل فإنه يتحدث عنه كقاتل نفس وليس قاتل مسلم.

إن حقوق غير المسلم في الدولة الإسلامية مساوية تماما لحقوق المسلم لدرجة أن المسلم مطلوب منه أن يقاتل دفاعا عنه، «أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا" [٢٨]

في زمننا الحالي، هناك جرائم يمكن اعتبارها شبه عمديه كتلك الجرائم التي يرتكبها الشباب الفاسد الذين يقودون سياراتهم بسرعات عالية جدا تحت تأثير المخدرات أو الأدوية، وتكون نتيجتها إزهاق أرواح بريئه، يري بعض الفقهاء أن أموال الدية هي حق عائلة القتيل، هناك حق أخر هام وهو حق الحاكم في أن يقرر العقوبة التي يراها ضرورية لحماية المجتمع من الجرائم القاتلة[٢٩].

القتل العمد هو أكبر جريمة ويندد به في آيات قرآنية مختلفة. من المحرم تماما قتل النفس التي خلقها الله إلا بالحق، ومن يفعل ذلك يُقتص منه. لكن الإسلام ألغي العادة العربية القديمة وهي أنه عندما يكون المقتول من ذوي الجاه فيجب قتل آخرين، فضلا عن القاتل. من المعلوم تماما أن القاتل نفسه هو الذي يُقتل. مع ذلك فإن التخفيف وارد عندما يصدر ولي الدم عفوا عن القاتل ويكتفي بالدية.

الحرابة: جريمة أخري تطبق فيها عقوبة الإعدام، وتوصف بأنها حرب لله ورسوله، والعقاب قتل المذنب إما بصلبه إذا كان الجرم دنيئا أو أن المذنب أثار الذعر فيكون الإبقاء علي جسده مصلوبا رادعا، وإذا كان مرتكبو الحرابة قد تجاوزوا وافرطوا يمكن قطع أحدي اليدين مع أحدي الرجلين، بينما في حالة جرائم الحرابة الأقل خطورة تكون العقوبة الحبس.

تتلو ذلك جريمة السرقة وأقصي عقوبة لها قطع اليد، وللقاضي أن يقرر أي العقوبات تناسب جريمة ما. الفقهاء مختلفون إزاء قيمة السرقة التي تستحق قطع اليد، الأغلبية تري أن السرقات الصغيرة معفية من العقوبة. الجمهور علي أن تقطع يد واحدة عند أول سرقة تطبيقاً لمبدأ «إذا كانت يدك أو رجلك توقعك في الجريمة فاقطعها **Matt XXX Vll**. ٣٨ من الواضح أنه في عهد المسيح كان اللصوص يصلبون.(**Math.xx vll**. ٣٨).

---

(28) Ali, M- op cit 747..

(٢٩) عبد التواب، مرفت في مقابله مع المستشار عبد المنعم عبد الحق الإهرام ٢٠/ ٤/ ٢٠٠١. ص ٣٠.

العقوبة يقررها الله عز وجل وليس من اختصاص البشر. ومن اجل الإبقاء علي وحدة المجتمع المدني وحماية الأبرياء من الجريمة، هناك مبادئ معينة، يمكن للأفراد أن يبنوا عليها قانونهم الجنائي. الله عز وجل لا يعاقب فقط ولكنه أيضا يعفو فليس بمقدورنا أن نحدد مجالات العقوبة أو العفو بل أن المشيئة الإلهية هي التي تقضي في ذلك." فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (سورة المائدة: آية ٣٩) (٣٠)

الزنا:

للذين ينتقدون الإسلام في موضوع الرمي بالحجارة، نذكر قصة اليهودي الذي جاء إلي النبي r ومعه رجل وامرأة من قومه ارتكبا جريمة الزنا وبناء علي أوامره تم رميهما بالحجارة بعد أن استفسر منهم الرسول عما أقرته التوراة في جريمة الزنا. في البداية حاول اليهودي إخفاء الحقيقة أي الرمي بالحجارة، لكن عندما ذكر عبد الله بن سلام أسانيده، اعترفوا بها، وعومل المذنبان وفق ما حددته التوراة، أي الرجم حتي الموت.

أما أن التوراة بوضعها الحالي لا تنص علي الرمي بالحجارة فهذا ليس إلاّ دليلا علي أن النصّ تغير، وتبين الأناجيل أن هذا الرمي هو العقوبة حتي عهد المسيح. احضر الكتاب والفريسيون إلي الرسول أمرأة متلبسة بالزنا، وعندما توسطت الحاضرين قالوا للمسيح، «يا سيدنا" هذه المرأة متلبسة بالزنا لقد أمرنا موسي وفقا للقانون أن مثل هذه المرأة يجب رجمها، فماذا تقول أنت؟ (Jn.٣:٨-٥)(٣١)

---

(30) Ali, M .: op. cit., pp. 749-750
(31) Ali M .: op. cit., pp. 754-755.

الفصل السابع

المرأة في الإسلام

أعطى الإسلام اهتماما خاصا بالمرأة باعتبارها نواة الأسرة التي هي المكون الأساسي للأمة. صورة المرأة في الإسلام هدف لسلسة واسعة من النقد من جانب النقاد الغربيين خاصة المستشرقين وبعض المسلمين ممن حظهم من المعارف الإسلامية قليل وانبهروا بالجوانب المادية للحضارة الغربية التي هم متضلعون فيها .

في الصفحات التالية سوف نناقش بالتفصيل موقف الإسلام من المرأة، وقبل أن نفعل ذلك سوف نستعرض وضع المرأة في بعض الحضارات الأخرى :

في عهد اليونانيين :

كانت المرأة شيئا لا قيمة له في منزل كانت فيه مجرد امرأة وظيفتها الأساسية الإنجاب .

في عهد الرومان :

لم تكن لها أيه أهلية لمجرد أنها أنثى وهذا ما نصّ عليه القانون الروماني. لا تملك شيئا مما في بيتها وحتى الصداق الذي تقدمه يصبح ملكا للزوج باعتباره سيدها. بعد الزواج تنقطع كل الوشائج بينها وبين عائلتها السابقة بما في ذلك اسمها حيث تبدأ مباشرة في التسمي باسم عائلة زوجها .

في العصر الجاهلي (قبل الإسلام):

لم تكن المولودة الأنثى موضع ترحيب وكانت عادة تدفن حية. وإذا بقيت على قيد الحياة تصبح جزءا من ممتلكات زوجها بعد وفاته .

في العصور الوسطى (في أوروبا) :

كانت تعتبر من فئة متدنيه ورمزا للخطيئة .

في الإسلام :

المرأة مساوية للرجل في الحقوق والواجبات «ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف «(سورة البقرة،أية ٢٢٨) .

الهدف من القانون الاسلامى المتعلق بالحياة الإنسانية تبصير الرجل بواجباته والتزاماته نحو

الغير، وكيف يعيش حياة سعيدة في علاقاته بهم. هذه القوانين تسمى «بالمعاملات». وهى تشمل القوانين الخاصة بالحياة الأسرية وحياة الرجل المدنية والسياسية. والمعاملات تكون إما عقودا واتفاقيات تتطلب موافقة طرفيها، أو أمورا تعتمد على موافقة طرف واحد، أو قوانين ونظم عامة. الإسلام يضع قيودا معينة على تصرفات الفرد لصالح المجتمع كله ومن ثم تحقيق فائدة كل فرد في المجتمع. وفى كل الأمور المقيدة للتصرفات فان غير المحرم هو حلال. من ثم فللإنسان أن يستفيد من كل شئ ما لم يرد عليه قيد بالقانون .(١)

الزواج :

شجع الإسلام الرغبة فى الزواج بسبب آثاره الطيبة على الفرد والأمة والإنسانية ككل، وهى:.

* التنفيس عن الرغبات الجنسية الملحّة، التي إذا تجاهلناها أدت إلى الكثير من الشرور التي ينتج عنها الخلل العاطفي والأمراض النفسية أو السعي إلى إرضاء هذه الرغبات بطرق غير قانونية مع زوجات أو بنات الغير (الزنا) .

* أنه الوسيلة الطيبة لإنجاب أطفال وبالتالي الإبقاء على العنصر البشرى واستمراره .

* تنمية غريزة الأمومة التي تغذى مشاعر العطف والرقة .

* تنمية الإحساس بالمسئولية من خلال بذل الجهد لتوفير المزيد من الموارد لمواجهة المطالب المتزايدة للأسرة وبالتالي زيادة دخل المجتمع ككل. ومن جهة أخرى فان الزوجة تفعل ما فى وسعها لتربية أطفالها وتوفير جو مريح لزوجها.

* تقوية أواصر الصداقة بين العائلات فى مجتمع متماسك .

* إقامة مجتمع صحي خال من الأمراض العقلية والجسدية. (٢)

الزواج فى الإسلام مقدس، على كل مسلم أن يدخل فيه إلا إذا كانت هناك أسباب خاصة تحول دون ذلك. فى القران الكريم علاقات المصاهرة لها ما لعلاقات النسب من أهمية:.

- «وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا »(سورة الفرقان: أية ٥٤)

(1) () Ali, Muhammad: The Religion of Islam, pp.600-601

(٢) سابق، السيد: فقه السنة، الجزء الثاني من ص ١٣-١٥

كما أن الحديث يؤكد على أهمية الحياة فى رباط الزوجية، يقال أن الرسول قال لمن تحدثوا عن الصيام بالنهار وقيام الليل يدعون ربهم، ويرغبون عن الزواج :

«انني أصوم وأفطر، وأصلى وأنام، وأتزوج - فمن رغب عن سنتي فليس منى".

«يامعشر الشباب، من استطاع الباءة منكم فليتزوج فهذا أعفف لكم، ومن لم يستطع فعليه بالصيام فهو له وجاء «.

وقد حرم الرسول العزوبية فقال «من تزوج فقد أتم نصف دينه «علاقات الزواج تقوى الألفة.

أما فى المسيحية « من تزوج فعل خيراً ومن لم يتزوج فعل أفضل». يتحدث القرآن عن الزوجين على أن احدهما خلق من الآخر «هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها «وهكذا فكما جاء فى القرآن فان الزواج هو اتحاد نفسين هما فى الحقيقة نفس واحدة .[٣]

موافقة الطرفين على الارتباط - زوجا وزوجة - لا تقيم زواجا ما لم تكن موافقة الطرفين علانية وبحضور شهود. قال رسول الله صلى عليه وسلم : «أعلنوا هذا الزواج واعقدوه فى المساجد واضربوا عليه الدفوف».

«الفرق بين الحلال والحرام (أي الزواج والزنا) الإشهار وضرب الدفوف».

وحيث أن الزواج عقد على أقصى قدر من الأهمية فهو يؤثر على حياة فردين لايؤثر عليهما مثله عقد آخر، والقرآن يشترط وجود شهود كما يحدث فى العقود الخاصة بالمعاملات. قبل الإسلام، كان «زواج المتعة «معترفا به وهو الزواج الموقوت بفترة محددة، فألغاه الإسلام كما ألغى ثلاث صور أخرى من الزواج كان معترفا بها عند العرب فى الجاهلية .ألغى الإسلام فكرة الزواج المحدد بوقت لأنه يفتح الطرق للتحلل فى العلاقات الجنسية ولا يتضمن أيه مسئولية على الزوج فيما يتعلق بالعناية بالأطفال وتربيتهم. وبمجرد إدخال فكرة التوقيت فى الزواج، فانه يفقد قدسيته ويخلع عنه كل مسئولية .

إن ارتباط فردين (زوجا وزوجة) مع قبول التبعات المترتبة على الزواج يسمى «إحصانا" وبدون قبول يسمى «سفاحا"، فالأول أحله القرآن بينما حرم الثاني.[٤]

(3) Ali, M.M.: OP. CIT ., pp. 602-604
(4) Ibid .: pp. 606-608

أثيرت مؤخرا فكرة مستحدثه مفادها الحصول على أطفال من خلال ما يسمى «بالأم البديلة surrogate nother ». لقد تبددت الآن آمال أولئك الذين يريدون الإنجاب من خلال هذه الطريقة أو من خلال استبقاء الحيوانات المنوية للزوج المتوفى. فقد صدر عن أعلى المراجع الدينية فتوى مفادها أن الدين يمنع فكرة الأم البديلة أو طفل الأنابيب من خلال تخصيب الأم بحيوان منوي مأخوذ من زوجها المتوفى، أو زرع حيوان منوي فى رحمها لأن الموت ينهي رابطة الزوجية، هذا ما أفتى به المجلس الأعلى للبحوث الإسلامية برئاسة شيخ الأزهر .

وقال دكتور فكرى عكاز أستاذ الفقه المقارن «على عكس ما تقضى به القاعدة بأن الأصل فى الأشياء الإباحة ما لم يرد نص بالتحريم، فانه فى الأمور المتعلقة بالأرحام فكل شئ حرام ولا يقربه أحد إلا بعقد زواج شرعي كما أمر الله للحصول على أطفال : «وآتوا النساء صدقاتهن نحلة»

(سورة النساء : أية ٤) .

وقال القرآن «والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فأنهم غير ملومين «(سورة المعارج : الأيتان ٢٩، ٣٠).

وحيث أن زرع حيوان منوي من رحم زوجة إلى زوجة أخرى لنفس الزوج أمر محرم شرعا، فمن باب أولى زرع حيوان فى رحم امرأة أجنبية .

من المهم أن نحدد المعنى الشرعي لكلمة «أم «فالأم الحقيقية هي تلك التي حملت وولدت. قد يقول البعض، هناك أم أخرى بالإضافة للأم الحقيقية وهى الأم المرضع Wet Nurse (suckling mother)، فأن القرآن يعترف فقط بالأم الحقيقية، وليس هناك ذكر للأم المضيفة Host Mother. إنه قياس فاسد أن يقال أن الأم المضيفة هي المكافئة للأم المرضعة.(٥)

الزواج الشرعي والزواج المدني :

قدم لبنان، الذي يضم أربع طوائف إسلامية وأربع عشرة كنيسة، قدم للمناقشة مشروع قرار بشأن الزواج أثار سلسلة واسعة من ردود الأفعال فى أوساط اللبنانين .

(٥) عكاز، فكرى: القرار الأخير، هل هو للشريعة أم للعلم، الأهرام ١١/ ٥/ ٢٠٠١، ص ٣٢.

نشر الكاتب اللبناني محمد السماك مقالا عن عواقب تطبيق قوانين الزواج المدني. اقتبس الكاتب بعض النقاط من دراسة أعدتها صحيفة الايكونوست قال فيها :

* انحسر الزواج فى بريطانيا بنسبة ٥٠٪ فى حين تضاعفت حالات الطلاق ثلاثة أضعاف وتضاعف عدد الأطفال غير الشرعيين أربعة أضعاف.

* خمس العائلات يتكون من أحد الوالدين نتيجة الطلاق أو الانفصال .

ثلث الأطفال فى انجلترا غير شرعيين. فى دراسة لمجلس الكنائس الأوروبي ورد أن أقل من عشر عدد السكان يترددون على الكنائس. أعداد متزايدة من الشباب بين السادسة عشر والعشرين يعلنون عدم انتمائهم لأي دين .

فى أيسلنده ٣, ٥٧٪ من الأطفال غير شرعيين. فى فرنسا وبريطانيا وايطاليا يعيش ٢٥مليونا بلا زواج بسبب الطلاق أو الانفصال أو الامتناع عن الزواج .

فى الولايات المتحدة ٨٠٪ من الجرائم والقتل والاغتصاب ترجع الى العلاقات العائلية الخاطئة، ٢٦٪ من البنات والأولاد اغتصبوا، ٢٦٪ من العائلات فقط لديهم أطفال .

فى السويد ١٩ ألف قضية مرفوعة ضد أزواج يضربون زوجاتهم .

فى أوروبا ككل ٣٠٪ من عقود الزواج تنتهي بالطلاق، فى بريطانيا ترتفع النسبة إلى ٤٠٪ أما فى الولايات المتحدة فتبلغ النسبة ٥٥٪.

فى دراسة لمجلة تايم دعت إلى وضع قيود أخلاقية لم يتضمنها القانون المدني.

وقع صدام بين الفاتيكان وبعض الدول العلمانية فى مؤتمري الأسرة والتنمية بالقاهرة وبكين عن أيهما أجدى، القيود الأخلاقية أم القانون المدني .

من المتوقع أن تنفق الولايات المتحدة ٦٠٠ (ستمائة) بليون دولار بحلول عام ٢٠٢٠ على إنجاب أطفال غير شرعيين. ويتوقع أن تزداد التكلفة فى عام ٢٠٣٠الى تريليون دولار.

من المؤكد أن ينحرف المجتمع الغربي إلى المزيد من التدهور الخلقي بسبب اعترافه بزواج الشواذ بل وتبنى أطفال وما يتبع ذلك كالميراث وخلافه .

وحيث أن الثقافة الغربية قائمة على الإباحية، فعلينا أن نلتزم بثقافتنا. حقا إننا لا نستفيد شيئا من تطبيق نموذج الثقافة الغربية.[٦]

الأسرة الطبيعية فى الإسلام مبنية على الحب والمودة والاستقرار المادي والروحي «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزوجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة" (سور الروم: آية ٢١) .

فيما يتعلق بخصوصية العلاقة بين الرجل وزوجته، أوصى الإسلام بأن يرعى كل منهما الآخر حيث أنهما كيان واحد ويتبادلان المشاركة فى الحقوق والواجبات، فليس أحد منهما في غنى عن الآخر ولن يشعر أحدهما بمباهج الحياة بمعزل عن الآخر .

لكل هذا أوصى الإسلام الزوج بأن يتروى في اختيار الزوجة بعد فترة خطبة.[٧]

الزواج بين المسلمين وغيرهم :

زواج المسلمات من غير المسلمين ممنوع تماما .

«ولا تَنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم «.(سورة البقرة: فى أية ٢٢١)

وسبب التحريم :

«أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه «(سورة البقرة: أية ٢٢١) .[٨]

في حين أن الزواج من كتابية مسموح به، فان الزواج من غير المؤمنة محرم، لأن الأولي لها أخلاقيات تلتزم بها وتشارك المسلمين في الإيمان بالله .

ثار جدل بين العلماء المسلمين بشأن الزواج من صابئيات، أبو حنيفة أجازه بناء على الأية التالية:

«والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم «(سورة المائدة : أية٥).

بعض علماء المسلمين يعتبرون الصابئيات من أهل الكتاب، أي ألزبور .

(٦) السماك، محمد: الزواج المدنى والزواج الشرعى، الإهرام ٢٢/ ٤/ ١٩٩٨.

(٧) واصل، نصر فريد : أسس الزواج المستقر كما أكده الاسلام (الأهرام، ٢٠/ ٤/ ٢٠٠١) ص٣٠

(٨) سايق، السيد مرجع سابق، مجلد٢، ص ص ١٠٣-

وفيما يتعلق بالزواج من المجوسيات أباحه بعض العلماء المسلمين. فعندما استفسر الخليفة عمر عما يتبع بشأن المجوس، نقل عبد الرحمن بن عوف عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه أمر بمعاملتهم كأهل الكتاب. [٩]

وفقا للفقه الحنفي، فان الزواج من امرأة تنتمي إلى دين له كتاب منزل مثل صحف إبراهيم وشيث وزبور داود، مسموح به مالم يتحولن إلى الكفر «بعض» فقهاء الحنابلة يشاركونهم هذا الرأي، علي أساس أنهم يؤمنون بكتاب منزل، وعليه يتطبق عليهن الموقف من اليهوديات والمسيحيات .

أما فقهاء الشافعية وبعض فقهاء الحنابلة فإنهم لايوافقون على الزواج منهن، حيث أن كتبهم عبارة عن مواعظ وقصص، وبذلك فهي لا ترقي إلى مستوى الكتب المنزلة التي تحوي قواعد وأحكام .[١٠]

أساسا، الزواج من كتابيات يهدف إلى إزالة الحواجز بينهن وبين المسلمين، فهو وسيلة للصلات الاجتماعية معهن، ومن ثم تتاح لهن الفرصة للتعرف على الإسلام، مما قد يؤدي في النهاية إلى اعتناق الإسلام. وعلي المسلمين الذين يرتبطون بمثل هذا الزواج أن يضعوا هذا الأمر في حسبانهم .[١١]

العلماء المسلمون متفقون على تحريم زواج المشركين وأهل الكتاب من المسلمات. وهذا سببه أن الرجل له اليد العليا على زوجته. والإسلام لا يسمح لغير المؤمن أن يأمر المسلم. كما أن أهل الكتاب محرم عليهم الزواج بمسلمات لأنهم لا يؤمنون بالإسلام، وعلى النقيض فان الزوج المسلم يؤمن بكل من اليهودية والمسيحية، وهذا هو سبب السماح له بالزواج من كتابية.[١٢] فالمسلم يحترم ديانتها، ومن منطلق هذا الاحترام فانه على الزوج المسلم أن يقوم بتوصيل زوجته إلى كنيسها أو معبدها وأن ينتظرها في الخارج حتى تنتهي صلاتها.[١٣]

وعليه فان الزوجة اليهودية أو المسيحية لها أن تطمئن إلى أن زوجها يحترم ديانتها، في حين أن المرأة المسلمة لا يمكنها أن تطمئن إلى زوج يهودي أو مسيحي فهو لا يعترف بدينها (الإسلام).[١٤]

مسألة الزوجة التي تعتنق الإسلام بينما يبقي زوجها علي دينه، سواء كان اليهودية أو المسيحية،

(٩) سابق، السيد. مرجع سابق، مجلد،ص١٠٣
(١٠) سابق:المصدر نفسه ١٠٣ - ١٠٥
(١١) سابق: مصدر سابق. من ص ١٠٣-١٠٥
(١٢) المصدر نفسه: ص ١٠٥
(١٣) المصدر نفسه : ص ١٠٢
(١٤) أبو طالب، صوفي: الأهرام ١٦/ ١١/ ٢٠٠١ ملحق ص٣

أثارت جدلا. هل تطلب الطلاق أم تظل مع زوجها .

تبني الدكتور يوسف القرضاوى الفقيه الشهير، رأيا مستحدثا، مفاده أن مثل هذه الزوجة يمكنها البقاء مع زوجها، وهذا الحكم مبني على تقدير مفاده حماية الأسرة من الانهيار حيث أن الزوجة (أو الأم) هي عماد الأسرة. وفضلا عن ذلك فان هذا الرأي يخدم مصالح المسلمين الذين يعيشون في الخارج والدعوة إلى الإسلام في الوقت نفسه.(١٥)

أيد الدكتور نصر فريد واصل-مفتي مصر الأسبق- رأي الدكتور القرضاوى مع تحفظ هو ألا تسمح له باستئناف علاقاته الجنسية معها.(١٦) فبقاء الزوجة مع زوجها قد يقنعه بالدخول في الإسلام .

حقوق الزوج والزوجة :

الزوج مكلف بالإنفاق علي زوجته في حدود استطاعته وأن يوفر لها المسكن، وعلي الزوجة أن ترافق زوجها وأن تحافظ علي أمواله من الضياع أو التلف وألا تفعل شيئا قد يؤثر على أمان الأسرة. وعلي الزوج والزوجة فيما يتعلق بالواجبات أن يعين كل منهما الآخر.(١٧)

حقوق الزوج علي زوجته :

* طاعته في غير معصية لتعاليم الإسلام، وأن تحافظ علي أمواله، وألا تفعل شيئا مما يكرهه .
* الإخلاص له .
* الاستجابة لرغباته الجنسية، ولها نفس الحق على زوجها.
* ألا تسمح لأحد يكرهه زوجها أن يدخل بيتها .

(١٥) مراجعة فتوي الدكتور القرضاوي(اللواء الاسلامي،٢٨/ ٨/ ٢٠٠١)ص١٤
(١٦) حوار مع المفتى، صوت الأزهر ٣٠/ ١١/ ٢٠٠١ ص٣
(17)Ali, Maulana: op-cit 648

*حقوق الزوجة علي زوجها :

* إذا كرهت زوجها، فعليها أن تتجنب أن تقول له ذلك، وهذه احدي الحالات القليلة التي يسمح فيها لأحد بالكذب (الحالتان الاخريتان هما: الكذب في الأمور المتعلقة بالقتال ضد العدو، والتوفيق بين المتخاصمين).

* الحق في مسكن لائق يسمح لها بأن تمارس فيه كافة نواحي حياتها الزوجية، بما في ذلك الممارسة الجنسية، ولها الحق في أن ترفض الإقامة في سكن لا يناسب وضعها الاجتماعي أو في بيئة سيئة .

* حق ممارسة العمل الذي لا يسبب أي أذي لزوجها أو يحرمه من حقوقه الزوجية ولها حق تلقي العلم(التعلم) .

* أن تبدو أمام زوجها في أجمل صورة باستخدام مختلف وسائل التجميل وكافة وسائل الزينة[١٨]

* عدم استبعادها من أي عمل يناسب طبيعتها الأنثوية، في نطاق احترام تقسيم العمل .

* حضور صلاة الجماعة مع عنايتها بأطفالها، ولها أن تنضم إلي الجنود في ميدان القتال في أعمال مثل توصيل المؤن،رعاية المرضي والجرحى، إخلاء الجرحى والقتلى من ميدان القتال، والاشتراك في القتال الحقيقي إذا دعت الضرورة .

* التعامل مع الرجال-بيعا وشراء- ولهم أن يبيعوا لها أو أن يشتروا منها .[١٩]

* المحافظة علي كرامتها، فولاية الزوج علي زوجته لا تحول دون ذلك :

* «الرجال قوامون علي النساء بما فضل الله بعضهم علي بعض «

* (سورة النساء: أية ٣٤) .[٢٠]

* في حالة عدم قدرة الزوجة علي إرضاع طفلها حولين، فعلي الزوج أن يحضر لها مرضعة لإرضاعه من لبنها. وهي مسئولة عن تعليم أطفالها في المراحل الأولي.

* الإخلاص لزوجها خصوصا في مرضه وفي حالات العسرة، وبعد وفاته تحتد عليه.[٢١]

---

(١٨) سابق، مصدر سابق من ص ١٩٩-٢٠٨

(19) Ali, MM.: op. cit.,p.647

(٢٠) الشعراوى : مصدر سابق الجزء الرابع ص٣٩

(٢١) الجبرى، ا.م:. المرأة فى المنظور الاسلامى من ص٩٣-١١٨

* حسن معاملة الزوجة، «فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف» (سورة البقرة: أية ٢٣١)، «وعاشروهن بالمعروف «(سورة النساء: أية ١٩). شدّد رسول الله صلي الله عليه وسلم علي حسن معاملة الزوجة، قال في خطبته الشهيرة في حجة الوداع «يا أيها الناس، لكم حقوق علي زوجاتكم ولهن عليكم مثل الذي عليهن. أخذتموهن بأمان الله فعليكم حسن معاملتهن[٢٢]

بمجرد إجراء عقد الزواج وفقا لأحكام الشريعة تنشأ حقوق متبادلة لكل منهما علي الأخر:

- المتعة الجنسية من خلال الممارسة الجنسية، ولكنها ليست ميزة لطرف دون الأخر .
- الزوجة لا تحل لوالد زوجها أو جده أو ابنه، وبالمثل فان أمها أو جدتها أو ابنتها لا تحل أي منهن للزوج.
- الميراث: كل منهما يرث الآخر بعد وفاته .
- الأبناء والبنات ينسبون لأبيهم (الولد للفراش وللعاهر الحجر) .
- حسن معاملة كل منهما للآخر .
- الحقوق المالية : المهر والنفقة .
- العدل بين الزوجات في حالة التعدد، وعدم إلحاق الضرر بأي منهن.[٢٣]
- وفقا للحديث، تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها، وذات الدين أفضلهن .

عند المقارنة بين الإسلام وغيره من الديانات نجد:

في اليهودية الزوجة، بعد الزواج، تخضع لزوجها الذي لا يهتم بها، ولا يبذل أي جهد للعناية بنظافته الشخصية، مما يجعلها تبحث عن المتعة خارج نطاق الزوجية.

مما يبعث علي السخرية، فانه في بعض المجتمعات الغربية: يعطي القانون للزوجة حق ترك بيتها والبحث عن المتعة مع صديق - في المقابل للزوج حق استضافة محظية في بيته والممارسة الجنسية معها حتى في وجود زوجته .

---

(٢٢) سابق، السيد : مصدر سابق، مجلد، من ص١٥٣-١٥٤

(٢٣) عمارة، م.: حقوق المرآة فى الاسلام وفى الحضارات الأخرى، صوت الأزهر٢١/ ٩/ ٢٠٠١ ص١١، ٢٠/ ٤/ ٢٠٠١ ص١١

بعض الجمعيات النسائية في أوروبا يدعو للمساواة بالنظام الإسلامي للأسرة والحفاظ علي استقلال شخصية الزوجة من خلال المحافظة علي أسمها قبل الزواج .(٢٤)

تعدد الزوجات :

المتبع في الإسلام زواج رجل واحد بامرأة واحدة، في بعض الظروف يسمح للرجل بأكثر من زوجة في حين أنه لا يسمح للمرأة إلا برجل واحد. طبقا للطبيعة البشرية يستطع الرجل أن يعول أطفال أكثر من زوجة في حين أن المرأة يمكنها أن يكون لها أطفال من رجل واحد فقط. الإسلام لا يأمر بالتعدد ولكنه يسمح به. وفي حين أن تعدد الزوجات له مزايا في بعض الأحيان فان تعدد الأزواج ليست له أية فائدة على الإطلاق.(٢٥)

حصول المرأة على نصف منزل أفضل لها من ألاّ يكون لها منزل على الإطلاق. في ظروف الحرب كانت صفوف المحاربين تتناقص يوميا، ونتيجة لذلك كان المجتمع في حاجة ملحة لزيادة أعداده بكل الوسائل الممكنة. كان من الضروري توفير مأوي للأرامل حتى يساعدن في الوضع العددي للمجتمع، وعدم توفير مأوي لهن كان سيؤدي إلى فساد خلقي ويشكل أكبر ضرر لحضارة كحضارة الإسلام القائمة علي الأخلاق الحميدة، فالمشكلة ليست في توفير الطعام .

الإسلام ليس ضد عمل المرأة لكسب قوتها بل في توفير الحياة الأسرية التي لا يمكن حلها بالثبات علي نظام الزوجة الواحدة. فتعدد الزوجات ليس فقط فضيلة أخلاقية بل هو من أجل الراحة الجسدية للمجتمع. إذا لم نسمح بالتعدد فان الدعارة ستزداد ومن ثم زيادة عدد أبناء السفاح وهو مرض ينخر في جسد الأمة كالسوس، مثل هذه الأمراض غير معروف في المجتمعات التي تسمح بالتعدد .

وللذين يدعون أن التعدد يمكن أن يساء استخدامه نقول لهم أنه في كل مجتمع هناك من يسيئون استخدام نظمه مهما كانت مهمة للنمو الصحيح للمجتمع الإنساني. إطلاق العنان للشهوات الجسدية في المجتمعات التي لا تسمح بالتعدد أكثر خطرا علي المجتمع من إساءة استخدام التعدد الذي يمكن للدولة أن تقّوم بوضع قيود قانونية علي استخدامه في حين أن الدولة لا تستطيع أن تفّعل شيئا إزاء الشرور المترتبة علي منع التعدد. (٢٦)

(24) ()Ali, M.: op. cit.,637-638
(25) (2)Ibid, 641-643
(٢٦) منتخب تفسير القرآن، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية(ط٤، ١٩٩٤، من ص ١٠٥-١٠٦)

الشريعة الإسلامية ليست استثناء من الديانات السماوية الأخرى في السماح بالتعدد .

في العهد القديم :

كان مسموحا للرجال بأن يتزوجوا بأي عدد من النساء يرغبون فيه، وكان أنبياؤهم يتزوجون بعشرات النساء .

الكنيسة المسيحية :

في العصور الوسطي وما بعدها كانت الكنيسة تسمح بالتعدد، فملوك أوروبا الذين مارسوا التعدد معروفون تماما في التاريخ .

الإسلام :

هو أول ديانة سماوية قيدت عدد الزوجات ابتداء وسمحت بالتعدد بشروط :

أن عدد الزوجات لن يتعدي أربع زوجات .

ألا يتسبب الزوج في الإضرار بأي من الزوجات .

أن الزوج قادر علي إعالة زوجاته، وفي حالة ما إذا تعسر حاله في المستقبل، يكون للزوجة حق الانفصال إذا رغبت في ذلك .

مزايا التعدد :

إعادة التوازن بين أعداد الرجال وأعداد النساء خاصة خلال الحروب وبعدها .

من الخير للمرأة أن تتقاسم الزوج مع غيرها من أن تكون محظية تنتقل بين أحضان رجال متعددين.

القول بأن الزوجة الأولي تضررت من الزواج الثاني، فان الزوجة الثانية سيصيبها ضرر أكبر لو بقيت بدون زواج وحرمت من حقها في أن تحيا حياة طبيعية مع زوج وتتمتع بمباهج الزواج .

أنه إجراء علاجي في حالة عدم مقدرة الزوجة علي تلبية مطالب زوجها جنسيا أو في حالة العقم(٢٧)

في حين أن الإسلام لم يسمح إلا بأربع زوجات ادعي آخرون أن العدد يمكن أن يصل إلي تسع زوجات وهذا فساد في القياس علي عدد الزوجات الذي سمح به للرسول صلي الله عليه وسلم لأنه خاصية له وحده تنفيذا لأوامر الله .

وقال الشيعة والخوارج أن العدد المسموح به يمكن أن يصل إلي ثمان وعشرين زوجة .(٢٨)

حرم المستعمرون الأوروبيون في إفريقيا التعدد، قياسا علي حضارتهم والتي يعتبرونها الأفضل. وقد تراوح هذا الموقف الأوروبي بين :

المعارضة اللينة لهذه الممارسة، وذلك من جانب بريطانيا وفرنسا اللتين تعودتا علي قوانين وعادات البلاد الإسلامية التي كانتا تحكمانها، وبدلا من التحريم فرضتا ضرائب علي كل زوجة بعد الزوجة الأولي .

المعارضة اللحوحة من دول كاثوليكية (بلجيكا والبرتغال وأسبانيا والمتشددين الفرنسيين) ومع ذلك فان بعض هذه الجماعات الكاثوليكية سمحت بالتعدد للافريقين لضمان استمرار بقائهم علي المسيحية.

أسباب ممارسة الافريقين للتعدد:

* الغارات الأوروبية لجمع الرقيق والتي أدت إلي إفراغ بعض هذه المجتمعات من الرجال .

* كوسيلة للقوة في مواجهة الأعمال الحربية من جانب القبائل الإفريقية المنافسة .

* تقوية العلاقات مع أكبر عدد ممكن من القبائل الإفريقية .

* القيمة الاقتصادية للمرأة في عملية الإنتاج .

* لتعويض توقف الممارسات الجنسية خلال الحمل والرضاعة امتثالا لبعض المعتقدات الإفريقية.

* لإعادة التوازن مع النساء اللاتي فاق عددهن الرجال .(٢٩)

---

(٢٧) الحسيني، م.شحاته: مذكرات في الاحوال الشخصية، من ص ٨١-٨٢
(٢٨) قداح، نعيم: حضارة الاسلام، وحضارة أوربا في غرب افريقيا، من ص ١٨٥-١٨٦
(٢٩) الشعراوي، مصدر سابق، جزء٢، من ص ٧-٨

وبينما أباح الإسلام تعدد الزوجات فانه حرم تعدد الأزواج. ان المرأة العفيفة لا تقبل التنقل بين أحضان رجال متعددين، وبدلا من ذلك فإنها تبقي مع رجل واحد وترعي أسرة مستقرة من أب معروف لا أب مجهول .

في المجتمعات التي سمحت بالدعارة، فان العاهرات يخضعن لفحص طبي دقيق، في حين أنه لا يوجد شيء من هذا مع زوجة الرجل الواحد .[٣٠]

الظروف التي تتطلب التعدد وتسمح به :

* المواردالاقتصادية المحدودة تحرم عددا كبيرا من الشباب من حقوقهم الطبيعية في الزواج وإقامة أسرة. وبدلا من الانتظار لأوقات غير محدودة، فان بعض الفتيات يقبلن أن يكن زوجات لرجال متزوجين، لديهم موارد معقولة للإنفاق علي زوجة ثانية .

* عقم الزوجة، بينما يكون الزوج في اشتياق إلى الأطفال .

* عندما تكون الزوجة مريضة .

* عندما تكون الزوجة سيئة الطباع وتسئ معاملة زوجها ولا أمل في إعادتها إلى التصرف السوي.

من جهة أخري، أعطي الإسلام المرأة الحق في أن تشترط علي زوجها ألا يتزوج عليها، وإلا سيكون لها حق فسخ عري الزوجية إلا أن تتخلي طوعا عن الشرط السابق ذكره .

تحيز الزوج لزوجة علي حساب زوجة أخري مرفوض تماما، إلا أن يكون ميلا قلبيا لا حيلة لأحد فيه. حرم الرسول عدم العدل في معاملة الزوجات، أو تفضيل واحدة علي أخري. في جميع الأحوال فان الزوجة التي تشارك أخري في زوجها فإنها تحتفظ بحقها وحقوق أولادها كاملة دون نقصان[٣١]

تعدد الزوجات جريا وراء اللذات غير مسموح به في رأي بعض الفقهاء وهذا الرأي أساسه أن التعدد مسموح به ولكنه ليس حقا مطلقا .

---

(٣٠) قداح: مرجع سابق من ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٣١) غنايم، ن، صالح، سعاد: حالات التعدد، اللواء الاسلامى ٢٠/ ١٢/ ٢٠٠١

يمارس كثير من العامة التعدد علي أنه من حقوقهم، من ثم فإنهم غير مطالبين بذكر أسبابهم للتعدد، هؤلاء الناس يتبعون الشريعة شكلا لا موضوعا .(عبد المعطى بيومى : التعدد جرياً وراء الشهوة، المصور ٢٥/ ٥/ ٢٠٠١،ص ص ٥٨ - ٥٩

درجات السماح بالتعدد :

١ . عندما يكون واجبا : في حال عقم الزوجة ويكون الزوج متشوقا لأن يكون له أطفال، أو أن تكون مريضة بدرجة لا تتمكن معها من إجابة متطلباته .

٢ . عندما يكون مستحبا : كحل لمشاكل داخل الأسرة مثل وفاة الأخ، وبذلك يكون الزواج من زوجة أخيه مستحبا فيه من أجل الحفاظ علي أولاد أخيه .

٣ . عندما يكون مكروها : إذا كانت الزوجة تحسن القيام بواجباتها الزوجية، أو اذا كان الرجل نفسه عقيما (غير قادر علي المعاشرة الجنسية) .

علي كل حال فان الإسلام لم يجبر أحدا علي أن يسير علي نهجه. ومن العجيب أن بعض الجمعيات (أو المجتمعات) في الغرب يبدي درجات مختلفة من الاقتناع بصحة التعاليم الإسلامية بشأن التعدد والطلاق. [٣٢]

في الواقع، التعدد سمح به من أجل الحفاظ على المجتمع وليس العكس، كما يحلو للنقاد الغربيين أن يرددوا. من جهة أخرى إذا كان لدي الزوجة أية رغبة في وضع نهاية لهذا الرباط الزوجي، فليست هناك مشكلة في الحصول على الطلاق لدرجة أنه يحق للزوجة تماما الطلاق، إذا كان العرف في مجتمعها لا يسمح بالتعدد لشخص يتزوج واحدة من طبقتها .

التعدد هو الحل السليم لمشكلات المجتمع الذي:

يكون فيه ازدياد كبير لعدد العوانس غير القادرات على الزواج ومحرومات من أن تكون لهن علاقات طبيعية مع الجنس الآخر .

عندما تنتشر الشرور الاجتماعية مثل الزواج غير الشرعي، الزواج المؤقت، الزنا، اغتصاب البنات والأولاد والشذوذ .[٣٣]

---

(٣٢) المطعنى: التعدد، اللواء الاسلامى، ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠١ص١٧
(٣٣) المجدوب، الطيب، الدين لا يمنع التعدد، الاهرام ٤/ ١/ ٢٠٠٢ص٢٨

الطلاق :

أحاط الإسلام عقد الزواج بقدر كبير من القداسة، ولكن رغم ذلك فانه يعترف- في حالات استثناية- بالإبقاء علي الباب مفتوحا لفسخه وقال الرسول صلي الله عليه وسلم أن الطلاق أبغض الحلال. ورغم سهولة إيقاع الطلاق، فانه قليلا ما يحدث بين المسلمين، مقارنا بالإعداد الكبيرة من حالات الطلاق في البلدان الغربية. المسلم لديه تعود علي مواجهة صعوبات الحياة الزوجية وكذا مباهجها وأن يتجنب تفسخ العلاقات الأسرية قدر الإمكان، والطلاق هو الملجأ الأخير .

يجب بذل كل الجهود لإحداث الوفاق قبل الطلاق. ليس صحيحا أن المسلم يمكنه أن يتخلص من زوجته لمجرد نزوة. وحيث أن الزواج هو أتفاق بين اثنين علي العيش سويا زوجا وزوجة، لذا فعندما يشعر أحد الطرفين أنه غير قادر علي أن يتوافق مع هذه الحياة، فلابد من إيقاع الطلاق. هذا لا يعني أن كل خلاف بينهما يؤدي الى الطلاق بل هو عدم الموافقة علي الاستمرار، زوجا وزوجة. في مثل هذه الحالة «فَابْعَثُواْ حَكَماً مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلاَحاً يُوَفِّقِ اللّهُ بَيْنَهُمَا « (سورة النساء: أية ٣٥) «وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ «(سورة النساء: أية ١٣٠) .هذا يعني المساواة التامة بين الجنسين حيث أن أيا منهما يمكنه أن يطلب الطلاق عندما لا يستطيع الطرفان الاستمرار في وفاق .(٣٤)

الحالات التي تسمح بالطلاق :

غياب الزوج لمدة سنة علي الأقل وهي فترة كافية للزوج لأن يعيد النظر في تغيبه، من جهة أخري فليس مطلوبا من الزوجة أن تنتظر أكثر من هذا في ظل غياب الحياة الزوجية .

عدم القدرة علي إقامة أسرة .

في حالات العاهات مثل العنه، ولكن بعد سنة للتأكد من العلاج، والخصي، وفي الحالة الأخيرة (الخصي)يمكن للزوجة أن تحصل من القاضي فورا علي الطلاق البائن، والجنون، والأمراض الخطيرة كالجذام .

الردة، حيث أن الزوج لم يعد مسلما .(٣٥)

---

(34) (1) Ali, M.:op.cit,pp 670,673

(٣٥) (٢) الحسيني، م.م: مرجع سابق من ص ١٢٣-١٢٩

الإسلام يضع الطرفين علي قدمي المساواة في موضوع الطلاق، فالزوجة تستطيع طلب الطلاق لنفس الأسباب التي يوقع الزوج الطلاق من أجلها. (٣٦)

هناك طرق كثيرة للإثناء عن فصم عري الزوجية، وتوفير كل فرصة للطرفين للابقاء عليها حتى بعد الطلاق (الرجعي). كل طلاق تتلوه فترة عدة لإتاحة الفرصة للطرفين للتوافق. فهما مأموران باستمرار الحياة في نفس المنزل، والزوج مأمور بألا يطرد الزوجة من «بيتها «الذي تعيش فيه إلا أن تكون متهمة بسوء السلوك، والزوجة مأمورة بالمثل ألا تغادر»بيتها» . هذا الأمر يهدف بوضوح إلى استعادة العلاقات الودية ويمكن أن يؤدي إلى المصالحة .(٣٧)

التفويض في الطلاق يمكن إعطاؤه للزوجة أو لأي شخص تختاره لإيقاع الطلاق نيابة عنها. هذا التوكيل يمكن للزوج أن يسترده، أما التفويض المعطي للزوجة نفسها فلا يمكن استرداده ما لم تنته الفترة الممنوحة لممارسة هذا الحق .

يجب أن تبذل محاولات لتسوية الخلافات بين الزوج وزوجته قبل تدخل القاضي لإيقاع الطلاق. وفي حالة تعرضها لمعاملة سيئة لحد استحالة استمرار العلاقة الزوجية، فإنها تحتفظ بحقوقها كاملة قبل زوجها .(٣٨)

بعد الطلاق تظل الزوجة في «بيتها».

خلال فترة العدة يحتفظ الزوج بكامل حقوقه في العلاقات الزوجية، بما في ذلك الاتصال الجنسي، وهذا بالطبع في حالة الطلاق الرجعي. في هذه الفترة للزوج الحق في الاحتفاظ بزوجته بأن يعبر عن ذلك بالكلام أو بأن يعاشرها جنسيا دون حاجة إلى شهود. بعض الفقهاء لا يوافقون علي هذه الحقوق إلا بعد أن يعبر الزوج بصراحة عن رغبته في استمرار العلاقة الزوجية .(٣٩)

من منطلق الحرص علي المحافظة علي العلاقات الزوجية، حذر الرسول أولئك الزوجات من طلب الطلاق : «كل زوجة تطلب الطلاق في غير ضرورة ملحة، لن تشم ريح الجنة «.(٤٠)

---

(36) ()Ali, M.:op.cit,pp 675-676
(37) ([1]) Ali, M.: op. cit .: pp.380-679

(٣٨) الحسيني، م.م: مصدر سابق ١١٨-١٢١
(٣٩) (٣) عاشور، م.: بقاء الزوجة المطلقة طلاقا رجعيا مع زوجها، صوت الازهر ١١/ ٥/ ٢٠٠١ ص٧
(٤٠) (٤) هاشم: الطلاق، ابغض الحلال الى الله، صوت الأزهر ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠١ ص٦

في المجتمعات الغربية، إقامة علاقات جنسية مع النساء، خلاف الزوجات، هو عادة تصرف مقبول ولا أحد يعتبره اهانة للزوجة، بينما يندّدون باتخاذ الحليلات بدلا من الخليلات. فأى من الحالتين اهانة حقيقية للزوجة ؟ (٤١)

القرآن الكريم يتخذ أكثر الآراء إحسانا عند ضرورة الطلاق. لذلك يوصي بأكبر قدر من الرفق بالزوجة. في حالة الطلاق، مثل ما كان في حال الزوجية، يجب أن تعامل المرأة برفق وكرم، كواحدة اضطر لإنهاء العلاقة معها. الخلافات الزوجية يمكن أن تكون لأسباب وجيهة أوْلا، لكن الإسلام يوصي باتخاذ أفضل المواقف إحسانا.(٤٢)

فضلا عن ذلك، فان بعض الفقهاء يري أن الزوج الذي يطلق زوجته دون سبب قوي، يكون في الحقيقة مسيئا لاستخدام حقه. في مثل هذه الحالة علي القاضي أن يقرر ما إذا كان علي الزوج أن يعوض زوجته، إذا لم يستطع أن يقيم الدليل علي سبب قيامه بالتطليق، لكن فقهاء آخرين لا يشاركونهم الرأي في موضوع التعويض. (٤٣)

تقدر الشريعة أنه بعد الطلاق الأول يحق للطرفين أن يعيدا تأكيد علاقاتهما الزوجية خلال فترة العدة، وأن يعيدا زواجهما بعد تلك الفترة، ويمنحان هذا الحق بعد الطلاق الثاني، ولكن ليس بعد الطلاق الثالث .

قبل الإسلام: بينما لم يكن للمرأة أي حق في الطلاق كان للزوج حق مطلق في تطليق زوجته وأن يعيد تأكيد حقوقه الزوجية خلال فترة العدة لأي عدد من المرات يريده. لذا كان ينظر إلي المرأة علي أنها مجرد متاع يمكن أخذه أو الاستغناء عنه وفق رغبته مما أساء إلي الزواج ككل.

الإسلام لم يكتف بمنح المرأة حق الطلاق بل إنه وضع حظرا علي حق الرجل في أن يوقع الطلاق لأي عدد من المرات بأن أعلن أن الطلاق الرجعي مرتان فقط. (٤٤)

أقر القرآن والحديث بحق المرأة في طلب الطلاق ويسمي هذا النوع من الطلاق «خلعا»، في هذه الحالة علي الزوجة أن تعيد (للزوج) صداقها.(٤٥)

(٤١) علي، سعيد إسماعيل: إيهما إهانة للزوجة، صوت الأزهر ٢٨/ ١/ ٢٠٠١ ص ١٢.

(42) () Ali, M: op. cit p 688- 689.

(٤٣) الحسيني، م.م: مصدر سابق ص ١٠٠.

(44) Ali,M:op eit 681.

(45) (5 Ibid.: 671

موقف الديانات الأخرى من الطلاق :

في الهندوسية:

وفقا للقانون الهندوسي، إذا أبرم الزواج فلا طلاق.

في اليهودية :

يجب أن يكون الطلاق مسببا عند الطائفة الإسرائيلية أما الطوائف اليهودية الأخرى فإنها لا تشترط وتعطي الرجل الحق في إيقاع الطلاق حتى لمجرد الإعجاب بامرأة تكون أكثر جمالا. وعلي العكس الزوجة محرومة من طلب الطلاق.

في المسيحية :

هناك آراء متنوعة بين الطوائف المسيحية بشأن الطلاق:

الكاثوليك :

الطلاق غير مسموح به، المطلَّقة تحرم من الزواج ثانية لأنهم لا يعترفون بالطلاق، وبدلا من ذلك يعترفون بالانفصال لأسباب الزنا أو التحول عن الكاثوليكية أو ارتكاب أعمال سيئة. من يحصل علي طلاق من محكمة مدنية يظل زوجا للزوجة المطلقة حتى يموت أحدهما أو كلاهما، حتى لو كانت متزوجة من رجل آخر قبل موتها.

تتيح الطوائف المسيحية الأخرى الطلاق في حدود، مع اختلاف في الأسباب:

الأقباط الأرثوذكس:

يمكن الحصول على الطلاق لعلة الزنا ومخالفة الديانة المسيحية وفقدان العذرية قبل الزواج، العيوب الخطيرة مثل العنّه أو الاخصاء، محاولة أحد الطرفين قتل الأخر، الفجور البين، الغياب لما لا يقل عن خمس سنوات، الحكم بالسجن لما لا يقل عن خمس سنوات، اختيار حياة الديرية من أحد الطرفين، النزاعات المستمرة.

الأرمن الأرثوذكس:

يسمحون للزوجة أن تطلب الطلاق في حالة: إذا كان الزوج عنينا لعدة سنوات بعد الزواج، الفجور، إذا أتهم الزوج زوجته بالزنا ولم يستطع إثباته، إذا رحل عنها، أو إذا ارتكب الزوج جريمة الزنا.

الإنجيليون والبروتستانت:

يسمحون بالطلاق في حالتي الخروج من المسيحية وارتكاب جريمة الزنا. من هذا يتضح أن الكنيسة الكاثوليكية فقط لا تسمح بالزواج من جديد للمطلق، رجلا كان أو امرأة طالما أن الطرف الآخر علي قيد الحياة.

ومن ثم فان المحاكم المصرية لا تستمع ولا تصدر حكما في قضية مرفوعة من أي شخص ينتمي إلي طائفة لا تسمح بالطلاق، وهذا من قبيل الاحترام لتعاليم هذه الطوائف رغم أن مثل هذه الزوجة سوف تظل في العزوبية حتى الموت ودون أية معاونة خلال حياتها.(٤٦)

فيما يتعلق بالخلع:

تطبق الشريعة في القضايا المتعلقة بمسلمين، وعلى اليهود والمسيحيين في حالة اختلاف المذهب ويري البعض أنه ليس منطقيا تطبيق قوانين طرف آخر ينتمي إلى دين آخر أو طائفة أخري.(٤٧)

ينتقد بعض المسيحيين هذه القاعدة قائلين أنه ليس منطقيا أن تطلب زوجة مسيحية الخلع لمجرد اختلاف الطائفة أو الملة طالما أنهما في نطاق دين واحد هو المسيحية، ويقولون ما يلي:

أن الإنجيل يسمح بالطلاق لعلة واحدة هي الزنا.

أن الشريعة تعطى أهل الكتاب الحق في تنظيم شئونهم الشخصية وفقا لقوانينهم. كما أن المؤتمر الإسلامي الذي عقد في القاهرة عام١٩٧١ أكد هذا الحق.(٤٨)

من جهة أخرى فان القس إكرام لمعي قال أن الطلاق ثم الزواج مرة أخرى يمكن أن يتحققا في حال عقم أي منهما ورغبة الطرف الأخر أن يكون له أطفال.(٤٩)

---

(٤٦) الحسيني، م.م.: مصدر سابق من ص٩٢-٩٧
(٤٧) الشناوي، أ: أحكام الخلع وغير المسلمين، الأهرام١٤/ ١٢/ ٢٠٠١، ص١٥
(٤٨) قلدس، جميل: الزوجة المسيحية والخلع، الأهرام ٤/ ٢/ ٢٠٠٠ ص٢٧
(٤٩) لمعي، إكرام: الحاج الحسيني والحاج متولي، الأهرام ٤/ ١/ ٢٠٠٢ ص١٠

كما أن المستشار جميل قلدس- وهو أرثوذكسي مصري- بحث موضوع الخلع بالنسبة للزوجة المسيحية، فأكد أن استماع المحكمة لهذا الطلب بحجة تغير الطائفة أو الملة يتطلب أن يكون أحد الزوجين منتميا إلى ملة تؤمن بالطلاق - وحيث أن كل الملل المسيحية لا تسمح بنظام الخلع فان الزوجة المسيحية ليس لها الحق في الخلع.

أصدرت محكمة النقض في مصر حكما يقول: حيث أن جميع الملل المسيحية علي مدي ألفي سنة لم تسمح بالطلاق، فان إيقاعه بحجة تغير الملة هو في الواقع هروب وانحراف عن تعاليم الديانة المسيحية. [٥٠]

الأطفال والختان والحجاب والميراث :

الطفل :

له علي والديه الحقوق التالية:

أن تقوم والدته برعايته ولها الحق في ذلك، ولكن إذا قام نزاع بين الوالدين، فعلي القاضي أن يقرر أيهما أفضل للطفل. كما أنه في حالة عدم تواجد الأم، بسبب الموت أو الزواج من جديد، علي القاضي أن يختار لرعاية الطفل، الأقرب للطفل من حيث صلة القربى (الأم، أو الأخت، أو ....)

حق الحصول علي التعليم .

الحق في التوجيه السليم في أمور العقيدة الدينية .

وللطفل علي أمه الحقوق التالية :

* حق الرعاية لعامين طالما أن الأم قادرة علي إرضاعه. فطام الطفل قبل عامين يجب أن يتم بالتفاهم المشترك بين والديه. وفي حالة عدم مقدرة الأم على الإرضاع فعلى الأب أن يستأجر له مرضعة .

* حقه في أن ترعي أمه شئونه .

* الحق في أن تكون له أم فاضلة .

* المجتمع مسئول كذلك من خلال الضمان الاجتماعي أو أية مؤسسة أخري عن حسن تنشئته .

(٥٠) (٢) قلدس، جميل: الزوجة المسيحية لاحق لها في الخلع، الأهرام ١١/ ١/ ٢٠٠٢ ص١٥

* للطفل اليتيم الحقوق التالية في المجتمع المسلم :

* ضرورة تخصيص الأموال لتربيته .

* على الأم أن تبذل كل جهدها من أجله بعد وفاة والده .

الأب مكلف بأن يعمل ويخطط من أجل مستقبل أطفاله قبل وفاته. (٥١)

يقول الفقيه الكبير ابن القيم أن على المجتمع أن يؤكد على تكيف الأطفال مع مجتمعهم :

* اللياقة والرقة في معاملتهم، والعدل مع الجميع.

* توفير التغذية الصحية والسليمة يبدأ بالرضاعة الطبيعية .

* الفطام يكون تدريجيا لا فجائيا .

* تعويد الأطفال على الأخلاق الحميدة والصدق والاجتهاد وتجنب الكسل وعدم مخالطة قرناء السوء. (٥٢)

الطهارة :

من منطلق الحرص على نقاء الأطفال والشباب أوصي الإسلام بالطهارة.

وكما جاء في الإنجيل فان ممارسة الطهارة ترجع إلي عهد سيدنا إبراهيم. وهو حقيقة علاج لكثير من الأمراض. (٥٣)

وللبنات كذلك طهارة بقطع الأجزاء الزائدة .(٥٤)

يجمع الفقهاء علي أن الطهارة بالنسبة للذكور واجبة، ولكنهم يختلفون حول ضرورتها بالنسبة للإناث، بعضهم يري أنها ضرورة وآخرون يقولون أنها مستحبة .(٥٥) وهناك أيضا من يعارضها بل ويحرمها.

(٥١) هاشم، أحمد عمر: حق الطفل في الإسلام، صوت الأزهر ٢١/ ٩/ ٢٠٠١ ص ٦.
(٥٢) صبحي، س: (بن القيم ورعاية الطفل، الأهزام٧/ ١٢/ ٢٠٠١)ص٦
(٥٣) (٥) المفتي (شيخ جاد الحق على جاد الحق) الفتاوى الإسلامية، من ص ٣١٢٠-٣١٢١
(54) (3)Ali, M.: op.cit, p.397
(55) (4) Parrinder, Q.: West African religion, p.103

الحجاب :

اتساقا مع الطهارة الخلقية، فرض الحجاب على الإناث البالغات. وفي حالة إذا كانت المرأة (أو الفتاة) على قدر لافت من الجمال، يشار عليها بالنقاب خوفا من أن يفتنها جمالها أو تفتن به غيرها، وفرضية الحجاب دليلها قوله تعالي: «وليضربن بخمرهن على جيوبهن" (سورة النور: أية ٣١) .

ومع ذلك يري بعض الفقهاء أن المرأة يمكنها أن تدع حجابها في حال إحساسها بالخطر بسبب مواقف معادية. وهذا تطبيق لمبدأ" الضرورات تبيح المحظورات" [٥٦] تواجد المرأة وقت الصلاة في المساجد أستمر بعد وفاة الرسول لمدد طويلة. وفي داخل المسجد لم يكن منفصلات عن الرجال بأي ساتر أو حجاب، بل كنَّ يقفن في صفوف خلف الرجال.

وفي مناسبة الحج الأكبر، النساء يهللن مع الرجال في المساجد"الله أكبر" خلال الأيام الثلاثة التالية لعيد الأضحى. [٥٧]

الميراث :

كان لدي العرب في الجاهلية عادات متشددة تقضي بأن الذي يرث هو الذي يحمل السلاح، لذلك لم يعطوا شيئا من الميراث لمن لا طاقة له بمواجهة العدو ومن لا يقاتلون في المعارك. وتطبيقا لهذه القاعدة يحرم من الميراث لا النساء فقط بل القصر. كانت المرأة ينظر إليها علي أنها جزء من ميراث المتوفى ومن ثم ليس واردا أن يكون لها أي نصيب في الميراث .

وطبقا للقانون اليهودي لم تكن المرأة في وضع أفضل، جاء في دائرة المعارف اليهودية: «لم يكن واردا في تلك الأيام أن ترث الأرملة زوجها، حيث أنها كانت تعتبر جزءا من الميراث يؤول إلى الورثة، ولم يكن واردا أن ترث البنات آباءهن، حيث أنهن بمقتضي الزواج أعطاهن الأب أو الإخوة أو غيرهم من الأقارب بعد وفاة الأب، إلى الأسرة التي تزوجت من أحد أفرادها وبذلك أصبحن ميراثا لهم" .

جاء الإسلام ليدافع عن الجنس الأضعف وعن اليتامى، وجعل الأنثى شريكة في الميراث للرجل وقسَّم ميراث المتوفى بين ورثته على أساس ديمقراطي بدلا من أن يذهب الميراث كله إلى الابن

(٥٦) الحجاب، صوت الأزهر ٣٠/ ١١/ ٢٠٠١ ص٣.

(57) Ali, M.: op.cit., pp.,701-702

الأكبر. لخص القرآن الكريم أحكام الميراث كلها في ثلاث آيات وهي الأيات ١١، ١٢، ١٧٦ من سورة النساء. وهذا أمر معجز. (٥٨)

تنظيم النسل :

تحديد النسل هو في الواقع إلغاء للهدف الأساسي من الزواج. إن الحضارة الأوروبية تسير بخطي متسارعة نحو إباحية العلاقات الجنسية دون أية مسئوليات اجتماعية. وتمشيا مع فكرة الحب المفتوح «Free Love" فقد تحول الأمر كله إلي «سفاح» والتخلي عن المسئوليات المترتبة علي الزواج (الأطفال)

جري تطوير وسائل تحديد النسل مما أدي إلى هبوط معدل المواليد وزيادة القلق لدي الدول التي تبنته. مغزى الحياة الزوجية، والعناية بالأطفال وتنشئتهم باعتباره الهدف النهائي للّذات الجنسية، كل هذا فقد أهميته. الفقر ونقص الوسائل لتنشئة الأطفال، هو عامل آخر في تحديد النسل. ومن الناحية الواقعية فان الذين يتذرعون بنقص الوسائل هم القادرون.

في الإسلام، هناك وسيلة لتحديد النسل ورد ذكرها في أحد الأحاديث باعتبارها من المسموح به وهي «العزل» وتعني قذف مني الرجل خارج رحم المرأة .

والعزل أيضا كوسيلة لتحديد النسل يعتبر إلغاء للهدف الأساسي من الزواج ولم يكن يسمح به إلا لسبب قوي. كأن تتعرض حياتها للخطر أو يلحق الضرر بصحتها. لذا يسمح به مؤقتا وبموافقة الزوجة ولكن مع وجود سبب قوي يبرر العزل.(٥٩)

(58) (1) Ali.M.: op.cit., pp701 – 702.
(59) () *Ibid*, 653- 655.

فتاوى الهيئات العليا في الأزهر الشريف في هذا الخصوص:

الشيخ محمود شلتوت: شيخ الأزهر الأسبق:

إصدار فتوى للحد من النسل للأمة كلها أمر غير وارد، بصرف النظر عن الاختلافات الفردية، لكن تنظيمه ممكن في حالات الحمل المتكرر بعد فترات قصيرة، وفي حالة الأمراض المعدية وأولئك الذين يخشون المسئولية وغير قادرين على تحمل مسئولياتهم دون معاونة خارجية من الحكومة أو القادرين. في هذه الحالات يكون تنظيم النسل حالة فردية وحل علاجي لمشاكلهم وبالتالي السماح فقط بالسلالات القوية. الشريعة تسمح بهذا التنظيم وتشجعه. لقد حذر الرسول صلي الله عليه وسلم من أن يرضع الطفل من الأم الحامل وحيث أن فطام الطفل ممكن بعد عامين، فهذا يعني تجنب الحمل خلال هذه الفترة .

الشيخ عبد المجيد سليم :شيخ الأزهر الأسبق :

يسمح للوالدين بالبحث عن طرق لمنع دخول السائل المنوي في الرحم فيما يتعلق بمسألة الإبقاء على ماء الرجل في رحم المرأة، هناك جدل حولها. معظم الفقهاء يري أنه إذا استقر ماء الرجل في رحم المرأة ولكن لم تنفخ فيه الروح بعد، يسمح بمنع الحمل ولكن بسبب قوي مثل توقف نزول لبن المرأة عند الحمل أو أن الأب غير قادر على استئجار مرضعة للطفل أو أن تكون حياة الطفل نفسها مهددة. أما بعد نفخ الروح فالإجهاض محرم .

الشيخ حسن مأمون: شيخ الأزهر الأسبق :

في بداية ظهور الإسلام، كان المسلمون في حاجة إلى زيادة أعدادهم لمواجهة مسئوليات مقاتلة أولئك الذين وقفوا في وجه الدين الجديد. كانت أعدادهم قليلة مقارنة بالأعداد الضخمة للكفار المعادين .

لقد تغيرت الظروف تغيرا جذريا لدرجة أن بعض الحكومات تواجه صعوبات في توفير حياة كريمة للأجيال الجديدة. لذا فليس هناك سبب يمنع الحد من النسل بشرط أن يتقرر ذلك وفقا لحالة كل فرد دون أكراه من أحد ومن خلال النظر في ظروف كل فرد، كما أن وسيلة التحديد يجب أن تكون مشروعة .

لجنة الفتوى بالأزهر :

استخدام وسائل منع الحمل مؤقتا جائز، لكن استخدام هذه الوسائل لمنع الحمل بصفة مستديمة حرام.(٦٠)

تعليم المرأة :

عن الرسول صلي الله عليه وسلم أنه قال «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة». فعندما تزوج حفصة ابنة الخليفة عمر، كلفت احدي المعلمات بتعليمها، وعندما قال أبوها أنها قد حصلت من التعليم ما يكفي، اعترض الرسول قائلا أنها يجب أن تستمر في تحصيل تعليم متقدم. (٦١)

لم تحرم المرأة أبدا من حقها في أن تعمل. والمرأة، حتى في الريف، تساعد زوجها دون اعتراض من أية جهة دينية أو مدنية. (٦٢)

التعليم للمرأة إما فرض عين وذلك في الأمور المتعلقة بالمعارف الدينية، وأما فرض كفاية في المجالات الأخرى من المعرفة. وللحصول على أي منهما فعلى المرأة أن تتعلم وعليها أن تحصل على قدر مناسب فيهما.

في زمن الخلافة الأموية تميز بعض النساء في مجالات مختلفة كالشعر والعمل الأدبي والموسيقى والفقه واللغويات .

وفى زمن الخلافة العباسية شاركت النساء الرجال في مجالات مثل التعليم والطب والرياضيات والقضاء في المجالات المتعلقة بالنساء وتولى وظائف هامة في الخدمة المدنية. كما سمح لهن حتى بلعب الشطرنج كوسيلة لزيادة قدراتهن العقلية وإيجاد طرق للتغلب على المواقف الصعبة. واشتهر البعض الآخر في طب النساء وطب الأطفال والتربية والفنون والغناء.(٦٣)

المرأة في اليهودية:

طبقا لتعاليم التلمود (وهو الكتاب الجامع للقوانين والتعاليم اليهودية)، فان النساء يساء إليهن

(٦٠) شرباصي، ا.: الدين وتنظيم النسل، من ص ١٣٩-١٥٦
(٦١) الشعراوى، محمد متولى: جزء ٢ ص ٦٠
(٦٢) المصدر نفسه، جزء ٤ ص ٤٩
(٦٣) الجبري، ا.م: المرأة في المنظور الاسلامي، من ص٥٣-٦٠

ويعاملن كالتالي:.

اذا ارتكب اليهودي تصرفا سيئا مع أجنبية فهو غير مخطئ لأن عقود الزواج مع الأجنبيات عقود غير صحيحة، فالأجنبية تعامل كحيوان، ومع الحيوانات لا عقود .

اليهود لهم حق اغتصاب غير المؤمنات أي غير اليهوديات .

لا عقاب على من يرتكبون الزنا مع غير اليهوديات، رجالا أو نساء، لأنهن من سلالة الحيوانات.

ليس لليهودية أن تشكو في حال ارتكاب زوجها الزنا بأجنبية في منزلها.

لليهودي حق ارتكاب الشذوذ مع زوجته لأنها تعتبر قطعة من اللحم، للمشترى حق الانتفاع بها بالطريقة التي يراها .

أدي هذا الى سوء استغلال النساء، يهوديات وغير يهوديات بأبشع صورة:

الفتيات الجميلات يقدمن لضيوف إسرائيل للحصول علي المعلومات منهم .

استخدامهن بصورة واسعة في أعمال الجاسوسية لصالح إسرائيل لضمان تأييد إسرائيل في الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية والإقليمية (٦٤)

تقليد الغرب :

بعض المسلمات يسئن فهم تعاليم الإسلام بقصد أو عن غير قصد:

حماية الرجال للنساء مقصورة على الجانب الشخصي في العلاقات الأسرية، في الوقت الذي تعطي فيه كامل الصلاحيات لإدارة شئونها الخاصة ومسموح لها بأن ترأس الرجال في العمل.

فيما يتعلق بشهادة المرأة وأن شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد، وذلك نظرا لعدم التوازن العاطفي خلال فترات الدورة الشهرية والطمث وفي سن اليأس .

النقص في الجوانب الدينية لأنه خلال فترات الحيض والنفاس تعفي من أداء الصلوات ومن

(٦٤) هزة، الوصيف علي : الصهيونية والمؤامرة على فلسطين، التوحيد، جمادي الأولى ١٤٢٣هـ من ص٣١-٣٣

الصيام .

الاتهام بأن الإسلام دين ذكوري ليس صحيحا لأن الخطاب الديني موجه إلى الرجال والنساء على سواء باستثناء الحالات التي تخص الرجال وحدهم أو النساء وحدهن، لقد مارست المرأة في المجتمعات الإسلامية حق التصويت في الانتخابات قبل النساء في الغرب بزمن طويل .

الإسلام بالتأكيد ضد عدم الانضباط في أنشطة المرأة عند الاختلاط بالرجال. وهذا في الواقع حماية لكرامة المرأة. (٦٥)

بعض ما تتمتع به المرأة المسلمة من مزايا :

الحفاظ علي شخصيتها المستقلة، والاحتفاظ باسمها قبل الزواج لا أن تحمل اسم عائلة زوجها.

الإعفاء من إرضاع وليدها، إلا أن تتطوع بذلك، وعلى زوجها استئجار مرضعة.

الله عز وجل جعل الجنة تحت أقدامها لكونها أما .

حق رعاية طفلها حتى سن الزواج بالنسبة للبنت والبلوغ بالنسبة للولد .ويبقي هذا الحق لوالدتها في حالات الوفاة والطلاق أو الزواج بآخر. (٦٦)

الطلاق تتبعه فترة «عِدَّة» والتي توفر فضلا عن أهداف أخري إتاحة الفرصة للتوافق. ورغم الطلاق فإنهما يعيشان في بيت واحد، فالزوج ليس له أن يطردها من البيت الذي تعيش فيه إلا أن تكون قد أتت بفعل مشين، وعلي الزوجة ألا تترك المنزل، أملا فى استعادة العلاقات الودية بين الطرفين وتقليل فرص إزكاء الخلافات، مما قد يؤدي إلى مصالحة بينهما. (٦٧)

اتهامات ضد الإسلام:

في شأن المرأة:

❊ كرامة المرأة :

الإسلام يعترف للمرأة بوضع مساو للرجل، فالأعمال الطيبة لها نفس الأجر للطرفين، سواء كان

(٦٥) الكحلاوي، عبلة ويلتاجي،م.: التفسير الذكوري للدين (الاسلام) صوت الأزهر ١٠/ ٤/ ٩٨ ص١١

(٦٦) عزام، عبد العزيز: هل أعطت الحضارة الحديثة المرأة ما أعطتة لها الشريعة الإسلامية؟ الأهرام ١٧/ ٣/ ٢٠٠٠ ص ٢.

(67) Ali, M.: op.cit.: pp.679-680

الفاعل رجلا أو امرأة، الجنة لهما علي سواء وكلاهما سوف يتمتع بمباهجها. الوحي وهو أكبر نعمة منحها الله عز وجل للرجل والمرأة على سواء" قال رب أجعل لي أية قال أتيك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا «(سورة آل عمران: أية ٤١). «وأوحينا إلى أم موسي أن أرضعيه» (سورة القصص: أية ٧). من المقرر في الإسلام أن المرأة مساوية للرجل. فلها أن تكتسب الأموال وأن تكون لها ممتلكات كما للرجل وعليه فإنها تستطيع أن تقوم بأية مهنة وأن تفيد مما تكتسبه. لها السيطرة الكاملة علي ممتلكاتها ولها أن تتصرف فيها كما يحلو لها. ولها أن ترث الممتلكات كما للرجل.[٦٨] في ضوء الوضع السامي للمراة في الأسلام، فإن الدعوات للمساواة بالرجل تتضمن الاعتراف بدونية المرأة، وهذا لا يمت للإسلام بصلة من قريب أوبعيد [٦٩] .

* الحجاب:

بينما أوصي «الإسلام» بأن تضع المرأة الحجاب فأنه لم يضع عقابا لمن لا ترتديه وعلى العكس في «العهد القديم» فأن المرأة التي لا ترتدي الحجاب تعاقب بحلق شعرها وتشويه جمالها بالكي.

Book of Isaiah ,the second Chapter,Verses (6-24).

وفي «العهد الجديد»، يوجه بولس **Paul** النساء بأن يراعين إخفاء حليهن وأن يبدين حياءهن وتقواهن **the second Chapter, verses (9-10)**. نرى هذا في زي الراهبات الذي يشبه الزي الاسلامي. في الاسلام، ليست هناك طبقة كهنوت وعليه فإن الزي السليم للراهبة يفترض أن يكون هو الزي السليم للجميع .[٧٠]

الحجاب يرجع في الحقيقة إلى قرون سابقة على ظهور الإسلام:

القانون الآشوري: **The Assyrian Law** الذي عثر عليه في شمال العراق ويرجع تاريخه إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد يأمر المرأة الآشورية بأن ترتدي الحجاب عند خروجها إلى الشارع، وهذا يعني أن الانسانية في فطرتها السلمية وقبل الديانات السماوية **Biblical Religions** أدركت أهمية الحجاب.

في سفر التكوين **The Book of Grenesis** ٢٤/ ٦٥ من العهد القديم عن زواج إسحاق،

(68) Ali, M:op.cit. 643.

(٦٩) فؤاد، نعمات أحمد: طلب المساواة اعتراف بالدونية الأهرام ٤/ ١٠/ ٢٠٠٠ ص ٢٢.

(٧٠) الكحلاوى، عبله، واجيناليس الروح فقط، اللواء الاسلامي ١٠/ ١٠/ ٢٠٠٢ ص ٢٠.

عندما لمحت ربيكا **Rebekoh** رجلا قادما أسدلت عليها الحجاب

كما أن هناك ذكرا للحجاب في سفر التكوين ١٩ , ١٤ , ٣٨ في قصة زواج تامارا **Tamara** التي تحايلت من أجل إتمام زواجها من إبن موسى.

أمرت المشناه **The Meshna** المرأة اليهودية بأن ترتدي الحجاب كلما خرجت من بيتها.

هذا يعني أن اليهود ألزموا أنفسهم بموقف متشدد لم يفرضه عليهم موسى واتهموا كل امرأة تجاوز هذه التعليمات بالارتداد عن اليهودية. مع ذلك لم يفكر أحد من المستشرقين أو من جمعيات أنصار المرأة في الهجوم على اليهودية بسبب هذه التعليمات، هذا في الوقت الذي يحلو لهم فيه دائماً إتهام المرأة المسلمة التي ترتدي الحجاب، بالتخلف.

في المسيحية:

الحجاب رمز العفة المتمثلة في حجاب السيدة مريم العذراء كما يبدو في أيقوناتها. من المنطقي أن يضع الاسلام النقاط على الحروف في هذا الشأن، بأن يفرض الحجاب على النساء المسلمات لصون عفتهن من المحاولات الشريرة لجرهن إلى طريق الرذيلة. (٧١)

٣- المرأة في الحياة العامة:

لم يحدث أبداً أن استبعدت المرأة المسلمة من أى نشاط عام، فقد شاركت في الدعوة إلى الاسلام وفي الهجرة من مكة إلى المدينة وفي النشاط العلمي ورواية الحديث والاجتهاد.

فضلا عن ذلك تمتعت المرأة المسلمة بما يلي:-

المشاركة في المشاورات السياسية، فقد استطلع الصحابة رأيهن فيمن يخلف عمر بعد اغتياله.

حق المجادلة حتى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله".

(سورة المجادلة : آية ١).

حضور صلاة الجماعة في المساجد.

---

(٧١) أبو المجد، ليلي: الحجاب في الديانات السماوية، الأهرام ١٤/ ٦/ ٢٠٠٢ ص ٣٦.

الجلوس للقضاء : يرى بضع الفقهاء إمكان تولي المرأة القضاء في الأمور المالية (عين الخليفة عمر إمرأة، هى الشفاء بنت عبدالله محتسبة **Umbudswoman**، ويرى فقهاء آخرون إمكان جلوسها للقضاء في كل الأمور.

أن تكون فقيهة وتتولى الافتاء - كان الحافظ بن عساكر يتباهي بأنه. نلقي العلوم الاسلامية على يد اثنتين وثمانين فقيهة.

إلقاء الشعر والاستماع للشعراء. (٧٢)

٤ - إزدراء المرأة:

يظن بعض غير المسلمين أن المرأة في الاسلام لا قيمة لها وأنها أسيرة في يد الرجل، ولهؤلاء نقول:

في الاسلام النساء مساويات للرجال ولكنهم ليسوا متطابقين، الأوامر والنواهي تنطبق عليهما كما تنطبق العقوبة.

على عكس التعاليم الكتابية **Biblical** أي اليهودية والمسيحية، يعتبر الاسلام كلا من آدم وحواء - لا حواء وحدها - مخطئين لأكلهما من الشجرة المحرمة، وأنهما تابا وقبلت توبتهما. قضت الكنيسة بأن تقاسي المرأة طيلة حياتها.

أن الاسلام جعل الرجال يلتزمون بحقوق النساء، فهم موضع احترام عن رغبة وسرور حيث أن هذه التعاليم آتية من الله عز وجل لا من منظمات نسائية.

حرم الاسلام وأد البنات كما كان يحدث في الجاهلية، كما أنه أبطل عادة بيع النساء وأخذهن في الميراث أو استغلالهن وحمي شرفهن بأن حرم الزنا بهن كما أمر برجم الزاني وجلد من يرمون المحصنات. إذا كان للزوجة أبناء من زواج سابق فقد أمر بالعناية بهم وبذلك تم حل مشكلة اليتامى والعائلات التي لا عائل لها، وذلك بطريقة مهذبة ومحترمة ومقبولة اجتماعياً. (٧٣)

٥ - كفالة الرجل :

(٧٢) فؤاد نعمات أحمد: مصدر سابق ص ٢٢.

(٧٣) قميحة، محمد: النساء فى الاسلام، صوت الازهر ١٤/ ٦/ ٢٠٠٢ ص١٦

ان الذين ينتقدون كفالة الرجل للمرأة لا يعقلون ان هذا الأمر يتضمن مزيدا من الأعباء علي الرجل لصالح المرأة.

قارن هذا بما ورد في الفصل الثاني من رسالة بولس الى تيموثى «ليس للمرأة حق الولاية علي الرجل أو أن تشير عليه، بل عليها أن تلتزم الصمت في حضوره لأن آدم لم يرتكب المعصية، بل المرأة هي التي ارتكبتها،١٤-١١»[٧٤]

٦- شهادة المرأة:

الإسلام يجعل شهادة امرأتين مساوية لشهادة رجل واحد، وهذا في العمليات المالية والتوثيق .

هناك حالات تتساوي فيها شهادة المرأة بشهادة الرجل، فضلا عن ذلك، ففي الأمور المتعلقة بالنساء وحدهن فان شهادة المرأة كافية إذ أن شهادة الرجل»غير مقبولة» .

من المعلوم أن البحث العلمي أثبت أن المرأة، في أيام معلومة عن كل شهر لا تكون في أفضل حالاتها الطبيعة والنفسية. [٧٥]

بصفة عامة الشهادة تتضمن مرحلتين : مرحلة الشهادة(المشاهدة) ومرحلة الإدلاء بالشهادة .

الشهادة تتضمن سلسلة واسعة من الموضوعات مثل المعاملات المالية والجرائم والحدود والأمور الخاصة بالنساء مثل اثبات العذرية والزواج السابق والحمل والرضاعة .

فيما يتعلق بمرحلة الشهادة فهي علي نفس القدر من الكفاءة لكل أنواع الشهادة مثل الرجل، ويمكن فيما يتعلق بالأدلاء بالشهادة هنا يأتي الفارق. في عقود المعاملات المالية هناك ضرورة لأداء الشهادة من امرأتين، خشية أن تنسي احداهما جزءا من الشهادة يمكن أن تعوضها شهادة امرأة أخري، لأن النساء يكن عادة مشغولات بتدبير أمور بيوتهن وأطفالهن، في حين أنه فيما يتعلق بالرجل، فاذا نسي أي جزء من الشهادة»تلغي شهادته كلها»، وهذا يعني تشريفا للمرأة. في مجال الحدود كالقتل والزنا، أعفي الاسلام المرأة من تحمل الشهادة في الجرائم القائمة علي الاغتصاب والقتل. وعلي العكس ففي الأمور المتعلقة بالنساء، فان الشهادة تكون»مقصورة» على النساء.

---

(٧٤) الكحلاوي، عبلة : مصدر سابق، ص٢٠
(٧٥) عبد الرازق، ليلى : لماذا جعل الاسلام شهادة امرأتين مساوية لرجل واحد، صوت الازهر ١٠/ ٥/ ٢٠٠٢ص١٦

٧- الميراث :

حقيقة أن المسيحية ليس لديها نظام للمواريث، ومع ذلك فانهم دائمو الهجوم على نظام الميراث الاسلامى، كيف يهاجمونه وهم ليس لديهم أي نظام للمواريث.[٧٦]

نظام المواريث في الاسلام يتوافق مع نظام العائلة ككل، فالرجل مسئول عن رعاية زوجته واطفاله ووالديه وأخواته غير المتزوجات، في حين أن المرأة ليس لديها هذه المسئولية وهى أقل من مسئولية الرجل .

ونظرا لعدالة نظام المواريث الاسلامي، يلجأ اليه كثير من الاقباط في مصر كمرجع في ايجاد حلول للمشاكل المتعلقة بالمواريث.[٧٧]

انهم يتجاهلون أن الاسلام يجعل الأنثي شريكا للذكر وتُقسم ملكية المتوفي بين ورثته علي أساس ديمقراطي بدلا من تحويلها كلها الى الابن الأكبر طبقا لقانون الابن الأكبر.[٧٨]

التفسير النسوى لتعاليم الاسلام علي أنه موقف محاب للذكور لا أساس له من الصحة. فالمرأة في الاسلام لها حق التصويت في الانتخابات منذ أكثر من أربعة عشر قرنا، في حين أنها في أوروبا حصلت على هذا الحق منذ عشرات قليلة من السنين : ففي فرنسا مثلا حصلت عليه خلال فترة رئاسة شارل ديجول في الجمهورية الخامسة، وفي انجلترا عرض الموضوع للمناقشة في سنة ١٩٤٨[٧٩]

في بعض الأحيان يكون الرجل مسئولا عن اعالة بعض الأقارب كالوالدين والأخوات اللاتي لا عائل لهن، هذا يعنى أن نصيبه من الميراث يمكن أن يكون في تناقص مستمر .

وعلي عكس الرجل، فان المرأة مسئولة عن نفسها فقط، ولها حرية ادارة شئون ميراثها كما ترغب ومستقلة تماما عن زوجها وغير ملتزمة بمساعدته ماليا حتى لو كانت ثرية، الا اذا رغبت في مساعدته.[٨٠]

---

(٧٦) الكحلاوى، عبلة: مصدر سابق، ص٢٠
(٧٧) ادعادت باطنة ضد الاسلامن صوت لبلزهر ٣١/ ٥/ ٢٠٠٢ ص ١٦.
(٧٨) Ali M .: op. cit. ٧٠١
(٧٩) عبد التواب، مرفت: التفسير النسوي للدين، الاهرام ١٠/ ٤/ ١٩٩٨ ص١٠
(٨٠) زقزوق، حمدي: الاسلام لم يظلم المرأة في الميراث، صوت الازهر ١/ ٣/ ٢٠٠٤ ص ١٣.

مزايا نظام المواريث الاسلامي :

الميراث ملزم لكل من الوارث والمورث.

أنصبة الميراث حددها الله عز وجل .

الشريعة ضمنت حقوق الورثة حتي خلال فترة حياة مالك الثروة بأن منعته من أي تعامل الا في حدود الثلث من خلال الوصية .

الميراث مقصور علي الأسرة ولاشئ وراء ذلك .

اختلاف أنصبة الميراث تحكمه درجة القرب من المورث .

الثروة تقسم بين عدد من الورثة لا لوارث واحد فقط، وذلك لتفادي تراكم الثروة ولاتاحة الفرصة لأكبر عدد ممكن للاستفادة منها .

النساء والأطفال وحتي الأجنة في أرحام أمهاتهم لهم حقوق محددة في الثروة .

الزوجة لها نصيب معلوم في ثروة زوجها، والعكس صحيح .

حظ البنت نصف حظ الولد لأسباب سبق شرحها. (٨١)

تستخدم كلمة حظ لتدل على أن أنصبة الورثة لم تأت اليهم نتيجة جهدهم بل من خلال الحظ الذي حدده الله عز وجل .

الطلاق :

أبدي كثيرون ممن حضروا مؤتمر حقوق المرأة في كوبنهاجن أعجابهم بالحقوق التي أعطاها الإسلام للمرأة، على سبيل المثال، فمنذ أربعة عشر قرنا أعطي الإسلام المرأة الحق في طلب الطلاق (الخلع).

أمر الاسلام الزوج بأن يبذل كل جهده لرعاية زوجته حتى في حال كراهيته لها وأرشده الى أن الكراهية لا تعنى بالضرورة أن ما نكرهه أمر سئ، بل علي العكس قد يثبت أنه أمر طيب. «والله يعلم وأنتم لاتعلمون».

(٨١) صالح، عبد الغفار، مزايا نظام المواريث الإسلامي.

مع ذلك فاذا وقع الطلاق في النهاية، فليس للزوج أن يطالب زوجته برد ما أعطاه لها .

رعاية الزوجة في يد الزوج لأنه هو الذي يبدأ خطوات العلاقات الزوجية، ولكن ليس مسموحا له أن يسئ استخدام هذا الحق. يتم اختيار حكمين من أهله وأهلها للتوفيق بينهما. وفي حال استحالة العشرة الزوجية فليس له أن يمسكها ضرارا (غصبا عنها)، ومع ذلك يمكنها أن تبحث عن زوج يقتنع بها .

للمطلقة حقوق كثيرة على زوجها، مثل حق «متعة» مناسبة، فترة»العدة»، «النفقة»، والانفاق عليها .(٨٢)

الدّية المقررة في حالة القتل الخطأ هي نصف الدّية المقررة على الرجل، وهذا مرجعه أن قتل الرجل (خطأ) يوقع خسارة كبري بالأسرة التى يعولها، وليس هذا في حالة المرأة، التي هي مسئولة عن نفسها فقط .

ينادي بعض أنصار حقوق المرأة بالغاء فترة العدة بعد الطلاق، بافتراض أن الفحص الطبي يمكن أن يحسم مسألة الحمل. نسي هؤلاء أن مسألة العدة ليست لهذا السبب فقط، بل لسبب هام هو أن الزوج قد يعيد النظر في قرار الطلاق ويعود الى زوجته .(٨٣)

يقال ان الرسول صلي الله عليه وسلم ذكر أن المرأة خلقت من ضلع أعوج. يري البعض أن في هذا أهانة لها. على العكس، فهذا توصية للأزواج بأن يترفقوا بزوجاتهم لا أن يعاملوهن بعنف لتجنب كسر هذا الضلع الأعوج.(٨٤)

بالنسبة للطلاق عند الأقباط الأرثوذكس، فان المحاكم تطبق الشريعة الاسلامية في حالة اختلاف مذهب أو طائفة الزوجين المسيحيين؛ الكنيسة تعتبر هذا الطلاق طلاقا مدنيا لا كنسيا. (٨٥)

٩-الرضاع :

يتضح اعجاز التعاليم الاسلامية الواردة في القرآن والسنة في مسألة الرضاع زواج رجل بامرأة رضعت خمس رضعات مشبعات من ثدي أم حقيقية لأي من الزوجين أو من مرضعة لهما غير مسموح به. أثبت العلم الحديث في السنوات القلية الماضية أن نوعية الغذاء خلال مرحلة الطفولة

---

(٨٢) عن الطلاق: دائرة الحوار، القناة الأولي في التلفيزيون المصري ٩/ ١/ ٢٠٠٢ الساعة ٢٠٠٠

(٨٣) المطعني، عبد العظيم: الهجوم علي الاسلام في أمور المرأة، مجلة الأزهر، مايو ٢٠٠١ ص ص ٢٤٢- ٢٤٦.

(٨٤) شوقي، إبرهيم: الأعجاز العلمي في أحاديث الرسول، مجلة نصف الدنيا ٦/ ٥/ ٢٠٠١ ص ٣٤.

(٨٥) عبد السلام، محمد: الزوجة المسيحية لها حق الخلع إذا استوفت الشروط، الاهرام ١/ ٤/ ٢٠٠٤ ص ١٥.

المبكرة تغير بعض الصفات الوراثية، والمزاج. من ثم يأتي تأثير اللبن علي الطفل ويخلق علاقة تجعله أقرب لعلاقات الأخوة أي اخوة من الرضاع.[٨٦]

١٠-الموسيقي والغناء:

من الأمور المثيرة للجدل، موقف الاسلام من الموسيقي والغناء .

أفتي الشيخ محمد الغزالي الفقيه المعروف، بأن الأغنية نوع من الكلام، فإذا كان هذا الكلام حلالا ولا يثير الغرائز الجنسية، تكون الأغنية عند ذلك حلالا، أما إذا كانت غير ذلك فإنها تكون محرمة. كما أن الفقيه الدكتور يوسف القرضاوي يري أن الموسيقي والغناء مسموح بهما، وذكر أسماء بعض التابعين الذين كانوا يتذوقون الاستماع إلي الأغاني، وذكر من بينهم سعيد بن المسيب الذي يعد أحد أكبر سبعة فقهاء في الإسلام. وأكد القرضاوي أن الإسلام إنما حرم السيئ والخبيث من الأمور. يقول الفقهاء المسلمون، كل شئ حلال ما لم يرد نص بتحريمه من القرآن أو السنة. وقد ورد في أفعال الرسول أنه صلي الله عليه وسلم استمع إلى مغنيتين في بيت زوجته عائشة ومنع الرسول والدها (الخليفة) أبا بكر من إيقافها عن الغناء.

١١ - العلاقات الزوجية بين المسلمين وغيرهم:

فيما يتعلق بالتزاوج بين المسلمين وغيرهم، فإن الإسلام يبيح الزواج باليهوديات والمسيحيات، في حين أن العكس غير مسموح به. وهذا سببه أن الإسلام يعترف بكل من اليهودية والمسيحية، ولكنهما لا يعترفان بالإسلام. دكتور صوفي أبو طالب أستاذ القانون بجامعة القاهرة، في مجال تعليقة علي هذا الموضوع. سأل الصحفي الذي كان يحادثه، أن يطلب من البابا أن يعطيه قرارا مفادة أن الزوج المسيحي يعترف بديانه زوجتة المسلمة ويساعدها علي أداء تعاليم الإسلام ولا يجبرها علي تركه، عندها سيكون مستعدا أن يعطيه قرارا من شيخ الأزهر أن المرأة المسلمة يمكن أن تكون زوجة لزوج مسيحي أو يهودي، فالإسلام يشترط علي الزوج المسلم أن يصطحب زوجته المسيحية أو اليهودية إلي الكنيسة أو المعبد لأداء واجباتها الدينية وأن يعيدها إلي بيتها.[٨٧]

وللذين ينتقدون حق الزوجة المسلمة في الخلع، نقول: قارنوا هذا بحالات أولئك اللاتي لا يستطعن الحصول علي الطلاق ولم تحل قضاياهم منذ العديد من السنوات، فكيف للرجال أو السيدات في مثل

(٨٦) شوقي، إبراهيم: مصدر سابق ص ٣٤.
(٨٧) أبو طالب، صدقي: مصدر سابق ص٣.

هذه الحالات أن يشبعوا احتياجاتهم العاطفية خلال هذه السنوات الطويلة حيث أنهما غير قادرين علي الاستمرار في توافق بينهما. لقد كان من الأفضل لكل منهما أن يحصل علي الطلاق وأن يجرب كل منهما حظه مع شريك آخر من خلال زواج شرعي للإستمتاع بمباهج الحياة الزوجية.

الخلع بالنسبة للزوجة المسيحية مثار للجدل، معظم رجال القانون المسيحيين ضده تماما في حين أن الفقهاء والمحامين المسلمين يرون أنه ممكن في حال اختلاف المذاهب المسيحية مما يسمح بتطبيق قوانين الشريعة الإسلامية.(٨٨)

١٢ - الهجوم علي مفاهيم الإسلام:

في الغرب، فرنسا مثلاً، تلح في برامجها التعليمية علي تشويه مفاهيم الإسلام خلال عرض الجوانب السلبية، في الإسلام من وجهه النظر الغربية فهم يعتمدون علي ترجمات القرآن المشوهه عن عمد أو علي المصادر غير الموثوق بها في شأن التعاليم الإسلاميه، إنهم لا يدرسون الأسباب والظروف التي نزلت فيها الأيات (أسباب النزول).

(٨٨) عبد السلام، محمد: مصدر سابق ص ١٥.

الخاتمة

رغم أن الدول الاستعمارية لم تستطع تحقيق هدفها الحقيقي في نشر المسيحية في أوساط المسلمين كما يحدث في مناطق أخري تحت ضغط للفقر والجهل بالإسلام واستسلام بعض الشباب للمغربات بأنواعها المختلفة (منح دراسية، وظائف ذات أجور عالية، الاستمتاع بالحياة الأوربية المتسيبة) فإنهم تمكنوا للأسف من تحييد بعض شرائح الطبقة الوسطى التي كانت داعمة النضال ضد السيطرة الاستعمارية، وجذبوهم نحو أساليب الحياة الغربية المجافية لتعاليم الإسلام، وكان للمدارس التي تسيطر عليها الإرساليات الغربية الدور الأكبر في أحداث هذا التأثير، وقد تعزز هذا الاتجاه في السنوات الأخيرة بافتتاح جامعات تشرف عليها الدول الغربية.

كان نجاحهم واضحاً في المجالات التالية :-

- إعجاب قطاعات من المثقفين بالثقافة الغربية، وإعلاء شأنها فوق الثقافة الإسلامية، وذلك من خلال مدارسهم التي لم تحقق أى نجاح في تحقيق اهدافها.
- كان خريجو هذه المدارس يتعرضون لعملية التغريب من خلال مناهجهم التعليمية التي وضعت بعناية لهذا الغرض فكانوا المستهلكين الرئيسين للأفلام والأغاني والأعمال الأدبية والثقافية التي تروج للثقافة الغربية .
- نشر الفكر الغربي أدى إلى نشر مواد تهدف إلى الإقلال من قيمة التعليم الديني بعضها معروض في صراحة والآخر بلغة رمزية.
- أدى الفكر الغربي كذلك إلى شيوع العلاقات المتحررة والبحث عن المتعة خارج نطاق الزوجية، كذا انتشرت صور أخرى من الشرور الاجتماعية مثل الرشوة وإدمان المخدرات والخمور والعلاقات الإباحية وما سمي بالزواج العرفي بين الطلبة والطالبات خاصة في الجامعات وبعض المدارس.

بعض المفاهيم الإسلامية :

حيث أن العقيدة الإسلامية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالسلوك الاجتماعي القويم، ولعرض منظور أشمل للإسلام، نود أن نوضح أن الحضارة الإسلامية تفرض أخلاقيات ومبادئ، على المسلم أن يلتزم بها، مثال ذلك :-

- يعظم الإسلام صلة الرحم وعلاقات القربي، ولكنها ليست سببا للتفاخر.
- كراهية البعض لا تبرر التجاوز.
- مقدسات الغير تحترم تماما كما يحترم المسلم مقدساته هو.

- تحذير المسلم من الوقوع في اللعان والشتائم أو استخدام ألفاظ نابية وحدة اللسان والعجرفة.
- المسلم عبد لله ويخلص له حتى في أوقات الشدة.
- لا عنصرية فى الإسلام.
- نبذ الإسراف والمبالغة في الملذات والاستمتاع.
- اختيار أخف الضررين لتجنب الضرر الأكبر.
- عند الإقدام على أمر ما، يجب إجراء موازنة بين الفائدة والضرر.
- أن يصدع المسلم بكلمة الحق، فالشهادة واجبة وليست حقا فقط ويجب الإدلاء بها قبل أن تطلب.
- التضرع إلى الله في ساعات الشدة ضرورة.
- التذلل لله فقط.
- الطريق القويم هو الأساس ولا للخديعة.
- الرحمة مطلوبة حتى مع الكائنات العجماوات.
- ألا ينقاد المسلم لشهواته وملذاته، ولا يقرب الأعمال الدنيئة، وأن يتبرأ من التصرفات الخليعة، «من حام حول الحمى أو شك أن يقع فيه"
- لا تدبير في الظلام ولا غطرسة، الشفافية أمر واجب.
- عليه أن يفرق بين الحق والباطل وأن يسأل الله أن يأخذ بيده إلى الطريق القويم
- الإبادة الجماعية محرمة تماما.
- الإيمان والعمل لا يفترقان.
- الشهوات والرغبات يجب أن تقاوم بالزهد والتنسك.
- نعم للحليلات، لا للخليلات.
- صلات القربي لا تمنع من إقامة العدل.
- لا شفاعة في الحدود.
- لا كهانة في الإسلام، الصلة بين الفرد وربه مباشرة دون وساطة من رجال دين.
- الأصل في الأشياء الإباحة ولا تحريم إلا بنص (من القرآن أوالسنة)
- اختلاف الآراء وتعددها بين الفقهاء رحمة.
- الحكمة ضالة المؤمن.

- لا عصمة إلا للأنبياء «(الكاثوليك يؤمنون بعصمة البابا)
- العلاقات الجنسية خارج نطاق الزوجية ممنوعة.
- العفو والصلح فضيلتان كبيرتان.
- الخلاعة وحياة الرذيلة لا تتوافقان مع المجتمع المسلم.
- العرف قاعدة ما لم يناقض أياً من المبادئ المقبولة في الإسلام.
- الإسلام دين الرحمة والتسامح .
- كان التسامح الإسلامي واضحا في العفو العام الذي منحه صلاح الدين للجيوش الصليبية المهزومة التي قتلت أكثر من سبعين ألف مسلم.
- الإسلام لم ينتشر بحد السيف، من اعتنقوا الإسلام من خلال التجارة يشكلون الأغلبية، تعذيب ودفن آلاف المسلمين أحياء خلال الحروب الأخيرة في البلقان أثبت أن هؤلاء القوم يحافظون على الإسلام ومستعدون للموت في سبيله.
- أصدرت مصر قرارا بأن يكون السابع من يناير (ابتداء من عام 2003) عيداً قوميا لكل المصريين مسيحيين ومسلمين .
- الإسلام يتطلب الإيمان بالكتب السابقة.
- محاكم التفتيش صفحة سوداء في تاريخ الكاثوليكية، التي كان من نتيجتها أن المؤمنين بديانات أخرى كالمسلمين واليهود وحتى البروتسانت، كانوا يقدمون للوحوش الجائعة ويوضعون أحياء في الزيت المغلي وتقشر جلودهم.
- اليهود الذين نجوا وهربوا من الإعدام في أوربا وجدوا ملاذات آمنة في ولايات الخلافة العثمانية . اليهود اليوم يجحدون فضل المسلمين وينكرونه.
- يلح الغرب على اتهام العرب بأنهم تجار رقيق في حين أنهم كانوا هم الطرف الرئيسي في هذه التجارة الكريهة . النقاد الموضوعيون يعتبرون أنه، بالنسبة للعرب، الشيء السيئ الوحيد هو أسمها، عومل الرقيق من خلال المبادئ الإسلامية السامية كجزء لا يتجزأ من العائلات العربية وكان الاتجاه هو العتق لأسباب كثيرة وفي مناسبات عديدة – في الوقت نفسه أغلق باب الرق الذي أقرته اليهودية والمسيحية. قارن هذا بالمعاملة الوحشية للرقيق قبل شحنهم إلى العالم الجديد «وغيره (ناقشناها بالتفصيل في الفصل الرابع).
- هذه الأعمال الوحشية إذا قورنت بالتسامح والرحمة التى عومل بها الجميع خلال الحكم الإسلامى فى الأندلس، تُظهر مدى المستوى العالى للثقافة الإسلامية والعلوم الإسلامية،

حتى بعد سقوط حكم المسلمين ، وتؤكد المساهمات الكبيرة للمسلمين الى أفادت بها كل الأمم في ذلك الوقت.

- الجهاد كلمة كريهة في نظر الغرب، سمح به فقط لأسباب منها الدفاع عن الدين وسمى «الجهاد الأصغر أى قتال العدو الغاصب.
- التعليمات التي صدرت للجيوش الإسلامية يجب أن تكون موضع ثناء.
- الجزية كانت تفرض على سكان البلاد المفتوحة في مقابل الإعفاء من الخدمة العسكرية التي كانت في ذلك الوقت مبنية على أسس دينية، كانت أقل من الزكاة التي يدفعها المسلم فضلا عن الخدمة العسكرية التى يؤديها الجميع الآن على اختلاف الأديان والطوائف والمذاهب.

مصادر الكتاب

The Holy Qur-an :القران الكريم

English Translation of the Meanings and Commentary
King Fahd Holy Qur-an Printing Complex
Al- Madina Al- Munawarah,١٤٠٥ AH.

Holy Bible (الكتاب المقدس (الانجيل

New International version (Arabic / English)
International Bible Society,1999.
(Arabic Text is from: The Book of Life,
International Bible Society,1988)

أولا: الكتب العربية:

١- عبد الله، أحمد سامي: لماذا وكيف اعتنقت الإسلام، دعوة الحق: (مكة، أبريل ١٩٧٨).
٢- أبو مسلم، الامام: الجامع الصحيح، كتاب التحرير (القاهرة، ١٩٦٣).
٣- أبوزيد، أ.: الهجوم على الاسلام في الأعمال الأدبية (مكة، ١٤١٥هـ).
٤- الفتاوي: المجلس الأعلى للشئون الاسلامية، جزء ٩، جزء١٠، (القاهرة، ١٩٨٣).
٥- الفوزان، صالح: مراجعات في الفقه (الرياض، ١٩٩٤).
٦- الجمال، أ.أ.: دراسات في النظم الاجتماعية والسياسية، مكتبة النهضة (القاهرة، ١٩٥٦).
٧- الحسيني، م.م.محاضرات في الفقه، الأحوال الشخصية، ط٣، مكتبة الأزهر، (القاهرة، ١٩٥٩).
٨- الجبري، أ.م.: المرأة في المنظور الاسلامي، مكتبة وهبة(القاهرة، ١٩٨٣).
٩- الميداني، أ. حبنكة: التوكل على الله، الجهاد ومظاهر النصر، دعوة الحق (مكة، ١٩٧٨).
١٠- المفتى جاد الحق على جاد الحق: الفتاوي الاسلامية، جزء٩، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية (القاهرة، ١٩٨٣).
١١- المغيري، س.أ: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، مطبعة الحلبي (القاهرة، ١٩٧٩).
١٢- النعمة، أ: الاسلام في وسط أفريقيا، دار الأنصار (القاهرة، ١٩٧٧).

١٣- السقا، أ.هـ: حكم الردة عند المسلمين وأهل الكتاب، مكتبة الكليات الأزهرية (القاهرة، ١٩٧٢).
١٤- الشعراوي، محمد متولي: أنت تسأل والاسلام يجيب، الأجزاء ١، ٢، ٤، ٩.
١٥- الشرقاوي، و.س: عقيدة الجهاد في الاسلام، مكتبة الزهراء (القاهرة ١٩٧٢).
١٦- بدوي، أ.: السودان والحضارة العربية، الهيئة العامة للكتاب (القاهرة، ١٩٧٦).
١٧- حسن، حسن إبراهيم: إنتشار الاسلام في القارة الافريقية، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، ١٩٨٤).
١٨- إبن باز، عبدالعزيز: تحفة الاخوان عن أسس الاسلام، دار طيبة (الرياض، ١٩٩٥).
١٩- ليلى ،م.ك: النظم السياسية، الدولة والحكومة، دار الفكر العربي (القاهرة، ١٩٧٧).
٢٠- إسحق، محمد عبد العزيز: نهضة أفريقيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، ١٩٧١).
٢١- محمود، حسن: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، مكتبة النهضة المصرية - (القاهرة، ١٩٥٨).
٢٢- موسى، محمد يوسف: إبن تيمية، الهيئة المصرية العامة للكتاب(القاهرة، ١٩٧٧).
٢٣- مراجعات في الفقه السياسي (الرياض، ١٩٩٤).
٢٤- عثمان، فتحي: مع المسيح في الأناجيل الأربعة، الدار القومية للطباعة والنشر (القاهرة، ١٩٩٦).
٢٥- قداح، نعيم: حضارة الاسلام وحضارة أوروبا، الوطنية للنشر(الجزائر، ١٩٧٥).
٢٦- رفاعي، أ.م.: مراجعات في الفقه (الرياض، ١٩٩٤).
٢٧- سابق، السيد: فقه السنة، دار الكتاب العربي، ط٥ (بيروت، ١٩٨٣).
٢٨- منتخب تفسير القرآن، ط١٢ (القاهرة، ١٩٩٤).
٢٩- الشرباصي، أحمد: الدين وتنظيم النسل (القاهرة، ١٩٦٥).
٣٠- شحاته، عبد الله علوم الدين الاسلامي، الهيئة العامة للكتاب (القاهرة، ١٩٧٦).
٣١- زعتر، أ: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، مترجم عن كتاب Givilizations des Arabesلـ Justav Le Bon

ثانيا: الكتب الأجنبية:

1- Afrique (L,) Explorèe et Civilisée (Parise, 1981.
2- Ajaye, Ade & Crowder, M.: History of West Africa, 2 vols., Lonogman (London, 1975).
3- Ali, Maulama Muhammad: The religion of Islam, National

Publication House (Cairo,n.a.).
4- Anderson, J.D. :West Africa in the 19th and 20th Centuries, Ibadan University Press (Ibadan, (1972).
5- Becker, C.F. & Cooper, K.S.: Modern History, Europe since 1600, Silver Burdett Company (Chicago, 1964).
6- Blumenthal, S.: Bright Continent, a shoe – string guide to Sub-Sahran Afica (New-York, 1974.
7- Descartes, René: Discours de la methode (Paris, 1937).
8- Gbadamosi, T.G-O.: The growth of Islam among the Yorubra 1841-1908, Longman (London, 1978).
9- Hallet, R. : Africa, since 1875, 2 vals, Heinemann (Michigan, 1975).
10-Murphy, E.J.: History of African Civilisation, Delta (New-York, 1972).
11-Parrinder, G.: West African religion, Epworth (London, 1975).
12-Staw, H.G.: Uncle Tom's Cabin, translated by Amin Salama.
13-Stride, G.T. 8 and Ifeka, C.: Peoples and Empires of West Africa, Nelson (London,1971).
14-Ward, W.E.F.: The Colonial phase in British West African political developments (Ajaye, J.E Ade & espie, an a thoussud years of West African history, Thomass Nelson (Lagos, reprinted 1976).
15-Willis, J.R.: Jihad fi sabil Allah, Journal of African History (London VII, 1976).

ثالثا: الصحف

الأهرام:

١- عبد السلام محمد: الزوجة المسيحية لها حق الخلع إذا توفرت الشروط، ١/ ٢/ ٢٠٠٢، ص ١٥.
٢- عبد التواب، مرفت: الديّة وحدها لا تكفي، ٢٠/ ٤/ ٢٠٠١، ص ٣٠.
٣- أبو المجد، ليلى: الحجاب في الديانات السماوية، ١٤/ ٦/ ٢٠٠٢، ص ٣٦.
٤- أبو طالب، صوفي: مقابلة معه، ١٦/ ١١/ ٢٠٠١، ص٢ الملحق.
٥- الذهبي، ادوارد غالي: معاملة المسلمين لغير المسلمين، ٢٥/ ١٢/ ١٩٩٨، ص١٠
٦- الحلوجي، م.: البرامج التعليمية الفرنسية لا تعرض قيم الاسلام، ٨/ ٣/ ٢٠٠٢، ص ٣٢.
٧- المجدوب، أ.الطيب: الدين لم يمنع التعدد، ٤/ ١/ ٢٠٠٢، ص ٢٨.
٨- السماك، محمد: الزواج المدني والزواج الشرعي، ٢٢/ ٤/ ١٩٩٨.
٩- عامر، أ.م: أسرانا وأسرارهم، ٦/ ٩/ ١٩٩٥.
١٠- عزام، أ.: هل أعطت الحضارة الحديثة للمرأة أكثر مما أعطتها الشريعة الاسلامية؟ ١٧/ ٣/ ٢٠٠٠، ص ٢.
١١- بدوي، عبده: حقوق الانسان في الاسلام، ٢٩/ ١/ ١٩٩٨ ص ٢٢.
١٢- بهجت، أحمد : عبيد القرن الجديد، ٢٠/ ٤/ ٢٠٠١، ص ٢.
١٣- بنت الشاطئ: حرية العقيدة، ٢٢/ ١/ ١٩٩٧ ص ١٩، ٥/ ١/ ٢٠٠٠، ص ١٨.

١٤- فؤاد، نعمات: المطالبة بالمساواة اعتراف بالدونية، ٤/ ١/ ٢٠٠٠ ص٢٢.
١٥- هويدي، فهمي: السؤال عن الولاية، ٦/ ٦/ ١٩٩٥، ص ٩.
١٦- عمارة، محمد: الارهاب بهدف تجنب العنف، ٥/ ١٠/ ٢٠٠١، ص١٣.
١٧- المصدر نفسه: استعادة السلام، رسالة النبي، ٢٤/ ٥/ ٢٠٠٢، ص٣٢.
١٨- لمعي، أ.: الحاج الحسيني والحاج متولي، ٤/ ١/ ٢٠٠٢، ص ١٠.
١٩- مرجان، م.م.:حرية العقيدة وتسامح الاسلام، ٥/ ٧/ ١٩٩٨ ص ١٠,
٢٠- مصيلحي، م.أ.: الاسلام وحقوق الانسان، ١٠/ ١٢/ ١٩٩٩ ص ١٠.
٢١- عشب، م. : القرار النهائي، هل هو للشريعة أم العلم، ١١/ ٥/ ٢٠٠١، ص ٣٢.
٢٢- قلدس، جميل : الزوجة المسيحية والخلع، ٤/ ٢/ ٢٠٠٠، ص ٢٧.
٢٣- المصدر نفسه: الزوجة المسيحية لاحق لها في الخلع، ١١/ ١/ ٢٠٠٢، ص ١٥.
٢٤- تقرير عن الوضع الديني في مصر، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، ١٩٩٥.
٢٥- صالح، سعاد: فتاوي النساء على الانترنت، ٣/ ٥/ ٢٠٠٢، ص ٣٠.

٢٦- سلماوي، محمد: شيطنة الإسلام وأسلمة الإرهاب، ٢٣/ ٣/ ١٩٩٨ص ٢٤.
٢٧- الشرقاوي،م. : الاسلام لم ينتشر بحد السيف، ٢٠/ ١/ ٢٠٠٠ص ١٨.
٢٨- صبحي، س: ابن القيم ورعاية الطفل، ٧/ ١٢/ ٢٠٠١، ص ٧.
٢٩- واصل، نصر فريد: أسس الزواج المستقر كما أكدها الاسلام، ٢٠/ ٤/ ٢٠٠١، ص ٣٠.

الأهرام ويكلي:

1- الأم البديلة Surrogate mother,3/11/4,P.3

اللواء الاسلامي:

١- عبد الواحد، هـ: المتطرفون المسيحيون واليهود، ١٥/ ٨/ ٢٠٠٢، ص ١٣.
٢- الكحلاوي، عبلة: واجبنا ليس مقصورا على الدفاع، ١٠/ ١٠/ ٢٠٠٢ ص ٢٠.
٣- المطعني، أ.: التعدد، ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠١، ص ١٧.
٤- كاتب أمريكي يدعو إلى تدمير مكة بقنلة ذرية، ٢١/ ٣/ ٢٠٠٢، ص ١.
٥- بباوي، نبيل لوقا: الاسلام لم ينتشر بحد السيف بل بالتسامح، ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٢ ص ٨.
٦- غنايم، نبيل وصالح، سعاد: قضايا التعدد، ٢٠/ ١٢/ ٢٠٠١.
٧- هاشم، أحمد عمر: انتظروا حتى تقابلوني، ١٥/ ٦/ ٢٠٠١، ص ٨.
٨- القرضاوي، يوسف: الغناء والموسيقى في ضوء القرآن والسنة، ٢٨/ ٣/ ٢٠٠٢ ص ٨.
٩- استعراض فتوى الدكتور القرضاوي، ٢٨/ ٨/ ٢٠٠١ ص ١٤.

صوت الأزهر:

١- عبد الرازق، ليلي: حقوق الإنسان بين الغرب والإسلام، ٢٢/ ٣/ ٢٠٠٢، ص ١٦.
٢- علي، س.: التسامح في كتب التربية القومية، ٢٣/ ٢/ ٢٠٠١، ص ١٢.
٣- الكحلاوي، عبلة، ومحمد البلتاجي: التفسير الذكوري للدين (الاسلامي)، ١٠/ ٤/ ١٩٩٨، ص ١١.
٤- المطعني، أ. : الهجوم على الاسلام في أمور «المرأة"، مايو ٢٠٠١.
٥- عاشور، محمود: قواعد الحوار والمناقشة.
٦- المصدر نفسه: بقاء الزوجة المطلقة رجعيا مع زوجها، ١١/ ٥/ ٢٠٠١، ص ٧.
٧- حوار مع المفتي، ٣٠/ ١١/ ٢٠٠١ ص ٣.
٨- ادعاءات كاذبة ضد الاسلام، ٣١/ ٥/ ٢٠٠٢، ص ١٦.
٩- ركن الفتوى، ٣١/ ٥/ ٢٠٠٢، ص ١٦.
١٠- قميحة، م.: المرأة في الاسلام، ١٤/ ٦/ ٢٠٠٢، ص ١٦.
١١- هاشم، أحمد عمر: (الطلاق) أبغض الحلال إلى الله، ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠١، ص ٦.

IL-BUL-E

١٢- المصدر نفسه: حق الطفل في الاسلام، ٢١/ ٩/ ٢٠٠١، ص ٦.
١٣- عمارة، محمد: حقوق المرأة في الاسلام وفي الحضارات الأخرى، ٢٠/ ٤/ ٢٠٠١ ص ١١، ٢١/ ٩/ ٢٠٠١، ص ١١.
١٤- التجديد في الفكر الاسلامي، ٨/ ٦/ ٢٠٠١، ص ٥.
١٥- عرض كتاب: الدَّين لـ Randall Robinson، ٥/ ١٠/ ٢٠٠١ص ١٣.
١٦- طاحون، أ: شهادة مفكرين وفلاسفة لصالح سماحة الاسلام، ٢١/ ٤/ ٢٠٠٢، ص ٨.
١٧- طنطاوي، محمد سيد: هذا هو الاسلام، ترجمة دكتورة ليلى عبد الرازق، ١٣/ ٥/ ٢٠٠٢، ص ١٦.
١٨- الحجاب، ٣٠/ ١١/ ٢٠٠١ص ٣.
١٩- زقزوق، محمود حمدي: الاسلام لم يظلم المرأة في الميراث، ١/ ٣/ ٢٠٠٢، ص ١٣.

صحيفة نيجيرية:

1- Shudeinde, Y.P.O.: Mankind needs Muhammad, the Gurdian ١١ص ١٤/ ٩/ ١٩٨٤.

رابعا: الدوريات:

١- المجلة التاريخية المصرية: سعد زغلول عبدربه، تجارة الرقيق وأثرها على غرب أفريقيا، مجلد ٢٥ (القاهرة، ١٩٧٣).
٢- التوحيد: حمزة، أ.أ. : الصهيونية والمؤامرة ضد فلسطين، جمادي الأولى ١٤٢٣هـ، ص ص ٣١-٣٤.
٣- نصف الدنيا: إبراهيم، شوقي: الاعجاز العلمي في حديث الرسول، ٦/ ٥/ ٢٠٠١ ص ٣٤.
٤- مجلة الأزهر:
أ- المراغي، مصطفى: حرية الفكر في الاسلام، الملحق، أبريل ٢٠٠١ ص ٢٧.
ب- المطعني، أ.: الهجوم على الاسلام في أمور المرأة، مايو ٢٠٠١ ص ص٢٤٢-٢٤٦.
٥- المصور: بيومي، عبد المعطي: التعدد سعياً وراء اللذة، 2001 /5 /25، ص 17.

خامسا: دوائر المعارف:

١- دائرة معارف الشعب، ٥ أجزاء، كتاب الشعب (القاهرة، ١٩٥٩).
2- Chambers Biographical Dictionary, 2 vols., W and R.Chambers Ltd – (Edinburgh, 1974).

تتوالي الهجمات على الإسلام فى شخص رسوله الكريم وفى مبادئه وأسسه، بعضها عن قلة دراية وأغلبها عن عمد.

لهؤلاء وأولئك نتوجه بالبيان والتوضيح، فمن شاء قبل ومن شاء أعرض، هذه الهجمات ليست جديدة، فقد سمعها الخلفاء الراشدون وردوا عليها فى يسر وسماحة ثم توالت فى عصر الحروب الصليبية التى تسيطر أفكارها على تلاميذهم فى مقرراتهم الدراسية ومؤسساتهم العلمية والثقافية.

كانت الموضوعات الأثيرة بالنسبة لهم، اتهام الإسلام بالانتشار بحد السيف، واتهام المسلمين بممارسة تجارة الرقيق، وسخروا من ثوابت الإسلام فى نظام حكمه وفى الجهاد الذى يسمونه ظلماً «الإرهاب» وفى الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وتعدد مواريث وغير ذلك من الموضوعات بحجة حرية الرأى بينما لا يستطيع أحد منهم أن يذكر شيئاً مما يسمى «معاداة السامية».

تناولت هذه الموضوعات بالسماحة التى علمنا إياها الإسلام دون تعريض بمعتقدات الغير لا تلميحاً ولا تصريحاً، لعلهم أن يقابلوا الإحسان بالإحسان. ورغم حملاتهم العدائية فالإسلام ينتشر ويزداد معتنقوه خاصة من أهل العلم دون إكراه، والله غالب على أمره.



رقم الإيداع

٢٨/١٣٨٧٨

التجهيزات الفنية والطباعة
الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع
(المطبعة الأمنية)
ت/ ٢٣٩٢٨٨١٥